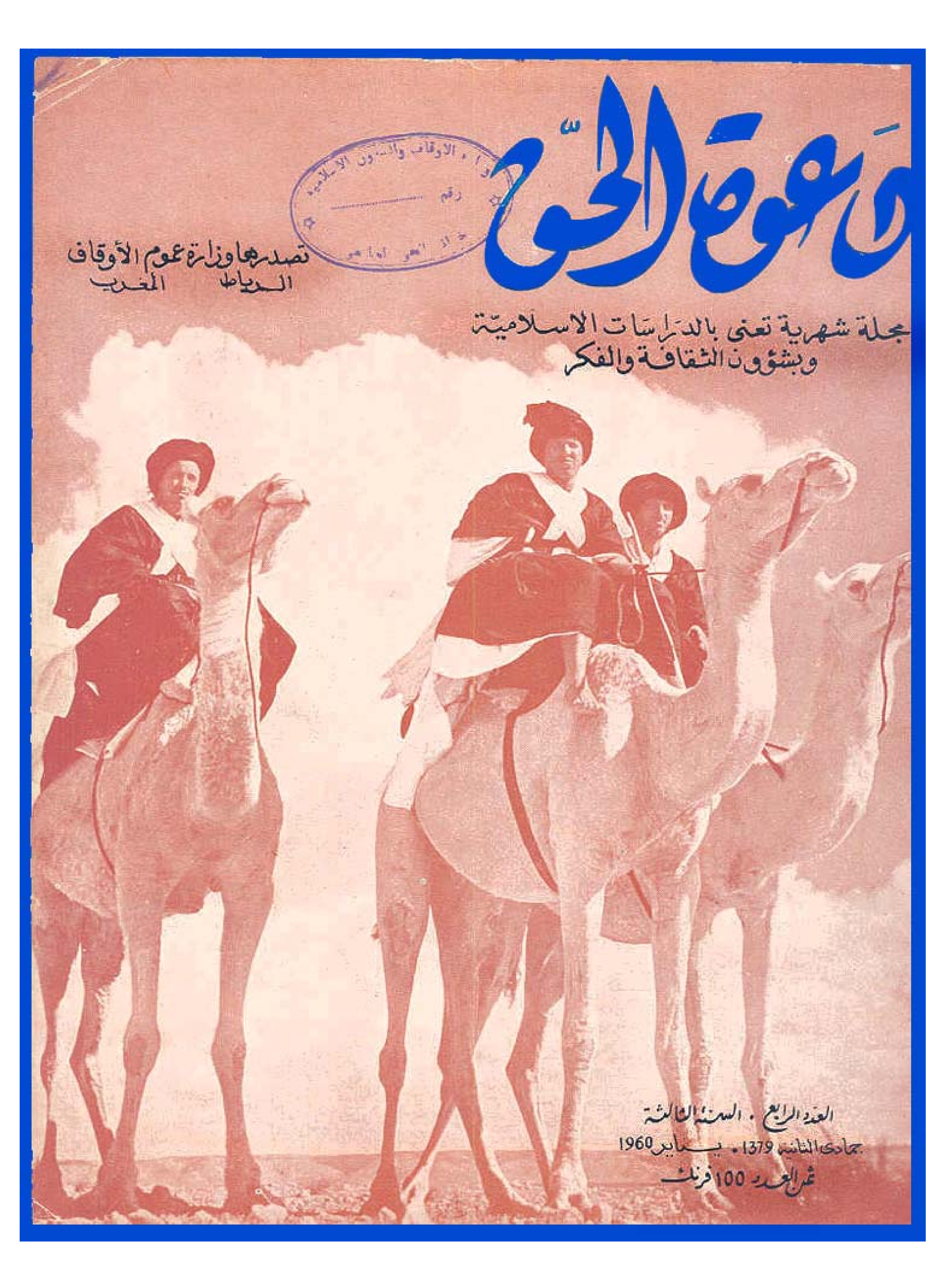


دعوة الحق
تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط المغرب
مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر
العدد الرابع . السنة الثالثة
جمادى الثانية 1379 . يناير 1960
ثمن العدد 100 فرنك

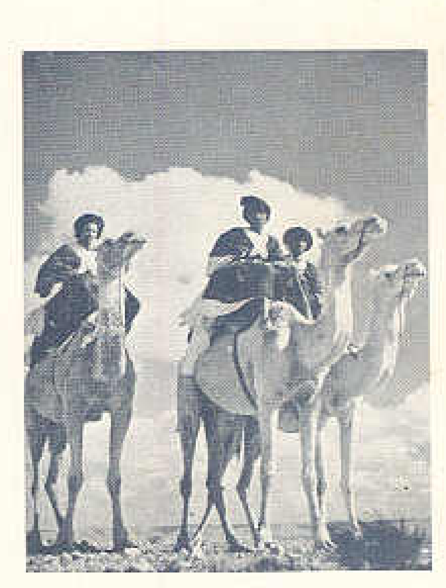
مدير المجلة
المكي بادو
رئيس التحرير
محمد الطنجي

دعوة الحق

العدد الرابع
السنة الثالثة
جمادى الثانية 1379
يناير 1960

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف. الرباط - المغرب

صورة الغلاف



وجوه عربية صميمة تدل على الشهامة والصبر والشجاعة .

انها وجوه مغاربة رحل من كولمين ، وجمالين اشداء من اولئك الذين يقضون حياتهم متنقلين تحت سماء واحات الصحراء المغربية الواسعة الارجاء . . .

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» - قسم التحرير - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

الاشتراك العادي عن سنة 1.000 فرنك ، والشرفي 2.000 فرنك فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
« دعوة الحق » الحوالة البريدية رقم 55 - 485 - الرباط -
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT
او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة : «دعوة الحق» - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر .

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط
تليفون 10-308 - الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد



يصـــدر هذا العدد في مطلع السنة الميلادية الجديدة ، والعالم كله امل ان يكون العام الجديد عام عز وسيادة للشعوب التي ما تزال ترزح تحت وطأة الاستعباد ، وعام سلام وامن للانسانية التواقة الى الاستقرار والى التقدم والى الطمانينة .

وقد كانت السنة الماضية بالنسبة للمغرب سنة عامرة بما قام به جلالة الملك نصره الله وشعبه الوفي من عمل لتدعيم سيادة البلاد ، فقد قام جلالته بعدة رحلات في ربوع مملكته جدد الصلة فيها بافراد شعبه ، سمع منهم وسمعوا منه وتحدث اليهم وتحدثوا اليه وكان في حديثه حاثا على التمسك بالقيم الدينية والروحية التي درج المغاربة على التشبث بها والدفاع عنها ، داعيا الى الخير ، مبشرا بالحق والفضيلة ، حريصا على ان يتمسك شعبه بدعوة الحق : دعوة الاسلام للحب وللخير ، فينسوا عصبية الجاهلية ، ويجمعوا على كلمة سواء تحدوهم توجيهات جلالته الى نبذ الحقد والكراهية والضغينة ، ليحققوا فضيلة من فضائل الاسلام في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن انكر المنكر ان تنمو في بلاد اسلامية دعوة جاهلية ، تؤمن بالتعصب والعصبية وتحرض المؤمنين بعضهم على بعض .

وقد وجدت دعوة محمد الخامس الارض الطيبة التي ترعرعت فيها ، وعسى ان تنمو فروعها في العام الجديد .

وكانت السنة الماضية كذلك دعمت فكرة الاسلام التي جاء بها القرآن الكريم منذ اربعة عشر قرنا تقريبا ، من العمل على السمو بالعقل الانساني لتنفتح امامه افق المعرفة ، فحقق العلم في السنة الماضية انتصارات جبارة ابرزها قدرة العقل الانساني ، وطموحه لاستغلال الامكانيات التي وهبها الله له ، وتقدمت الابحاث العلمية ورأينا الانسان يغزو الفضاء ، ويرسل باقماره وكواكبه اليه فلم يزدنا كل ذلك الا ايمانا بالله وايمانا بدعوة رسوله عليه الصلاة والسلام حيث يقول — لو تعلقت همة بني ادم بالثريا لادركها — ولقد اصبح قريبا ذلك العصر الذي يلمس فيه الانسان سطح الزهراء بيده .

وفي العام الجديد ، يقوم جلالة الملك في مستهله برحلة الى الشرق العربي ، ليدعم اواصر القربى بيننا وبين اخواننا المسلمين والعرب ، وليزور البقاع المقدسة وقد جاءت هذه الرحلة بعد النصر الذي حققه جلالته لشعبه في تحديد اجل جلاء القوات الامريكية عن قواعدها في المغرب ، اثر اجتماعه بالرئيس ايزنهاور . وانه لعمل يساعد على الاستقرار متى تحقق جلاء جميع قوات الاحتلال عن البلاد لكي يصبح المغرب خالصا لاهله ، كامل السيادة موفور الكرامة التي تشعر بانها مهانة ما دام جندي اجنبي يوجد فيها بصفة المحتل الغاصب .

واذا كان لنا من امل نتمناه في السنة الجديدة ، ان يوفق الله المسلمين لما فيه عزتهم وسيادتهم ، وان نرى تعاليم الاسلام مصانة يستضيء بها المسلمون في سلوكهم ، ويعملون على التعريف بها ونشرها قياما منهم بالواجب الملقى على عاتقهم ، فمن تعاليم الاسلام ان يكون المسلم حرا . ونحن مقصرون ما دام مسلم واحد مستعبدا ، لا يمارس حريته ، ولا يمارس سيادته ولا يمارس اختياره ... بل نحن مقصرون ما دام انسان واحد مستعبدا ، فالاسلام يدعونا الى نصرة اخواننا الجزائريين ، نصرتهم باليد واللسان والقلب جميعا ، والاسلام يدعونا الى تحرير الاجزاء الباقية من وطننا تحت الاحتلال الاجنبي ، والاسلام يدعونا لنصرة الحق والدفاع عن الخير والعمل من اجل السلام والامن لا نراعي في ذلك جنسا ولا لونا ولا مذهبا .

تلك بعض رسالة الاسلام ، وتلك بعض الدعوة التي ندعو لها ، ونجمع الناس حول هذه المجلة للتبشير بها ، فعسى ان يوفقنا الله ويوفق جميع المسلمين الراشدين .

دعوة الحق

خطاب صاحب الجلالة بمناسبة العام الجديد



الحمد للــــه

يطيب لنا بمناسبة حلول السنة الجديدة 1960 ان نوجه تهانئنا الى جميع افراد الاسرة البشرية الكبرى وشعوبها مشفوعة بما نتمناه لها من امن وطمأنينة ورقي وسعادة ورخاء .

لقد ادبر العام الذي نودعه الان مثقلا بالفتوحات العلمية والخطوات الواسعة للعقل البشري في مضمار الرقي والتقدم حافلا بما بذل فيه من جهود صادقــــة للتقريب بين الدول والشعوب وتخفيف حدة التوتـــر العالمي والقضاء على اسباب النزاع والخلاف ، واقبـــل العام الجديد يحمل كثيرا من البشائر والوعود السارة التي تعيد الى النفوس ثقتها والى العالم استقــراره واننا لنأمل ان تتضافر الجهود في كل الامم للدفاع عن الحرية وصيانة الكرامة ويتعاون الجميع على القيـام بأعمال بناءة مثمرة يستفيد منها أفراد الجنس البشري قاطبة وتنعم بها الدنيا مسرة واخاء وهناء

اننا في مطلع هذا العام نوجه باسمنا واسم شعبنا تهانئنا الى الشعوب التي ستشهد فيه ميلاد تحررها وارتقاءها الى مصاف الدول المستقلة راجين لهــــا التوفيق في تحقيق خيرها ورقيها والقدرة على حمـل اعبائها الجديدة كما نوجه تحياتنا الى الشعوب الاخرى التي ما زالت تكافح في سبيل الحصول على حريتهـا مؤملين لها ادراك المطامح ونيل المقاصد في اقرب واقصر مدى .

ان رؤساء الدول على الخصوص ينبغي لهم ان يتدرعوا بكثير من الصبر والحكمة لحل المشاكــــل وتذليل المصاعب وتيسير اسباب التقارب والتفاهـم والوئام ، فليس الواحد منهم مسؤولا عن مصير شعبه وحده ، بل مصير الشعوب الاخرى كذلك والمجموعـة البشرية ، فقد تقاربت الابعاد وطويت المسافات حتى أصبحت شعوب الدنيا بمثابة أعضاء اسرة واحدة اذا اشتكى عضو منها تداعى له سائرها ، لذلك اصبح لزاما على رؤساء الدول والممسكين بأزمة الحكومات أن تكون أفكارهم وأعمالهم ترمي الى غايات انسانية عامة بجانب الغايات الوطنية الخاصة التي لكل منهم ، وأن يبذلوا جهودهم للقيام بأعمال ايجابية في ميادين بناءة ، كتحقيق التطور الاقتصادي والتقدم الاجتماعي والفني والعلمي في العالم كله، وبسط ظلال العدالة الاجتماعية على جميع البشر ، ونشر الوعي الانساني بين الشعوب ليوضع بذلك حد للتفاوت ويقضي على اسباب الازمات والحروب

وختاما نجدد رجاءنا وأملنا في الله العلي القدير أن يحيينا حياة طيبة ويسبغ علينا جميعا أردية السعادة والعافية ويقينا جميعا من كل سوء انه سميع مجيب

دراسات إسلامية

قصور النظر الانساني

للأستاذ ابي الاعلى المودودي
أمير الجماعة الاسلامية بباكستان



«**كان** طفل صغير جميل الطلعة فى الثانية من عمره مصابا بالحمى الشديدة حتى كان لا يقدر ولا اقسى الناس قلبا ان يرى شدة كربه واضطرابه . كان المسكين تارة ينظر الى امه وابيه رقما لالمه ويفتح فمه تارة اخرى امام الطبيب يتناول من يده الدواء المر ، وبعد ان ظل يقاسي هذا الالم والشدة يوما كاملا فجع والديه واظلم فى وجههما الدنيا بانتقاله من دار الفناء الى دار الخلود . وانا عند ما رايته يجود بنفسه فى عالم من الكرب العظيم ، ساءلت نفسي : لماذا ان الله الذي هو مصدر الرحمة والكرم ومنبع الرافة والشفقة على عباده ياخذ بمثل هذه الالام والمصائب اطفالا صغارا غضاض الطرف لم يدنس ذيلهم بشيء من معصيته » ؟

هذه سطور اقتبستها من رسالة وصلتني بها احد اصدقائي الافاضل وان السؤال الذي ثار فى قلبه ، يثور فى قلب كل مومن على غير صورة واحدة عندما يشاهد فى الدنيا مشاهد الموت والمرض ونزول الآفات والمصائب . فموت آلاف من افراد البشر فى الاوبئة وخراب آلاف من البيوت فى زلازل الارض ومعاناة الناس انواعا من النكبات فى سيول الماء واضطرابهم بقلق لا يطاق فى مختلف انواع الامراض وما اليها من مناظر الالم والبؤس ومشاهد الغم والكمد يتساءل عندها الانسان بحكم طبيعته : لماذا ان الله الذي هو رؤوف رحيم بعباده ويمن عليهم بربوبيته وكرمه وفضله ويقول بنفسه : **« ما انا بظلام للعبيد »** ، ما له ينزل بهم مثل هذه الآفات والالام والهموم والكروب على انه هو الذي اودعهم الشعور بالالم ؟ وقد يغالي بعضهم ويكادون يعدون هذه الآثار لغضب الله لا تتفق مع اتصافه بالرحمة والكرم والرافة فيقولون فى حيرة ـ ومعاذ الله ـ ان الله قوة عمياء لا علم لها براحة احد او المه ، قوة تبني شيئا ثم تهدمه بنفسها بدون ما غاية ولا مصلحة ولا نظام .

والذين قد تاملوا فى نظام الكون ودققوا النظر فى ملكوت السماوات والارض ، قد افضى بهم بحثهم الى ان ليس هذا الكون يشتمل على اجزاء متفرقة يستقل بعضها عن بعض ، بل هو كل مرتبطة جميع اجزائه بعضها ببعض ـ ارتباطا محكما ـ وان العلاقة بين كل ذرة فى الارض وذرة فى المريخ او العطارد مثل علاقة شعرة فى راس الانسان بشعرة فى يده او رجله ، وان ليس هذا الارتباط بين اجزاء الكون وذراته فحسب ، بل هو كذلك بين كل ما يحصل فيه من الحوادث والوقائع ، فما كل

حادث مهم او غير مهم فيه بحادث مستقل براسه وانما هو حلقة من حلقات سلسلة حوادثه ولا يصدر الا تحت مصلحة شاملة لا تغفل عنها عين الخالق عز وجل في تسييره لشؤون الكون غير المحدودة . فالذي يجب ان نتفكر فيه الآن هو : هل ان الانسان الذي لا يحيط بالكون نظرا ولا ينظر منه الا الى جزء تافه لا يعدو في نسبته الى الكل نسبة ذرة صغيرة الى الشمس ، والذي ليست امامه السلسلة المتكاملة لحوادث الكون وانما امامه حلقة او حلقتان من حلقاتها غير الآتية تحت العد والحصر ، والذي لا ينظر حتى من هذا الجزء التافه وحلقة حوادثه الكثيرة الا الى السطح الظاهري وما بيده من وسيلة لادراك حقائقه الباطنة الخفية ، هل له اذا نظر الى حادث جزئي من حوادث الكون الكثيرة المتنوعة ، ان يكون قادرا على أن يقرر رأيا في حكمه واسراره ومصالحه ؟ وهل يجوز ان يكون رايه صحيحا اذا ابى الا ان يقرر فيه رايه على عجزه ؟

دع عنك ذكر نظام الكون فانه واسع كبير حيث تعجز اذهاننا حتى عن التامل فيه ، وخذ بالبحث ــ على نطاق محدود ــ نظام دولة من الدول الانسانية في الارض ، تر ان من يناط به فيها منصب من مناصب المسؤولية ــ كالرئاسة والوزارة مثلا ــ ، لا يكون الا انسانا مثلنا ولا يكون بينه وبيننا فرق كبير باعتبار الكفاءة والاهلية الفطرية ، بل لا يكون من اعماله شيء لا تكون فينا القوة لادراكه والقيام به ، الا ان مجرد الفرق القائم بيننا وبينه على انه ينظر الى ادارة الدولة وشؤون البلاد من كرسي منصبه واننا جالسون في ناحية من نواحي الدولة ولا علاقة لنا مباشرة بشؤون البلاد ، ان مجرد هذا الفرق يجعل بيننا وبينه تفاوتا كبيرا لا نستطيع معه ان ندرك اعماله فعلا ولا ان نعرف ، اذا نظرنا الى حادث جزئي من الحوادث الواقعة في البلاد ، ما هي غايته ومصلحته فتفكر انه لما كان مثل هذا التفاوت الكبير يحصل بين الانسان والانسان لمجرد الفرق في منزلتهما ، فماذا عسى ان يكون مدى التفاوت كبيرا بين الانسان وبين الله خالق الكون ومدبر شؤونه على ان ليس الفرق بينهما فرق المنزلة بل هو فرق الحقيقة . ان الله له ملك السماوات والارض وما بينهما ولا نعيش نحن الا في ناحية صغيرة من نواحي ملكه العديدة ، وانه يحيط بالكون كله علما ونظرا ونعجز حتى عن معرفة ما في داخل انفسنا من الحقائق الباطنة ، وان له قوى لا يحدها شيء وما عندنا ولا قوة من تلك القوى . فهل اذا جئنا على هذا التفاوت ننتقد عليه افعاله ونقرر رأيا في حكمها ومصالحها وصحتها او خطئها ، فقل لي بالله هل لا نكون أوغل في الجهل بالف الف مرة من ذلك القروي الذي يجلس في كوخه وينتقد على الدولة البريطانية مثلا افعالها ويقرر رايه في صحتها او خطئها ؟

وخذ على ذلك مثلا آخر لعله اكثر وضوحا من الاول :

هب انك بستاني تعمل في بستانك . فلابد ان تكون محبا لهذا البستان ، فانك انت الذي قد غرسته بيدك وبذلت كل جهدك ومهارتك في ترقيته وتزيينه وتنسيقه . ولا بد كذلك ان تكون محبا لما فيه من الاشجار والشجيرات ، ولا تالوا جهدا في حفظها وتعهدها بالسقي ، ولا ترضى ابدا ان تقطعها او تقتلعها بدون سبب ، وتتألم اشد الالم اذا جاء احد غيرك يقطع اغصانها او يحفر جذورها . ثم انك تعلم بالطريق العلمي ان النباتات فيها الشعور بالراحة والفرح والالم والاذى وان الاشجار اذا قطعت اغصانها واوراقها واثمارها تحزن وتتألم على انقطاع اغصانها ومفارقة اولادها (اثمارها وازهارها) ولكنك على الرغم من هذا العلم والحب منك لاشجار بستانك ، تقطع اغصانها وتنزع اوراقها وتقطف ازهارها المتفتحة وغير المتفتحة واثمارها الناضجة وغير الناضجة وطالما تهذبها بالتأبير وتقتلع ما يكون قد يبس منها . لماذا ؟ رعاية منك لحاجتك تارة ولمصلحة البستان الشاملة تارة اخرى .

انظر بوجهة نظر الاشجار ، تجد ان ليس كل ذلك منك الا ظلم واعتداء . وهي لو كانت تنطق لقالت : ما اقسى قلب هذا البستاني واعظم ظلمه واعتداءه يقطع اعضاءنا ويسلبنا اولادنا اللطيفة الطريئة وقد يقتلع منا ما لا يكاد يمر عليه ربيع واحد من حياته ولا يراعي في

ذلك لشيخ شيوخته ولا لشاب شبابه ولا لطفل طفولته كأن لا شغل يشغله غير القطع والتخريب ، بل الظالم ياتي بعض الاحيان بآلة ماضية يدرس بها آلاف من افراد جنسنا ويقتلها دفعة واحدة ، انا لا نرى مصلحة في قطعه وتابيره واقتلاعه ايانا ، بل نراه رجلا مستبدا قد نحت قلبه من حجر ولا حس ولا شعور بالم غيره : يسقينا تارة ويقطع اعضاءنا بالمقراض تارة اخرى ، ويغذينا تارة بالسماد ويضربنا بالمعول تارة اخرى ، ويحفظنا من غيره تارة ويقتلعنا بيده تارة اخرى ، ويداوينا في الامراض تارة ، ويقلع رؤوسنا بكل شدة وقساوة قلب تارة اخرى على غير نظام ولا مصلحة ولا غاية . فكيف يجوز ان نراه رحيما ونعتقد في قلبه عواطف الحب والرافة والشفقة علينا ؟

قل لي بالله ماذا سيكون من جوابك اذا نطقت الاشجار بهذه الكلمات وانتقدت عليك نظام اعمالك وتدبيرك لشؤون بستانك ؟ افلا تقول : ان هذه الاشجار مقصورة النظر محدودة الفكرة لا ترى الا وجودها ، واما انا فواسع النظر ارعى على الدوام مصلحة البستان الشاملة . وانها لا تعطف الا على ازهارها واثمارها واغصانها واوراقها وغاية ما يكون منها ان تتعلق بعلاقة الجوار والصداقة والحب والمواساة بما حولها من افراد جنسها ، واما انا فنصب عيني خير البستان كله واعمل بصورة عامة لاصلاحه وتزيينه وتنسيقه . وان كل شجرة منها تظن لجهلها وغرارتها اني ما غرست البستان كله الا لاجلها واجل صديقاتها وحبيباتها ، مع ان الحقيقة ان ليس شغفي بها الا لاجل بستاني ، وانا لا اسهر على حفظها ورعايتها بالغذاء والسقي الا الى حد يتفق مع مصلحة البستان والا فاني لا اتردد ابدا في قطع اعضائها وتابير رؤوسها بل ولا في اقتلاعها من جذورها كلما دعتني اليه مصلحة البستان ، لان مصلحة البستان الشاملة اعز علي من مصلحة كل شجرة وازهارها واثمارها واغصانها واوراقها على حدة . وان هذه الاشجار تظن اني اقطعها اقطع منها عداوة لها واعتداء على حقوقها ، ولكن ما كل ذلك منها الا لجهلها وسفاهتها وقصور نظرها ، انها لا تقدر ان تفهم شؤون البستان ومصالحه وما عندها الشعور الا باذاها ولا الامنية الا براحتها وبقائها ، فهي تضجر وتصخب وتتهمني بالظلم والاعتداء اذا ما رات مني شيئا يصادم امنيتها وشعورها ، ولكن ليست الحقيقة تابعة لظنها ولن اكون ظالما لمجرد شعورها ولن ارضى ابدا بتبديل نظامي لتدبير شؤون البستان رعاية لمصلحة كل واحدة منها .

وسع في هذا المثال البسيط وانظر فيه على نطاق اكبر ، تجد فيه ما يزيل قلقك واضطرابك اننا نعلم بالنظر في الكون والتفكير في نظامه المنسجم انه من اللازم ان يكون موجد معمله الكبير ومدبر شؤونه المتعددة وجودا بالغا الكمال في العلم والحكمة والخبرة . انه من المستحيل البتة ان يكون غافلا عن رغباتنا واماني نفوسنا من قد اوجدها فينا او جاهلا باحاسيسنا وخيالاتنا من قد اودعنا اياها ، او لا يعلم كيفية الم الطفل ووجع والديه بمرضه وموته من قد خلقه وجعل حبه في قلوب والديه ، ولكنه اذا شاء على علمه بكل هذا — ومن اوسع منه علما — ان يبتلي الطفل ووالديه بمرضه وموته ، واذا رضي ان يدوس احاسيسنا على علمه بها ، واذا ابى ان ينجز آمالنا وامانينا على هدم غفلته عنها ، فلنعلم ان كل ما قد فعل ، كان ما لا مندوحة عنه ولا كان في علمه شيء افضل منه بحقنا وانه لو كان، لاختاره بدلا منه ، لانه العليم الحكيم ولا يجوز ان يظن بالحكيم ان يفضل شيئا لا مصلحة فيه على شيء فيه المصلحة. ومما لا مجال فيه للريبة على ذلك اننا لا نعرف ما في افعاله من الاسرار والحكم لان نظرنا لا يحيط بالكون كله ومن المتعذر علينا ان نعلم اي شيء هو اللازم المناسب ولاي الاوقات اما ان كنا نعتقد على الوجه الاجمالي اعتقادا صحيحا بحكمة الله عز وجل وعلمه وخبرته بكل شيء ، فسنعلم علم اليقين عند كل نزول آفة ان حكمة الله هي التي لابد ان تكون متقاضية لنزولها بنا ولا تكون هذه الآفة هي المناسبة لاحوالنا في علمه ، فاذن لابد ان نستسلم لمشيئته ونرضى بمرضاته .

وحقيقة اخرى نعلمها بالتفكير هي ان الله الذي يسير نظام الكون ويدبر شؤونه ، نصب عينه الخير

الكلي دائما وان كل ما قد تراه شرا من افعاله ، لا يجوز ان يقال انه شر الا باعتبار نسبته الى الافراد والآحاد وما هو في حقيقة الامر الا للخير الكلي وان وقوعه وسيلة لازمة لحصول الخير الكلي وانه لو لم يكن لازما وامكن حصول الخير الكلي بدونه ، لما كان له وجود في افعال الله العليم الخبير واختار لافعاله نظاما غير النظام الحاضر . ونعلم كذلك عندما نمعن النظر في الكون ونظامه ، على كل ما فينا من مكامن الضعف والعجز ، ان هذا الكون ما كان يصلح له نظام احسن من نظامه الحاضر . وانه ليس في الامكان ان يقترح له نظام آخر لا يكون فيه اثر لنوع من الشرور الجزئية والنسبية . بل الحق ان النظام الحاضر للكون اذا انعدمت فيه الشرور ، فلا بد ان يكون انعدامها شرا اكبر من شر وجودها لانه سيحول دون ظهور كثير من الخيرات لاجل خير جزئي واحد . خذ بالبحث ــ على سبيل المثال ــ الموت فانه هو الذي يفر منه الانسان ويخافه اكثر من كل شيء آخر . فكم من افراد البشر يسهل عليهم سلوك طريق الحياة موت واحد منهم ، ولا معنى لان يعمر احد الى الابد ان يضيق باب الحياة على عدد كبير منهم . واذا كانت حياته الى الابد خيرا فانما هي كذلك لذاته فقط لا للخير الكلي . وعلى العكس من ذلك ان موته وان كان شرا لذاته ، ولكنه شر هو الوسيلة المحتومة الوحيدة لحصول كثير من الخير الجزئي . اما بالنسبة للخير الكلي ، فلا يقع اي نقص بموت هذا الفرد الخاص لانه لا يحدث شيئا من الاختلال في نظام الكون .

ولك ان تعرف بالقياس على هذا المثال ان كل ما يحل بالافراد من المصائب والنكبات والآفات ، هو شر بناحية ووسيلة لحصول الخير بناحية اخرى ولابد للخير الكلي من وقوعه . فاحيانا ندرك بقليل من التأمل جهة كونه وسيلة للخير ، ويثبت لنا احيانا اخرى بالتجربة ان شيئا كنا نحسبه شرا كان في الحقيقة سببا للخير . فالذي يجب علينا ، اذا لم ندرك جهة الخير في شر ، ان نؤمن على الوجه الاجمالي بان الله لا يفعل الا خيرا وما خيرنا الا في ان نستسلم لقدره المقدور سواء أ ادركنا السر في فعله او لم ندركه .

حوريتـــــي (1)

... حوريتي بك منذ كنت هيامـي	وتحيـري في عـالـم الاحــــلام
ولقد عشقتك منذ عرفان الهـوى	بل قبل عرفان الوجـود الظامـي
وبحثت عنك مع الجماهيـر التـي	سـارت اليـك بلهفـة وغــرام
.. خيرت ما بين الحياة وطيبهـا	والقصـر والاعــوان والخــدام
ووظائــف محفوفــة بلذائــذ	وتبختــر في حليــة ووســام
ما بيــن ذاك وبيــن عيــش مشــرد	بين الجبـال الســود والآكـــام
قد خرت وجهك فانظرتي اقتبس	من نــوره المتلالــىء البســام
حوريتـي دومـي الـي فانـي	لك منذ كنـت وفيـك هيامـي

علال الفاسي

(1) « ابيات من قصيدة الحرية التي نظمت بمنفى مليانا سنة 1943 » .

التشريع الاسلامي بين التشريعات الحديثة

للدكتور محمد يوسف موسى

منذ كانت الدنيا والثقافة والعلوم حظ مشاع بين البشر تاخذها كل امة فيها استعداد ممن سبقها فتستفيد منها وتنقحها وتزيد عليها حسب مبلغها من العلم سواء في ذلك التشريعات والعلوم النظرية والعملية وقد اتجه العرب في نهضتهم الحالية الى نوع جديد من الدراسات المقارنة بين التشريعات ومختلف النظريات العلمية فكشف لهم الحال عن كثير من النواحي كان لهم فضل السبق اليها .

وهذا البحث القيم الذي نقدمه اليوم لقرائنا الاعزاء يكشف لنا عن ناحية هامة من التشريع الاسلامي وهو للدكتور محمد يوسف موسى وقداخترناه من مجلة ((الازهر)) التي يساهم فيها نخبة من حملة الاقلام تعميما لفائدته ليطلع طلبة الحقوق وغيرهم على فضل هذا التشريع الاسلامي الذي اصبح مفخرة بين التشريعات الحديثة .

دعوة الحق

تمهيد :

يعرف الباحثون عن تاريخ الامم والشعوب انه كان لكل مجتمع ، مهما كانت درجته من الفكر والحضارة ، حظه من قواعد قانونية يجري عليها في معاملاته وتصرفاته المالية ، وفي الاحوال الشخصية التي تقوم عليها الاسرة من الزواج وما يتصل به ، وفي علاج جرائم المجتمع بوضع العقوبات الزاجرة الرادعة ، وفي غير هذا كله من الشؤون ومسائل الحياة ومشاكلها .

نعم . ان هذه المعاملات التي تقوم بين الناس في اي مجتمع ، وعلاقات بعضهم ببعض ، لايمكن ان تترك فوضى ينظمها كل فرد وفق رغبته ومشيئته ، والا حقت قولة الفيلسوف الفرنسي (بوسويه) : « حيث يملك الكل فعل مايشاءون ، لا يملك احد فعل مايشاء ، وحيث لاسيد ، فالكل سيد ، وحيث الكل سيد ، فالكل عبيد ، وتلك حال لايتصور ان تكون ، وان كانت فهي لاتدوم ، اذ ينتهي الامر الى ان يكون الحكم للقوة تقضي في الضعفاء بما تشاء » .

والمجتمع العربي ، في شبه جزيرة العرب قبل الاسلام ، لم يشذ طبعا عن هذا الاصل الذي يقوم عليه بقاء الشخص والنوع والاجتماع والعمران . من اجل ذلك ، نعرف من التاريخ ان العرب عرفوا في جاهليتهم قواعد قانونية كثيرة قام عليها مجتمعهم ، وكان ذلك في نواح شتى من النواحي التي عالجها الاسلام فيما بعد ، فالغى منها مالايتفق والعدل الصالح العام ، وابقى ماوجده خيرا ، فما كان الاسلام ليغير كل ماكانت عليه الامة العربية ، حتى ماكان صالحا لبناء مجتمع صالح للحياة الطيبة .

على انه مهما كان حظ العرب قبل الاسلام من القواعد والمبادىء القانونية في هذه الناحية او تلك من نواحي الحياة العملية ، فاننا لانستطيع ان نزعم انهم وصلوا من ذلك الى مايكفي لتقوم عليه امة صالحة للحياة ، ومن اجل هذا وغيره كانت الحاجة ماسة للاسلام وشريعته .

اجل ، ظهر الاسلام والعرب ــ بل العالم كله ــ في اشد الحاجة اليه فآتاهم العقيدة الحقة ، والشريعة الصحيحة ، والنظم التي يقوم عليها المجتمع والامة ،

لتسهم في بعث العالم واخراجه من الظلمات الى النور ، وكان هذا ما نسميه اليوم بالفقه او التشريع الاسلامي.

شمولــه وغنـــاؤه :

والتشريع الاسلامي نظام شامل بلا ريب ؛ فهو يحكم الانسان وتصرفاته في كل حالاته ، في خاصة نفسه ، وفي صلاته بالله تعالى ، وفي علاقاته بالمجتمع الذي يعيش فيه ؛ وفي علاقة الامة او الدولة الاسلامية بالدول الاخرى . انه ينظم كل هذه العلاقات ؛ وذلك ببيان القواعد التي تهيمن عليها وتحكمها على اختلاف انــواعهـــا .

وذلك يرجع الى ان الاسلام ـ على خلاف غيره من الاديان التي سبقته ـ ليس عقيدة دينية فحسب ، بل هو دين واخلاق ودولة بكل ما تتسع هذه الكلمة من معنى ومدلول . والواقع يؤيد هذا الذي نقول . فكان لابد اذن من ان يكون في التشريع الذي جاء به جميع النظم والاحكام التي تقوم عليها كل هذه العلاقات ؛ من عامة وخاصة ، وسواء في ذلك ما يتصل بالفرد او المجتمـــع او الدولـــة .

ولذلك نجد في هذا التشريع العبادات واحكامها ، وهذا ما لا يوجد في اي تشريع آخر قديم او حديث ، والمعاملات واحكامها على اختلاف ضروبها . وبعبارات اخرى نجد في التشريع الاسلامي ـ فضلا عن احكام العبادات التي تنظم صلة العبد بربه وخالقه ـ كـــل ما يشتمله القانون بقسميه الكبيرين : القانون الخاص والقانـــون العام .

ففيه القانون المدني الذي يعتبر اصل القانـون الخاص بجميع فروعه الاخرى ؛ وفيه القانون التجاري، وقانون المرافعات ، والدولي الخاص ، ثم فيه القانون الدولـي العام ، والقانـون الدستـوري ، والقانـون الاداري ، والقانون المالي الذي يلحق به ، ثم القانـون الجنائـــــي (1) .

ومن هذا نرى بوضوح ان التشريع الاسلامي قد عرض لكل مسائل القانون باقسامه وفروعه العديدة المختلفة ، وهذا امر بدهي لا يحتاج الى ايضاح او تعليل ، مادام انه كان تشريعا كاملا للامة الاسلامية في كل احوالها الداخلية والخارجية ، وكذلك لكل امة اخرى تريد الخير لنفسها .

على هذا التشريع الشامل لكل ابواب وفروع التشريعات الحديثة ، والغني باصوله القوية واحكامه الصالحة لكل زمن ومكان ؛ قامت الامة الاسلامية قرونا طويلة وافاد منه الغربيـون انفسهـم في قوانينهـم الوضعية ايام كانوا يعتبرون المسلمين عباقرة ومثلا عليا في كل شيء ، وبخاصة فرنسا . فقد استمد القانون المدني الفرنسي الذي وضع عام 1805 ميلادية الكثير جدا من احكامه من التشريع الاسلامي على مذهب الامام مالك بن انس رضي الله عنه .

وذلك بانه لم تات سنة مائتين من الهجرة حتى كان مذهب ملك قد ساد في الاندلس في الحكم والقضاء ؛ وهو لايزال سائدا في المغرب الافريقي حتى اليـوم ، وكانت بلاد الاندلس مثابة يفد اليها علماء اوربا يغترفون من العلم الاسلامي ويستضيئون بنـوره ؛ وهي مع هذا قطعة من اوربا ؛ وبذلك يكون التشريع الاسلامي قد حكمت به اقاليم من اسبانيا وفرنسا وايطـاليـا .

وكان من هذا ان انتشر مذهب مالـك في تلك الاصقاع ؛ وان استمرت قواعده واحكامه معروفة في تلك البلاد بعد خروج المسلمين منها ، فـافـاد منه واضعو القانون المدني الفرنسي حيـن آن لفرنسا ان تضع لها قانونا مستقلا ، وليس على من يريد التأكد من ذلك الذي نقول الا ان يقوم بشيء من المقارنات بين التشريع الاسلامي وبين القانون المدني الفرنسي ؛ هذا القانون الذي هو الاصل الاول لقوانيننا الوضعية الحـــديثـــة (2) .

---

1) من الخير الرجـوع في هذا كلـه الى كتابنـا «الفقه الاسلامي» ـ مدخل لدراسته ونظام المعاملات فيه ـ ص 115/103 من الطبعة الثانية ـ فقد تكلمنا عن ذلك بتفصيل .

2) هذا راي بـدا يأخـذ قـوة في اوساط علماء التاريخ والقوانين والشرائع المنصفين ، ومع هـذا راجع (المقارنات التشريعية بيـن القوانيـن الوضعية المدنية والتشريـع الاسلامـي) للاستـاذ سيد عبد الله حسين ج 1 ص 17 وما بعدها .

ولكن بعد ان تزحزح المسلمون فى ازمان ماضية عن قيادتهم للعالم ، واخذ علماء الفقه الاسلامي بالتقليد فى الاحكام الشرعية ، وقف الاجتهاد فى التشريع وانزوى الفقهاء عن الحياة العامة قليلا او كثيرا حسب الازمان المختلفة . ولولا ذلك ماكنا بحاجة ابدا لاصطناع قوانين لاتتفق ودبننا وتقاليدنا ، قوانين يبين من المقارنة ان التشريع الاسلامي يفضلها فى كثير من النواحي .

مقارنات :

يطول بنا الحديث اذا دخلنا فى المقارنات الكثيرة بين التشريع الاسلامي وبين التشريعات الوضعية القديمة والحديثة ، ولان حيز هذا المقال ضيق محدود نكتفي بالبعض منها ، وبذلك يتبين لنا سمو التشريع الاسلامي على غيره من القوانين الوضعية فى نواح كثيرة ليس من اليسير عدها واحصاؤها .

ا ـ يرى الاستاذ الدكتور علي بدوي ، وهو احد المصريين الاعلام فى القانون ـ بحق ـ ان التشريع الاسلامي له استقلاله عن غيره من التشريعات القديمة ، وانه يفوق فى كثير من النواحي غيره من التشريعات الحديثة ، ومن ذلك نظام « الحسبة » وهي وظيفة اجتماعية قانونية اسلامية تقابل وظيفة النيابة العمومية اليوم ، ونظام العقاب بالتعزير وهو ترك تحديد العقوبة نوعا ومقدارا للقاضي فيحكم بما يراه تبعا لما يراه من ظروف الجريمة وحالة المجرم ونفسيته ، وهو نظام يمتاز به الفقه الاسلامي وينادي به كبار العلماء الجنائيين فى العصر الحديث (3) .

ب ـ والدكتور شفيق شحاته الاستاذ بكلية الحقوق يقول فى بعض ماكتبه ، واذا اردنا المقارنة من حيث قيمة النظم القانونية ، وجدنا التشريع الاسلامي قد سبق التشريع الروماني فى تقدير بعض المباديء العظيمة ، ومنها مبدا انتقال الملكية لمجرد الاتفاق (اي بلا حاجة لاجراءات رسمية وامور شكلية) ومبدا سلطان الارادة (اي ارادة كل من المتعاقدين) (4) .

ومبدا النيابة التعاقدية ، كما يقول وهو بصدد بحث نظرية النيابة فى العقد بطريق الوكالة او الفضالة ، ومبدا النيابة هذا لم يصل اليه التشريع الروماني الا بعد جهاد عنيف وهو قد بقي مجهولا من التشريع الفرنسي القديم ، اما الفقه الاسلامي فقد قال بالنيابة التامة ، وبالنيابة التامة الى حدود بعيدة جدا (5) .

ج ـ والاستاذان الدكتور عبد الرزاق السنهوري والدكتور احمد حشمت ابو ستيت يقولان فى المقارنة بين الشريعة الاسلامية والقانون الروماني ، ما يحسن ان ننقله حرفيا ايضا : « لم تسلك الشريعة الاسلامية فى نموها الطريق الذي سلكه الفقه الروماني ، فان هذا القانون بدا عادات كما قدمنا ، ونما وازدهر من طريق الدعوى والاجراءات الشكلية . اما الشريعة الاسلامية ، فقد بدات كتابا منزلا ووحيا من عند الله ، ونمت وازدهرت من طريق القياس المنطقي والاحكام الموضوعية ... الا ان الفقهاء المسلمين امتازوا على فقهاء الرومان ، بل امتازوا على فقهاء العالم ، باستخلاصهم اصولا ومباديء عامة من نوع آخر ، هي اصول الاحكام من مصادرها ، وهذا ماسموه بعلم اصول الفقه (6) .

د ـ هذا ونكتفي فى ناحية المقارنات ببيان آن التشريع الاسلامي تسوده النزعة « الجماعية » التي تهدف الى صالح الفرد والمجتمع معا ، وهذه النزعة تجدها واضحة فى تشريعات العبادات والمعاملات معا فكل التشريعات فى هاتين الناحيتين تهدف الى تهذيب الفرد وتحقيق ما فيه خيره وخير المجتمع باسره ، والمثل لذلك واضحة ندركها بسهولة ويسر وتكفينا فيها الاشارة .

---

3) راجع مجلة القانون والاقتصاد ، العدد 5 من السنة الاولى الصادر فى نوفمبر 1931 ص 733 وما بعدها .
4) النظرية العامة للالتزامات فى الشريعة الاسلامية ، ج ، 1 ، 1 ، 2
5) النظرية العامة للالتزامات فى الشريعة الاسلامية ، ج 1 ، 161
6) اصول القانون ، ص 132 .

نشير مثلا الى حكمة تشريع الصلاة والصوم والزكاة والحج ، وحل البيع وتحريم الربا ، والامر برعاية الجار والوفاء بالعقود وتحريم الزنا ، واقامة الحدود صيانة للمجتمع ، الى آخر ما نعرف من الاحكام التي جاءت بالامر والنهي والحل والحرمة ؛ ففيها كلها تهذيب للفرد وخير له وللمجتمع معا .

وبعد هذا التعميم لابد من التخصيص ، وذلك بالاتيان ببعض المثل المحدودة الواضحة الدلالة على مانقول ، اي على ان الطابع العام السائد في التشريع الاسلامي من اول امره هو الطابع الجماعي ، وذلك بعكس التشريعات الوضعية .

اوجب الله تعالى في اموال الاغنياء حقا معلوما للسائل والمحروم ، هذا ماتسميه بالزكاة التي تؤخذ من الاغنياء لتعطى للفقراء ، ثم جعل في اموال الاغنياء حقوقا اخرى غير الزكاة ، ولهذا نرى الله تعالى يقول : « سورة البقرة آية 177 » « **ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ، واقام الصلاة وآتى الزكاة** » ... واذن ، ففي المال حقوق اخرى غير الزكاة وهذه الحقوق تعطى لذوي القربى واليتامى والمساكين ونحوهم .

ومثال ثان ، وهو من المعروف ، كما رواه الامام ابو يوسف (7) ، انه لما فتح الله العراق والشام على المسلمين ايام عمر بن الخطاب اراد فريق كبير من المسلمين قسمة الارض وما عليها بين اصحاب الحق الفاتحين ، لكن الامام عمر راي ان يترك الارض بيد ملاكها على ان يدفعوا الخراج والجزية لصالح المسلمين جميعا ، وكان هذا توفيقا من الله لعمر بن الخطاب كما عوده في كثير من الحالات .

واوجب التشريع الاسلامي من ناحية اخرى ، النفقة اللازمة في بيت المال لكل فقير عاجز عن العمل وليس له قريب تجب عليه نفقته ، لافرق في ذلك بين المسلم وغير المسلم الذي يعيش تحت ظل الاسلام ، وفي هذا يروي التاريخ ان عمر بن الخطاب امر برفع الجزية عن كل ذمي لايقدر على ادائها وبان يفرض له في بيت المال ما يكفيه هو وعياله ما اقام بدار الاسلام .

ومثال آخر بل مثل اخرى نأخذها من تطبيقات القاعدة الاسلامية المعروفة ، وهي : « لاضرر ولا ضرار في الاسلام » هذه القاعدة التي عرفها التشريع الاسلامي منذ وجوده ، والتي عرفتها التشريعات الحديثة بعد ذلك بقرون وقرون تحت عنوان « نظرية سوء استعمال الحقوق » .

فطبقا لهذا الاصل العظيم يجب الا يسيء المرء استعمال حقه لدرجة ان يكون في ذلك ضرر كبير لآخر ، ولهذا ، يكون للزوجة أن تطلب تطليقها من زوجها اذا نالها بضرر غير مشروع ، وللجار او الشريك ان يطالب بالشفعة فيما باعه شريكه او جاره الآخر لاجنبي ، مع أن من خصائص الملكية حرية المالك في التصرف فيما يملك ، وللانسان ان يحفر في ارض غيره مجرى ماء ليروي ارضه البعيدة عن مجرى الماء ، ويجبر صاحب الارض الاخرى المجاورة للماء على ذلك .

تلك المثل ، ولو شئنا لاتينا بأخرى كثيرة ، فيها الكفاية لاثبات النزعة « الجماعية » للتشريع الاسلامي هذه النزعة التي نجد مصدرها الاصيل في القرآن الكريم وسنة الرسول العظيم واحكام وآراء كبار الصحابة والتابعين ، وذلك – كما قلنا – لان الشريعة الاسلامية لم تأت لصالح الفرد وحده ، بل لصالح المجتمع كل في اوسع حدوده .

اما التشريعات التي هي من صنع البشر ، فلم نلاحظ في اول امرها بخاصة هذه النظرية الجماعية او الاجتماعية السامية ، بل كانت تسودها الروح الفردية العنيفة ، ولنأخذ مثلا لذلك القانون الفرنسي الذي صدر في مفتتح القرن التاسع عشر .

لقد ساد هذا القانون روح فردية قوية تلتئم مع الروح التي املت حقوق الانسان ، وهي تدعيم حقوق الافراد وحمايتها ، وتنظر الى الفرد باعتباره العنصر الاهم في الحياة لا باعتباره جزءا من كل هو الجماعة ، وقد كان من نتائج ذلك ، ان اتى وقت اعتبرت فيه الحقوق مطلقة المدى ، وان صاحب الحق في استعماله سيد لايسأل عما يترتب على هذا الاستعمال من الاضرار التي تحيق بغيره (8) .

---

7) كتاب الخراج ، ص 14 – 15

8) راجع « مدى استعمال حقوق الزوجية وما تتقيد به في الشريعة الاسلامية ، والقانون المدني الحديث ، للاستاذ الدكتور السعيد مصطفى السعيد ؛ ص 5 .

ومن الحق ان التشريعات الوضعية فى هذا العصر الحديث اخذت فى الحد من استعمال المرء لحقوقه ، فنشأت نظرية سوء استعمال الحقوق التي اشرنا اليها آنفا ، ولكن بقي من الثابت الذي لاريب فيه ان نظر التشريع الاسلامي الى حقوق الافراد وتقييدها بما يحقق مصلحة الجماعة ولا يضر صاحب الحق ، اوسع مدى وابعد اثرا من نظر التشريعات الحديثة الى اليوم فى هذه الناحية .

ونعتقد ان هذه التفرقة الواضحة ، بين طابع التشريع الاسلامي الالهي وبين طابع التشريعات الوضعية ، ترجع الى تفرقة اساسية فى اصول حقوق الفرد فى الشريعة الاسلامية والقوانين البشرية .

ان القوانين الوضعية تعتبر حقوق الفرد حقوقا طبيعية له ، فهو يملكها ويتصرف فيها كما يرى ، فلا حرج عليه ولا تثريب ان اساء استعمالها . اما الشريعة السماوية الاسلامية فترى ان الفرد نفسه وكل مايعتبر له عادة من حقوق ملك لله وحده ، والله يمنح مايمنح لعبيده من حقوق الا لغرض حكيم هو تحقيق الخير للفرد والمجتمع معا ؛ ولذلك نجد تقييد استعمال الحقوق فى نواح مختلفة وكثيرة جدا ، ومن ثم ، وجب ان يكون الانسان فى عمله واستعماله لحقوقه متفقا مع قصد الله من التشريع ، والا كان عمله باطلا لمناقضته للشريعة ومقاصدها .

الحاجة دائما لهذا التشريع :

يتبين من هذا الذي قلناه ، ان حاجتنا للتشريع الاسلامي ــ وذلك مبلغ علوه على التشريعات الوضعية وغناه فى كل ناحية من نواحي القانون ــ لا تزال اليوم امرا ضروريا كما كانت فيما مضى ، **انه تشريع صلحت به أمة عظيمة سادت البشرية قرونا طويلة ، ولن تصلح فى هذا العصر وفى كل عصر الا اذا اخذت به واقامت حياتها على اسسه ومبادئه واحكامه .**

واذا ، لنا الحق فى ان نريد ان يكون هذا التشريع الاساس الاول والمصدر الرسمي لقوانيننا الحديثة ، ولا باس علينا مع هذا فى ان نفيد من كل خير نجده فى التفكير القانوني لاي امة من الامم الاخرى ، بل لعل هذا يكون واجبا ، فما كانت امة لتستغني عن غيرها فى كل شؤونها .

ونحمد الله تعالى على انه وجد وعي قومي فى مصر والبلاد العربية والاسلامية ؛ اخذ يطالب بتخليص قوانيننا من الاحتلال الاجنبي ، وهو احتلال فرنسي فى الاكثر من نواحي القانون ؛ كما اخذ كثير من رجال القانون واعلامه ينادون بما نطالب به ؛ وكان من هذا ان دخل فى القانون المدني الجديد كثير من الاحكام والنظريات المستمدة من الفقه الاسلامي وذلك امر معروف .

على ان هذه بداية طيبة نرجو ان تصل بنا الى مانريد ، ويسرنا هنا ان ننقل عن الاستاذ الدكتور السنهوري هذه الكلمة القيمة على وجازتها :

« والهدف الذي نرمي اليه هو تطوير الفقه الاسلامي ، وفقا لصناعته ، حتى تشتق منه قانونا حديثا يصلح للعصر الذي نعيش فيه ، وليس القانون المصري الجديد او القانون العراقي الجديد ، الا قانونا مناسبا فى الوقت الحاضر لمصر او العراق ، والقانون النهائي الدائم لكل من مصر والعراق ؛ بل ولجميع البلاد العربية ، انما هو « القانون المدني » الذي نشتقه من الشريعة الاسلامية بعد ان يتم تطورها ، وقد تكون البلاد العربية عند ظهور هذا القانون قد توحدت ، فيأتي القانون ليدعم وحدتها . وقد تكون فى طريقها الى التوحيد ؛ فيأتي القانون عاملا من عوامل توحيدها ، ويبقى على كل رمزا لهذه الوحدة » (9)

اما كيف نصل لهذا الذي نريد ؛ من سيادة الشريعة الاسلامية فى مصر وسائر البلاد العربية والاسلامية ، وما هي الوسائل التي تؤدي بنا الى ما نرجو فى المستقبل القريب . هذا ؛ وذلك لايتسع له نطاق هذا المقال ، ولعلنا نتكلم عن ذلك فى مقال آخر . والله المستعان .

---

9) راجع العالم العربي مقالات وبحوث ، الكتاب الثاني ، بحث القانون المدني العربي ص 28 و 29 نشر الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية مطبعة مصر سنة 1953 .

دواء الشاكين وقامع المشككين

للدكتور تقي الدين الهلالي

- I -

دعاني رئيس تحرير مجلة دعوة الحق الى كتابة مقالات تنشر فيها مما يناسب الغرض الذي انشئت لاجله وهو الثقافة العامة . وقد رايت وسمعت ان بعض الشبان وبعض المتصابين من الكهول يشتكون من داء الشك في العقائد الاسلامية والتشريع المحمدي الاغر .

وبالطبع ينتهج هذه الفرصة ابالسة التشكيك والتضليل من المستعمرين الروحيين في خارج البلاد ووكلائهم في داخلها . فرايت ان الكلام في هذا الموضوع من المهم المتعين . وان كان ائمتنا اهل الحديث ـ نضر الله وجوههم في الدنيا والآخرة ـ قد نهوا عن الخوض في علم الكلام والجدل دون ان تدعو الى ذلك ضرورة مقاومة المفسدين او تثبيت عقيدة المؤمنين فعند ذلك تتعين المقاومة ولا يجوز تاخير البيان عن وقت الحاجة . قال تعالى في سورة البقرة في الحزب الثالث باصطلاح المغاربة : « **ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم** » وروى احمد بن حنبل رحمه الله عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار** » . وساسوق باذن الله من البراهين القاطعة التي تضطر كل عاقل يطلب الحق الى الاعتقاد الراسخ لوجود الله سبحانه وانه الخالق البارئ لكل شيء في العوالم العلوية والسفلية والمهيمن عليه والمدبر لجميع شؤونه وحده بلا شريك ولا ظهير ولا معين .

التعريف بكتاب علمي قيم

الف العالم الفلكي الامريكي الطائر الصيت كريسي مورسن كتابا نفيسا باللغةالانكليزية . وقدترجم هذا الكتاب باللغة العربية مصدرا بمقدمة لشيخ الازهر السابق وسماه المترجم **(العلم يدعو للايمان)** الا ان الترجمة في بعض المواضع غامضة لايتبين معناها وليست موجودة عندي الآن ؛ وانما اعتمد في ماانتزعه من البراهين العلمية على النص الانكليزي وبالله التوفيق .

بدا هذا المؤلف الحكيم كتابه بمثل ضربه فقال : « افترض انك اخذت عشرة افلس وكتبت على كل واحد رقما مبتدئا من واحد الى عشرة ، ثم وضعت الافلس العشرة في كيس ثم هززت الكيس هزا عنيفا حتى اختلط الافلس بعضها ببعض ، ثم اردت ان تخرج تلك الافلس على ان تصادف يدك عند ادخالها الكيس في المرة الاولى الفلس المرقوم بواحد وفي المرة الثانية الفلس المرقوم برقم اثنين وفي الثالثة الفلس المرقوم برقم ثلاثة وهكذا الى آخرها على الترتيب . فكم يكون حظك من النجاح في المرة الاولى ان تصادف الفلس المرقم برقم واحد وفي المرة الثانية الفلس المرقم برقم اثنين على التوالي يكون واحد في المائة ، فان اردت ان تدخل يدك في الكيس ثلاث مرات متوالية وتصادف في المرة الاولى الفلس المرقوم برقم واحد وفي المرة الثانية الفلس المرقوم برقم اثنين ؛ وفي المرة الثالثة الفلس المرقوم برقم ثلاثة فان حظك من النجاح يكون واحدا في الالف . وان اردت ان تصادف الاول والثاني والثالث والرابع على التوالي فان حظك من النجاح يكون من عشرة آلف . وقس على ذلك الى

العاشر فان حظك من النجاح ان تصادف يدك الفلس المرقوم برقم واحد الى الفلس المرقوم برقم عشرة على التوالي يبلغ رقما لايتصوره العقل وهو واحد من عشرة ملايين » .

والغرض من ضرب هذا المثل السهل ادراكه ان نبين مقدار استحالة قول من يزعم ان هذا العالم تم خلقه وتدبيره بالمصادفة ، فان هناك شروطا لازمة لوجود الحياة على ارضنا هذه . وهذه الشروط لايمكن ابدا من الوجهة الحسابية ان توجد كلها بالنسب المطلوبة بالمصادفة المجردة على اي ارض في أي زمن ، لذلك يتحتم ان يكون وراء الطبيعة كائن عالم مدبر ، اذا علمت ذلك وهو حق تعلم يقينا ان خلق هذا العالم مقصود ومقدر قبل وجوده تقديرا دقيقا ، اذن فالغرض من تاليف هذا الكتاب الاشارة الى شيء من نظام هذا الكون العجيب .

دعنا الآن نختبر الحقائق المدهشة ، زعم علماء الفلك ان نجما عظيما مر بقرب شمسنا ودنا منها دنوا كبيرا بحيث وقع فيها ارتجاج واضطراب عظيم فانشقت وانفصلت عنها قطع كبيرة وكل قطعة اتخذت لها فلكا تدور فيه وكان ذلك منذ مايقرب من بليونين من السنين ، ثم ان احدى تلك الكتل التي انفصلت عن الشمس هي هذه الارض التي نعيش فيها .

قال كاتب هذا المقال قد يستأنس بعض الناس لاثبات هذه النظرية بقوله تعالى **« اولم ير الذين كفروا ان السماوات والارض كانتا رتقا ففتقناهما »** الآية .

ونحن لانريد ان نتعرض لهذا الاستئناس بنفي ولا اثبات لان ذلك يتطلب بحثا دقيقا واناة وصبرا ومقالا منفردا ، ولكن نريد ان نبين للمغرورين من الشاكين والمغرورين من المشككين ان مثل هذه النظريات التي يحاول علماء الفلك ان يحلوا بها المشكلات الكونية هي اضعف من ان يعتمد عليها في نفي وجود الباري جل وعلا وابداعه للكائنات وتدبيره لشؤونها بغاية الاحكام والاتقان ، كما قال تعالى في سورة السجدة **« ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي احسن كل شيء خلقه »** وقال تعالى في سورة النمل **« وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون »**. وقد انتقدت طائفة من علماء الفلك هذه النظرية ولم يقبلوها .

وهناك نظريات اخرى في تكوين الارض ليست اقوى ولا ابعث على الطمأنينة من النظرية السالفة وذلك يدل على قلة ما وصل اليه علم الانسان من اسرار خلق السماوات والارض ؛ قال تعالى « **وما اوتيتم من العلم الا قليلا »** وقال تعالى في سورة آل عمران **« ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب »**

ثم نعود الى الكلام على هذه الارض التي خلقنا الله فيها وامرنا بالنظر والتفكر فيها . فقال سبحانه **« افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الارض كيف سطحت »** قال العلماء ان هذه الارض صغيرة الحجم بالنسبة الى غيرها فهي من هذه الوجهة ليست من الاجرام الفلكية المهمة . ومع ذلك قام الدليل على انها اهم كوكب نعرفه .

ولنفرض ان الارض مؤلفة من العناصر الموجودة في الشمس لا غير ، فهذه العناصر موزعة في الارض كل واحد منها له نسبة مئوية وهذه الاجزاء التي خبرناها على وجه الارض توزيعها في غاية الدقة والاتقان ، يدل العالم به ان وراءه مدبرا عالما قديرا منزها عن الوهم والنقص ؛ ثم ان حجمها نفسه قد روعي فيه مقدار معلوم لايمكن ان يزيد ذرة ولا ان ينقصها . فسرعة دورانها في فلكها حول الشمس مقدرة تقديرا في غاية الدقة ، ودورانها على محورها مقدر كذلك ومحدد بحيث لو وقع فيه اختلاف بثانية واحدة فقط في مدة مائة سنة لانقلب الحساب الفلكي كله وتغيرت حدوده .

ويرافقها كوكب يعرف بالقمر ؛ وحركاته مقدرة بدقة وله دورة محدودة تبتديء وتنتهي في ثماني عشرة سنة وثلاثة ارباع السنة . ولو كان حجم الارض اكبر مما هو عليه او اصغر او كانت سرعتها على غير ماهي عليه لكانت المسافة التي بينها وبين الشمس ابعد او اقرب ، وهذه الحالة تؤثر تأثيرا بليغا في جميع انواع الحياة التي على وجه الارض ومنها حياة الانسان .

قلنا ان اختلاف سرعتها في دورانها يؤثر في بعد المسافة او قربها وفي كلتا الحالتين من القرب والبعد لايمكن ابدا وجود الحياة على وجه الارض على الوجه الذي نعرفه . والارض من بين جميع الكواكب السيارة ، وحسب مانعلمه حتى الآن هي الكوكب الوحيد الذي بسبب علاقته بالشمس صار في الامكان وجود هذه الحياة التي نحياها فيه .

قال كاتب المقال : « قال العلماء : ان العناصر التي تتألف منها الارض موزعة بمقادير دقيقة لاتزيد ذرة ولا تنقصها » ، فمن الذي قدرها قبل خلقها وعلم انها لاتصلح الا كذلك ، ثم خلقها وانشأها على وفق علمه وحفظ تلك المقادير محدودة بالحد الذي حده والنظام الذي ابدعه اليس هو الله رب العالمين القائل فى سورة الذاريات « **والارض فرشناها فنعم الماهدون** » وقال تعالى فى سورة النازعات « **والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها متاعا لكم ولانعامكم** » .

ومن الذي جعل حجم الارض على ماهو عليه وعلم انه لو زاد على هذا القدر لما امكن وجود الحياة على ظهر الارض ولبطل خلقها وانشاؤها) اليس هو الله رب العالمين ؟ .

ومن الذي جعل الارض تدور حول الشمس فى مدة سنة وتدور على محورها فى اربع وعشرين ساعة ، ولو زادت ثانية واحدة وهي جزء من ستين جزءا من الدقيقة فى مدة مائة سنة لاختل نظامها : ايمكن ان يوجد هذا كله على سبيل المصادفة بلا علم ولا تدبير ولا هيمنة ؟ كل من له ادنى مسكة من العقل والانصاف يعلم يقينا ان وراء ذلك الصنع العجيب مدبرا عليما حكيما فتبارك الله احسن الخالقين .

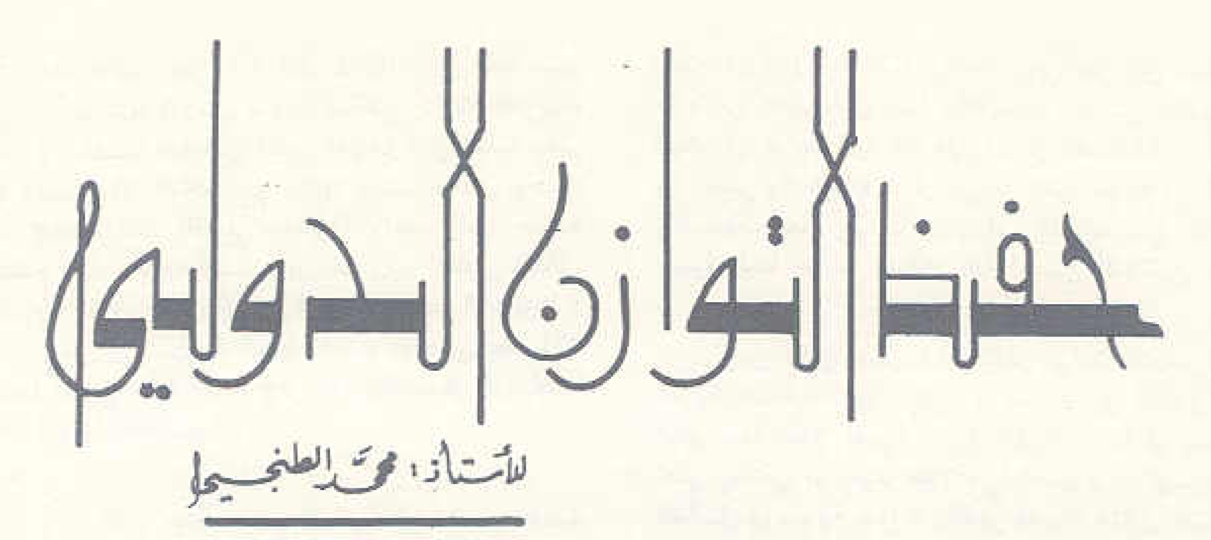
ومن الذي جعل هذا القمر يرافق الارض دائرا حولها بحساب دقيق معلوم فى منازله وفى المقادير التي تظهر منه هلالا فقمرا منيرا فبدرا تاما ثم يتناقص حتى يختفي ثم يعود هلالا مرة اخرى ، اليس هو القائل فى سورة يس « **والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون** » اليس هو القائل « **هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ظلال مبين** » .

(للبحث صلة)

حب الحقيقة

قد عرفت اشخاصا يحبون الصلاح مقابل واحد يحب الحقيقة ، بيد ان حب الحقيقة لذاتها فضيلة اعظم من حب الصلاح لذاته

« امرسون »



الناس مفطورون من لدن خالقهم الاعلى على حب الخير لانفسهم ودفع الشر عنهم ما وجدوا الى ذلك سبيلا ، وهم لا يقنعون بالكفاف من الحياة الا في الاقل النادر رغم ان عيشة الكفاف فيها راحة النفس من الكلف ، والامن في الغالب من المخاطر والتلف ، وقد حض الانبياء ورسل الانسانية على سلوك طريق الاعتدال في الاكتساب ، حتى يقع الاكتفاء بالمشروع من الوسائل والاسباب ، دون الممنوع الذي تضيع به حقوق الناس . فقال نبينا في هذا الصدد : ان روح القدس نفث في روعي اي في قلبي انه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله واجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق على ان تطلبوه بمعصية الله . وقال في نعمتي الامن والصحة مع وجود القوت للحياة اليومية : من اصبح آمنا في سربه اي جماعته معافى في بدنه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها . وفي حديث غزوة تبوك ان النبي خطب هناك ومما جاء في هذه الخطبة : ان القناعة كنز لا يفنى . وان ما قل وكفى خير مما كثر والهى . ويفهم منه ان ما كثر ولم يله بل انفق منه في سبيل الله ووقع التعاون به على طاعة الله والاحسان الى عباده لم يكن بتلك الصفة بل يتنزل عليه ما قاله النبي في الحديث الاخر : نعم المال الصالح للرجل الصالح .

واليه يشير قول الله تعالى في مدح المتعبدين : رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة .

الا ان نفوس كثير من الناس تريد استيعاب اسباب الاستعلاء واكتساب المال والحطام من الحلال او الحرام الا من رحم ربك ، وقد وجدت القوانين العادلة والسلطات المحافظة على تطبيقها في دائرة الامة الواحدة ، حتى يرتدع الافراد عن الاعتداء ويلزموا المحافظة على حقوق بعضهم ولا شك ان قوة الامن في الدولة تقاوم رغبة تعدي الافراد الذين لم يمنعهم ضميرهم عن ارتكاب العدوان فيحصل الضرب على ايدي المشاغبين والفتانين ، وان الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن كما قال سيدنا عثمان ابن عفان . ولكننا اذا خرجنا من دائرة الامة الواحدة الى ما يقع بين الامم نجدان لسياستها الاقتصادية ومذاهبها الاجتماعية تاثيرا كبيرا على نظرتها الى الدول الاخرى صغيرة كانت ام كبيرة ، ونجد ان الدول الكبرى تتجاذب بساط العز بينها وذلك بالرغبة في بسط سيطرتها على اكبر جزء ممكن من العالم اما بالسطوة السياسية او السياسة الاقتصادية ؛ وبذلك اصبحت كل واحدة من الدول الكبرى تتكتل مع الامم التي تشايعها في مذاهبها حتى انقسم العالم الى معسكرين شرقي وغربي ؛ يحذر كل واحد منهما خصمه ، ويود كبته وقضمه : بينما رات دول اخرى غير المتكتلة في المعسكرين ان تقف مسالمة لهما على الحياد رغبة منها عن الدخول في حرب باردة . او ساخنة تكثر فيها خسارة الغالب والمغلوب .

وان طبيعة حب الخير للنفس ودفع الشر عنها هي التي دفعت هذه الامم جمعاء للتكتل او الحياد بما فيها من اقوياء وضعفاء ، وقد اقتضت حكمة الله ان ان تتنوع المصالح بين الدول القوية رحمة بخلقه وتفضلا منه على العالمين لان اختلاف هذه المصالح واتباع كل دولة قوية لجانب منها هو الذي يحفظ التوازن فيما بينها وبالتالي يحفظ العالم من كثرة الحروب .

اما اتفاق الدول الكبرى اذا وقع فهو محنة للعالم . اذ لن يقع الا على حساب الدول الصغرى والامم التي لا تملك القنابل الذرية والهيدروجينية وما شابه ذلك .

وقد مرت في التاريخ المعاصر امامنا امثلة تجعل الامم الضعيفة تخاف من اتفاق الدول القوية ، فقد احتلت انجلترا مصر فلم تسكت عنها فرنسا بل فتحت محافلها وانديتها لزعماء مصر زيادة على الفرنسيين حتى عقدت معها اتفاق سنة 1904 اذ سلمت لها المغرب في مقابل تسليم فرنسا لها في مصر واخذت ايطاليا ليبيا كما سلمت فرنسا في عقد خاص بها شمال المغرب لاسبانيا وقد اغفلوا حظ المانيا في هذه الاتفاقات والتقسيمات فكان ذلك من اهم اسباب الحرب العالمية الاولى التي لقي فيها الظالمون بعض الجزاء عن اعتدائهم وظهرت حركات وطنية بعد تلك الحرب كانت لها نتائج باهرة بالنسبة للامم الضعيفة ، وان كانت تكتة فرنسا وانجلترا في تلك الحرب لم تمنعهما من اقتسام تركة تركيا في فلسطين وسوريا والعراق وغيرها من الامارات العربية .

ولو فرضنا ان الاعتداء الثلاثي على مصر لم تمانع فيه روسيا التي يضرها كثيرا استيلاء الدول الغربية على منابع البترول المخزون في البلاد العربية والاسلامية لكانت الحالة في البلاد الاسلامية جمعاء على غير ما نراها عليه ، ولكن حكمة الله في دفع الناس بعضهم ببعض حبا منهم في جلب المصالح ودفع المفاسد هي التي حفظت هذا التوازن فعاشت الامم الضعيفة في ظله آمنة ردحا من الزمن .

وما مؤتمر القمة التي تبدو الرغبة في عقده بين رؤساء الدول الا محاولة جديدة للتحكم في مصير العالم مرة اخرى لا ندري عواقب هذا التحكم على العالم اذا ارسيت قواعده واحكمت مكائده .

والذي يجعل الدول الصغرى تطمئن على مصيرها في المستقبل هو بقاء مذاهب هذه الدول الكبرى متباينة ومصالحها متعارضة ، اذ بذلك يمكن ان تبقى روسيا تندد بظلم فرنسا لاهل الجزائر ويمكن به ان تبقى امريكا والدول الغربية تندد بسياسة روسيا في بلغاريا وفيما يسمونه بما وراء الستار الحديدي ، ويمكن بذلك ان تبقى روسيا تندد بالاستعمار الانجليزي في الطايلاند وجنوب الجزيرة العربية وغير ذلك .

ويمكن لكل دولة حرة غير مقيدة بسياسة معينة ان تندد بالميز العنصري في اتحاد جنوب افريقيا وفي نفس امريكا حتى ترجع كل امة ظالمة عن ظلمها ويتلاقى بنزعات الخير الموجودة في النفوس ما يهدد العالم من نزعات الشر فتتماسك الحال ولله في خلقه شؤون والطاف في تدافع هذه الكتل الكبرى من الدول بعضها ببعض حتى يبقى بصيص من النور والامل امام الانسانية التي تعذب امم منها بايدي هؤلاء .

اما اندفاع بعضنا وتفاؤله بتقارب وجهة النظر بين المعسكرين وتشاؤمه من كثرة الخلاف بينهما فلا مسوغ لنظره الا اذا كان المؤتمرون متشبعين بروح المحبة التي جاء بها المسيح عليه السلام ، والا اذا لم تصرف دولهم اقساطا مهمة من ميزانيتها التي كادت بكثرتها تصل الى الارقام الفلكية في آلات تدمير الحضارات وابادة الانسانية .

ولكن حكمة الله في شريعة الوجود وحفظه الى اجله المحدود هي تلك الآية الخالدة ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين .

وقد ذكر الفخر الرازي في تفسير الآية ما خلاصته : ان الآية تشير الى المدفوع والمدفوع به وذلك في قوله دفاع الله الناس بعضهم ببعض ، اما المدفوع عنه فيحتمل انه الشرور في الدين من الكفر او المعاصي ويحتمل ان المدفوع هو الهرج والمرج واثارة الفتنة ، كما يحتمل ان الدفع يكون بالمومنين والابرار عن الكفار والفجار ، كما ذكر في الاحتمال الخامس ان يكون اللفظ محمولا على الكل يعني فيكون دفع الله الناس بعضهم ببعض عن الشرور كلها في الدين والدنيا حتى تتماسك الحال ، قال الرازي لان بين هذه الاقسام قدرا مشتركا وهو دفع المفسدة ، فاذا حملنا اللفظ عليه دخلت الاقسام باسرها فيه . وقوله حملنا اللفظ عليه فيه نوع تسامح لان المدفوع عنه غير مذكور باللفظ كما ذكر الرازي سابقا ، ولكنه متعلق محذوف يقدر عاما شاملا ليستوعب انواعا من الفساد التي بدفعها يحسن التعايش بين الناس . فيكون المعنى ان الكفر والمعاصي والهرج واثارة الفتن بسبب التكالب على الغلبة وجمع الحطام قد اوجد الله في الهيئة الاجتماعية من يدفع غوائلها او يخفف وطئتها من الانبياء وائمة الهدى والملوك والزعماء الصالحين الذين يأخذون بأخف الضررين عند تعارض الشرور ، فيكون في ذلك حفظ نوع من المصالح لعموم البشر .

وعلى هذا فحفظ توازن القوى في جوانب من العالم وتباين المصالح الذي يجعل بعض الدول الكبرى تسترضي عددا من الدول الصغرى لتكثر بها سوادها وترهب باحلافها اعداءها هو الذي يحفظ مكانة الامم الضعيفة ومصالحها وكيانها في الوجود وقد قال الله تعالى في مغازي امثاله والطافه : وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون .



- 2 -

قلنا ان الاسلام غير النظرة الى المراة فرفعها من الحضيض الذي كانت تشقى فيه الى المستوى الرفيع الذي تستحقه لتسعد فى جنباته .

والاسلام فى معالجته لمشكلة المراة لم يقلد وصفة الفرس او الروم المتحضرتين آنذاك وهو كدين ناضج للانسانية الناضجة لم يسلك سبيل المسيحية فى اصلاح الروح فقط وفى ايجاد فاصل بين الشارع والمعبد وبين ما لقيصر وما لله ، كما لم يكن كاليهودية دينا انانيا ذا اشعاع داخلي مغلق لا ينفذ شعاعه خارج نطاق اتباعه اليهود ، بل سلك سبيلا عاما وشاملا ، وعلى هذا يمكن ان نعرف الاسلام بانه نظام رباني عامل لتنظيم العلاقات الانسانية العامة والخاصة المادية والروحية او هو كما يقول ليودولد فايس (محمد اسد) منهاج للسلوك الشخصي والاجتماعي قائما على ذكر الله ، وفى طبيعة النظام انه لا يجزيء المشاكل بل يعالجها فى اطار من العلاقات المتبادلة التي تكون المركب الاجتماعي .

وليست رسالة الاسلام علاج مشكلة جزئية كمشكلة المراة فحسب بل رسالته علاج مشكلة الانسان فى جميع نواحيها هذه المشكلة تندرج تحتها جميع المشاكل الاخرى ، ولسنا فى حاجة الى تدليل او ضرب الامثلة على ان الاسلام دين كامل ينظم الحياة الكاملة اذ ان هذا من البديهيات التي لا يجادل فيها سوى الغارق فى بحر من الجهل ، بالاسلام ومبادئه ؛ فالاسلام تناول مشكلة الانسان من الناحية الميتافيزيكية والاخلاقية والقانونية وربط بين هذه النواحي الثلاث بروح العبادة .

فالاساس الاول الذي عولجت عليه مشكلة المراة فى الاسلام هو :

1 – ان مشكلة المراة حلقة فى سلسلة من المشاكل الاخرى مرتبطة بها ارتباطا حيا وعضويا فلذلك يجب النظر الى الجزء فى مركبه عند المعالجة حتى لا تؤدي معالجة الجزء فحسب بقطع النظر عن علاقاته بالاجزاء الاخرى وملاحظته ما قد تتأثر تلك الاجزاء الى شلل هذه الاجزاء وحينئذ يسري الشلل حتى الى ذلك الجزء المراد علاجه .

فالناحية الاجتماعية تشبه الناحية الجسمية فى تأثر الاجزاء بعضها ببعض . ومن المسلم به ان الطبيب عند ما يريد مقاومة علة او اجراء عملية فانه لا يسرع لعلاج الجزء المريض دون اي اعتبار لبقية اجزاء الجسم بل انه ليفحص الجسم فحصا شاملا ودقيقا ليكون على بصيرة بطبيعة العلاقات الموجودة بين الجزء واخوانه ، وان لم يفعل ذلك – وهذا لا يحدث من طبيب عالم – فان عمليته قد تفشل ، وقد يكون معنى الفشل احيانا الموت للمريض ، ولعل الجانب الاجتماعي اشد تعقيدا من الجانب الجسمي ولذلك كان الاحتياط ومراعاة المركب الاجتماعي من اهم ما يجب وعيه لدى المستهدف للاصلاح .

والملاحظ فى دعوة الاسلام انها لم تخص مشكلة بالعلاج دون اخرى ، ولذلك كان النهوض شاملا وكان التعبير عن تلك المعالجة الكاملة حضارة اسلامية .

2 – اما الاساس الثاني هو ان الاسلام عندما تناول مشكلة المراة لم يعتبرها منفصلة عن مشكلة الرجل بل نظر اليهما على انهما مشكلة فرد فى المجتمع وما يتراءى لبعضهم من ان للمراة مشكلة منفصلة عن مشكلة الرجل انما هو وهم ناتج عن النظر الجزئي القاصر فى الاصلاح . بل هما فى منطق العلم مشكلة واحدة لان الرجل فرد من هذا المجتمع والمراة فرد منه

ويعبر عن ذلك قوله تعالى : يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم **من نفس واحدة** وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام .

فالرجل والمراة من نفس واحدة ، اذن ، فهما قطبان للانسانية ومشكلتهما مشكلة واحدة لا تنفصل هي مشكلة الفرد في المجتمع .

ولقد فسر استاذنا الشيخ «محمد المدني» قوله تعالى : ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض بقوله : عبر القرآن المظيم بان الرجل والمراة يكونان شيئا واحدا هو «كل» الرجل بعضه والمراة بعضه الآخر .

فالمشكلة اذن تنولت على هذا الاساس ، فانها ستتخذ طابعا علميا سليما لا يضيع الجهود وسيفضي الحال بالباحث الى معالجة مشكلة الفرد من جميع النواحي كانسان يعيش في عالم يتطلب حضارة (1)

3 ــ والاساس الثالث هو ان هذا الفرد او ان هذا الكل فيه الذكر والانثى ولكل منهما خصائص بيولوجية محددة . فهل نوزع المسؤوليات بقطع النظر عن نفسية كل من النوعين وعواطفه وغرائزه وتركيبه الجسمي ؟ وهل وظيفة هذا الفرد واحدة ام مختلفة ؟

ان هذه المشكلة يجيب عنها العلم . والعلم يقول : «ان لكل من الذكر والانثى هرمونات خاصة وتركيبات مختلفة » . وهذا يعني ان وظيفتهما تختلف . ولقد بين الله ان هذا الاختلاف ثابت ولا يمكن تغييره لقوله جلت قدرته : ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن » فالمراة والرجل كالجسم الواحد المراة بعضه والرجل بعضه الآخر ولكل خصائص لا تتوفر في الآخر لا يعني الافضلية ولكن يعني الاختصاص نحسب ، فاليد لا تفضل العين والرجل لا تفضل الاذن اذ لكل عضو قيمته الخاصة واختصاصه الحيوي الذي يتعاون مع باقي الاعضاء في حفظ كيان الكائن الحي يقول استاذنا الشيخ «محمد المدني» في كتابه « المجتمع الاسلامي كما تنظمه سورة آل عمران صفحة 184 » : « والمزايا هنا لا تتعارض ولا تتبادل وانما تعاون وتتظافر من اجل هدف مشترك هو المحافظة على حياة الانسان ووجوده » .

فهذا هو الاساس الثالث وهو ان للمراة نفسيتها الخاصة وبناءها الجسمي الخاص وللرجل كذلك ، وهذا الاختلاف يستلزم طبعا الاختلاف في الوظيفة الاجتماعية . فاسترجال النساء واستنساء الرجال قلب خطير للاوضاع الاجتماعية ، ومحاولة خاسرة لتبديل الطباع ؛ وعلى ضوء هذا يفهم قوله تعالى : « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض . للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن » . ومعناها ان الله خلق الذكر والانثى وجعل لكل منهما طبيعة ثابتة لا تتغير على مدى حياة الانسان في هذا الوجود . ولا يحاولن احد ان يغير الطباع والخصائص ليجعل المراة كالرجل او العكس فالمحاولة مستحيلة لمخالفتها الطبيعة الثابتة لان كلا منهما اكتسب طبيعته النهائية من اجل وظيفته الاجتماعية ولذلك عبر الله بقوله : « لا تتمنوا » والتمني طلب المستحيل .

ولقد اسعفتنا الدراسات النفسية ببعض الفروق بين الرجل والمراة الشيء الذي يحتم اختلافا في الوظيفة . فهناك اختلافات ترجع في اصلها الى الخصائص الجسمية وتبتدىء عند تكوين الجنين في بطن امه ؛ فالتركيب الدقيق للخلايا لكل من الذكر والانثى مختلف ، فالبنت لكي تولد يلزمها اثنان من كروموزومات اكس (x) وهي الجزئيات الضئيلة الحاملة للصفات الموروثة ، مما يؤثر تأثيرا فعليا في مصير تكوينها ونصيب اعضاء جسمها من القوة والاحتمال . كما يختلفان في وزن الجسم عند الزيادة وكذلك في سرعة النمو الذي يتنازعان التفوق فيه الى ان تصل نسبة التفوق عند الرجل الى حوالي 20٪ في سن العشرين وكذلك نرى الذكر يفوق الانثى في طول القامة بمقدار 10٪ في ذلك السن ايضا وذلك طبعا عام لا يخص فردا بعينه كما نجد الذكر يفوق الانثى بالقوة العضلية كما ان هناك فرقا بينهما في التنفس ، فالذكر اوسع تنفسا من الانثى ، فالكمية من الهواء التي يحتفظ بها الذكر في رئتيه اكثر من رئتيها وهذا ما يسمى بالمقدرة الحيوية وقد يبدو هذا الفرق بسيطا غير ان تأثيره قوي يحدد كثيرا من الاتجاهات بالنسبة للذكر والانثى .

---

1) راجع كتاب الافريقية الاسيوية الترجمة العربية ، فقد توصل صاحبه الى ان مشكلة الانسان مشكلة حضارة .

كما يختلفان فى القدرة على مقاومة الموت وقد دلت الاحصائيات ان عدد الذكور فى المرحلة الجنينية اكبر من عدد الاناث بمقدار 30٪ ولكن هذا التفوق ينهار بسبب ضعف المقاومة للامراض الموجودة فى الذكر فى حين تحوز البنت قصبة السبق فى هذا الميدان ، ويكفي ان نقول : ان حظ المسير للبنت فى حياتها البيولوجية يختلف عموما عن حظ سير الذكر ، فهي تمر بنوع من البلوغ ، ومراحل الحيض والحمل والولادة هذه المراحل التي تهيئها نفسيا لوظيفة خاصة تختلف عن وظيفة الذكر الذي لم يحض ولم يحمل ولم يلد .

كما ان هناك خصائص حسية وحركية يختلف فيها الذكر والانثى . فالمراة تفوق الرجل فى القدرة على تمييز الطعوم ولكنه يفوقها فيما يخص بالتمييز العضلي بالاثقال ، وهناك فرق كبير وواضح بين الرجل والمراة فى القدرة على تمييز الالوان ، هذه العاهة التي توجد فى الرجال بنسبة 4٪ فى حين توجد فى النساء بنسبة 1 ونصف ٪ على الاكثر كما توجد فروق بينهما فى الحركات اليدوية الدقيقة وفى القدرات الميكانيكية وفى الالعاب الرياضية ، كما ان هناك اختلافات بينهما فى القدرات اللغوية والتذكر والعددية والفنية كالموسيقى ويطول بنا المقام لو اننا فصلنا تلك الفروق تفصيلا ولهذا نكتفي بما اوردناه محيلين القارىء العزيز على المراجع المتخصصة فى هذه الدراسات لكي لا يفوتني ان اذكر هنا فرقا طريفا بين النوعين وذلك فى موضوع احاديثهما ، فلقد سجلت احاديث النوعين — دون علمهما طبعا — فكانت النتيجة ان الموضوعات الاكثر تداولا على السنة الرجال هي المسائل المالية والاعمال التجارية والالعاب الرياضية فى حين ان احاديث النساء تدور بوجه عام حول الاشخاص دون الاشياء ولهن اهتمام زائد بما يتعلق بالازياء والملابس ومسائل الزينة ، ولقد قمت بتجربة شخصية لاتثبت من هذا النوع فوجدته صحيحا بوجه عام سواء فى اوساطنا الاسلامية او فى الوسط الاوربي ، ولقد سألت فتاة عن سر انعزالها عن جمعية من جنسها فعللت ذلك بان الاجتماعات تكاد تكون حول الانتقادات الشخصية السخيفة ، ولعلها كانت ضحية لاحد تلك الاجتماعات ، وهكذا يتبين لنا حكمة الاسلام فى معالجة مشكلة المراة على اساس قوله تعالى : للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن .

والدعوات التي ترتكز على الجهل بهذه الحقيقة كثيرة فى بلادنا الاسلامية فقد راينا فى الشرق ثورة كبيرة من اجل المراة ، ولكن الثورة كانت عمياء تفتقد الوعي وكانت اعتباطية تفتقر الى الفكرة وكان اكثرها واقعا تحت تأثير عقدة اديب او العقدة الجنسية ، ولقد اعترف الاستاذ الجيل الدكتور منصور فهمي اطال الله بقاءه فقال لي بأنني استغفر الله من تلك الدعوة التي شاركت قاسم امين فيها : لقد كنا ننادي بتحرير المراة تحت عوامل شتى وقد صرح لاحد الصحف بقوله : لو عاد احمد امين الى مصر ووجد حالة المراة قد وصلت الى هذا التطرف الكبير الذي لا مبرر له لنادى بالحجاب ، وقد ساله مراسل اخبار اليوم : هل ما زلت تطلب للمراة مزيدا من الحرية ؟ فاحتقن وجهه وهو يقول : ابدا نحن نريد ان نحتفظ بشيء من مميزات اسلامنا وشرقيتنا وعروبتنا . ولقد خرجت بعض الاسر الشرقية عن اسمها تحت اسم التجديد ، ان تجارب العمر تؤكد انه لا يجوز ان نقلد الغربيين فى كل شيء فى حين كنا نستطيع ان نستفيد من اخطائهم ... انها امانة جيل ولنا فى اعتراف احد زعماء تحرير المراة من ان الدعوة تلك كانت تنقصها الفكرة بل ان معظمها كما يقول الدكتور يوسف مراد المتخصص فى الدراسات النفسية — صادر عن عقد نفسية لم نجد حلها الطبيعي فصارت تبحث عن وسائل تعسفية للتعويض مما فرض على المراة اعباء لا تتلاءم مع طبيعتها مما يضيف اليها صنوفا من الشقاء . فالمراة اذن واقعة فى العصر الحاضر تحت رحمة انحرافات نفسية اذ ليس هناك فترة محددة لنقطة انطلاقة المراة ولمعالم سيرها وللاطار العام الذي يجب ان تعيش داخل حدوده ولا تتعداه .

فالمطالبة بتحرير المراة من العبودية والقيود والرجعية والاخلاق المفروضة لا تكلف اللسان كبير عناء ، ولكنها ان كانت منطلقة من شعار الشهوة ومرض الغريزة وسطحية الفكرة فانها تكلف المجتمع ضريبة ثقيلة وخطيرة .

ونحن اليوم نرى المغرب يتخبط فى مشكلة تحرير المراة معتمدا على السهولة فى الدعوة والارتجال فى الفكرة ، فنحن نريد ان نسعد المراة باخراجها من «البيت المظلم» والحجاب المقيت الى آخر هذه اللافتات العشوائية ولكن الى اين ؟ الى الشارع المظلم ايضا الى حيث الفضاء الرحب الذي تنتحر فيه الفضيلة ... والى حيث تتمثل ماساة خطيرة على كياننا .

وكان الاجدر باولئك الذين يريدون تحرير المراة ان حرروا الرجل قبل كل شيء حتى لا تظل فكرة « الافتراس » متشبثة بنفسيته وان كان يعبر عنها بتعبيرات مختلفة تكتسي صبغة الرثاء .

اما المراة فهي سهلة الانقياد ونستطيع ان اردنا ارادة حسنة ــ ان نوفر لها شروط السعادة .

وقضية المراة ــ كمشكلة فرد فى المجتمع ــ اخطر من ان تحل بكلمة تنشر او خطبة تلقى او اجتماع يعقد او مظاهرة تقام .. انها شائكة وخطيرة وبما اننا مسلمون يجب ان يكون تفكير اصلاح وضع المراة فى اطار الاسلام الذي عالج المشكلة على تلك الاسس المتقدمة التي تكون فى الحقيقة مشكلة واحدة هي مشكلة الفرد من اجل سعادته وسعادة المجتمع .

وسندرس فيما بعد بعض التطبيقات لهذه الاسس لنرى كيف استطاع الاسلام ان يخطط للفرد ذكرا وانثى خط السير الذي يقضي به الى السعادة ويحفظ عليه كرامته وتوازنه فى حياة متحضرة فالى المقال التالي .

للبحث بقية

فتنة المغرب ايضا جعلك

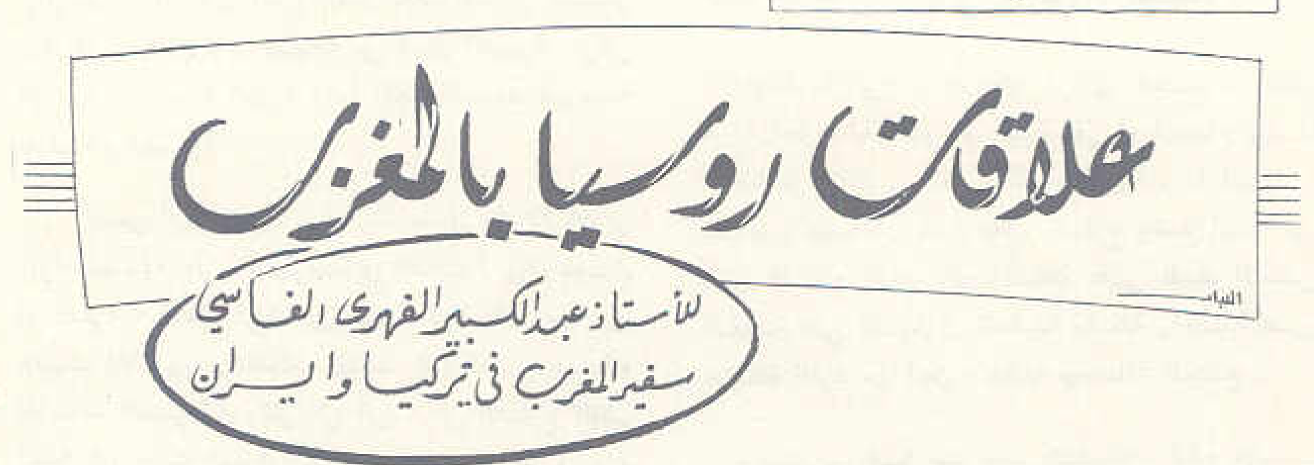
انشد شاعر الحمراء المرحوم محمد بن ابراهيم هاته الابيات عند اجتماعه بالموسيقار الاستاذ محمد عبد الوهاب :

دمت للفن ودام الفن لك — شاكرا فى كل حسن عملك

فتنة المشرق سبحان الذي — فتنة المغرب ايضا جعلك

انت هل تفهم ما تفعله — بقلوب الناس ام لا علم لك

واذا كنت على علم به — فعلى قتل الورى من حملك



لا نقصد بروسيا ، روسيا الحالية وهي (اتحاد الجمهوريات الروسية الاشتراكية) التي تكونت فى جملة ما تكون من الدول بعد الحرب العالمية الاولى ، ولم تربط لها علاقة بالمغرب منذ تكونها سنة 1917 ، ولم تذكر فى شأن من شؤون المغرب الا فى مؤتمر باريس الذي انعقد سنة 1945 فى شأن نظام طنجة ، وامتنع سطالين ان يشارك فيه لمشاركة ممثلين عن الجنرال فرانكو خصمه اللدود فى نفس المؤتمر . نعم استقل المغرب واسترد سيادته منذ ذلك الحين ، واعترفت روسيا الجديدة باستقلاله وتبادل معها تمثيلا دبلوماسيا مبنيا على تبادل المصالح فى الميدان الاقتصادي .

فالمقصود بروسيا فى هذه العجالة هي روسيا القيصرية التي كانت الدول الغربية قبل الحرب العالمية الاولى تخطب ودها للمحافظة على التوازن فى السياسة الاوربية والتي كانت بعض الدول الغربية تحاول استغلالها كما تستغل الشهوات لكثرة خيراتها وتنوع منابع الثروة فيها وقلة خبرائها .

فروسيا هذه لم يكن يعرف المغاربة شيئا كثيرا عنها الا ما كانوا يقراونه فى القليل من الرحلات العربية التي قام بها اصحابها فى بعض نواحيها وخصوصا فى مقاطعاتها الجنوبية قديما مثل ابن فضلان ، وان لم تطبع رحلته الا قريبا او بعضها دون بعض سنة 1939 ، نشرها الاستاذ زكي الوليدي ، ولا يزال قسم منها باحدى خزائن الاستانة . كما ان الروس يحتفظون بقسم مفيد منها ، ويمانعون فى اعارة القشور منه عندهم سنة 1823 مع ترجمة روسية او التحقيق عليه حسب ذكر الاستاذ محمد سامي الدهان الذي نجده الآن عاملا على نشرها لما فيها من الفوائد التي انفردت بها والملاحظات التي لم يكذبها الزمان رغما عن تطورات الاحداث فى هذه الدنيا الروسية ولا نقول البلاد الروسية مع ان العلم ان ابن فضلان عاش فى القرن الرابع وقام برحلته لفائدة الدولة العباسية .

نعم ، كان المغاربة يعرفون عن روسيا ما كانوا يطالعونه فى الكتب المصرية القليلة التي كانت تصل المغرب مثل «التحفة الخالدة» التي يقال بان نسخة منها كانت متداولة بفاس وعليها تطريرات بيد المولى الحسن الاكبر جد مولانا صاحب الجلالة محمد الخامس ، وكل هذه المعلومات شيء قليل اذا اضفناه الى قلة اعتناء علماء الوقت اي علماء القرن المنصرم بشؤون الجغرافيا والتاريخ الا من رحم ربك وقليل ما هم .

ورغما عن هذا التقصير فى المعرفة فان المغاربة كانوا لا يجهلون ان الاسلام لم يجد خيرا فى عهد من عهوده من جواره لروسيا لا فى ممالكه فى الشرق الاقصى واواسط آسيا ولا فى الشرق الاوسط . الم تكن من اكبر الدول المعادية لايران منذ تكونت اكبر دولة على عرشها وهي اسرة رومانوف ؟ وكذلك كانت اكبر اعداء دولة الخلافة التركية منذ تكوينها الى عهد قريب ، وكانت حاملة مشعل الحروب الصليبية فى القرن التاسع عشر وآلة تستعملها الدول الغربية للقضاء على الرجل المريض وكانت طيلة القرن التاسع عشر تتزعم حماية الاقليات المسيحية فى تركيا كالارمن مثلا ، وكانت تدعي هي ايضا حماية الاماكن المقدسة وما فيها من كنائس روسية لا تزال الى الآن قائمة المعالم . فكانت تتنافس فى ذلك مع فرنسا وكان هدفها فى الواقع اضعاف «الرجل المريض» بل الاجهاز عليه عندما تسنح الفرصة لتاخذ قسطا من اشلائه

على ان يكون ذلك القسط حصة الاسد وهي مدينة الاستانة واحتلال مضيق البوسفور وهو باب البحر الاسود الذي تعتبره حوضا خاصا بها .

على ان التوتر الموجود الآن فى العلاقات بين الدولتين هو وليد لذلك التراث الذي ورثته روسيا الشيوعية من روسيا القيصرية ، والذي يتلخص فى كون الدولتين خاضتا غمار الحرب بينهما ثلاث عشرة مرة كانت الاخيرة من سنة 1914 الى سنة 1917 . وما يقال فى حق روسيا وتركيا يمكن ان يقال فى حق ايران فى علاقاتها مع روسيا ، وكل ذلك من البديهيات التاريخية التي لا يجهلها الا من يتجاهلها لحاجة فى النفس ، وحيث ان الامر كذلك ، فليضع من يحملون على حلف بغداد نفسهم موضع ساسة هذه الدول . فهل يستجيبون فى سياستهم دواعي التاريخ والجغرافيا او يجرون مع العواطف التي لا تتفق مع واقع دولهم لا فى القديم ولا فى الحديث ؟ ليست السياسة شيئا غير مايريده التاريخ والوضع الجغرافى من رجال الحكم والدبلوماسية ، وليس لها ادنى علاقة بالعاطفة الا اذا اريد بها تمتين الروابط او تبادل المصالح التي تزيد فى سلامة امن الدولة وحفظ كيانها وحماية ترابها . ونحن هنا لاندعو الى الانضمام الى حلف بعينه وانما نقرر ما ثبت فى التاريخ واكدته الدبلوماسية فى واقعيتها التي لا تقبل الجدل .

وكان المغاربة لا يجهلون ان روسيا القيصرية كانت عدوة لدولة الخلافة . ولذلك ابت همة السلطان المولى عبد الرحمان الا ان يهنيء آل عثمان على النصر على روسيا سنة 1854 بعد حرب القرم ، ولذلك اسفر عنه فى هذه المهمة عبد الكريم راغون التطواني . ولم تحرز تركيا على النصر الا لتدخل فرنسا وانجلترا خشية منهما على مصير الاستانة لو ان النصر كان حليفا لروسيا . واذا لم يشارك المغرب فى هذه الحرب الا بصفة «افلاطونية» فما ذلك الا لبعد الشقة بين ميدان الحرب وفقدان اسطول قوي بيد الدولة المغربية اذ ذاك .

نعم لم تنشأ علاقات بين المغرب وروسيا الا فى مستهل هذا القرن نظرا للبعد الشاسع بين القطرين ونظرا لانعدام المصالح بين الدولتين ، واما العلة فى خلق هذه العلاقات فانها كانت فى رغبة فرنسا فى تعزيز موقفها فى المغرب وفى شؤونه لحليفة لها تستعين بها على المانيا التي كانت تساومها فى المصالح والنفوذ فى المغرب .

وقبل انشاء مفوضية روسية فى طنجة كانت مصالح روسيا على قلتها فى رعاية سفارة اسبانيا . وبعد ما انشئت كان عملها مقتصرا على الشؤون الدبلوماسية ، وبقيت الشؤون القنصلية الى رعاية اسبانيا فى مدن الايالة الشريفة ، ولم يكن للسفارة الروسية حتى ترجمان للاتصال بالمغاربة ، وكان يقوم بهذه المهمة احد تراجمة السفارة الاسبانية ، فكانت السفارة عبارة عن سفير ملحق لا غير . ويقول مؤرخو هذه الفترة من الدبلوماسيين بان السفارة الافرنسية اندهشت لما لم يطلب منها اعارة ترجمانها لمساعدة السفير الروسي فى مهنته .

وقبل انشاء هذه السفارة اقتصرت العلاقات بين الدولتين على رحلة قام بها احد امراء اسرة رومانوف فى المغرب فى عهد المولى عبد العزيز وذلك سنة 1899 ، وطلب الاذن فى هذه الرحلة بزيارة القصر السلطاني بواسطة السفارة الاسبانية ، ثم اخترق المغرب من غربه الى شرقه حيث قصد الجزائر .

ولما علم المولى عبد العزيز عزم روسيا على انشاء سفارة لها بطنجة بعث سفارة عنه لبلاط سان بطرسبورج حيث اقتبله نقولا الثاني (وسننشر مقالا خاصا بهذه السفارة) .

وعين السفير الروسي فى المغرب وهو الكونت دوباشراشت .

وكان قبل تعيينه فى المغرب ملحقا بسفارة روسيا فى لشبونة ، وكان كاتبه احد امراء الاسرة المالكة وهو الامير كاكرين ، ثم تلاه فى نفس المنصب كانين .

وغادر السفير طنجة الى فاس لتقديم اوراق اعتماده الى جلالة السلطان . وكان مصحوبا بزوجه وهي من النبيلات الروسيات . وحيث ان الرحلة بين العاصمتين ـ الدبلوماسية والملكية ـ كانت تستغرق نحو الاسبوع ، فان عقيلة السفير كانت تقضي الليل في تقييد ملاحظاتها عن الرحلة وعن ارتساماتها عما ترى وتسمع . وقد تركت لنا شبه مذكرات يومية لا تخلو من طرافة مثلما كتبت عن طرق المغرب التي لم تكن على ما يرضي اذ ذاك فقالت : «اوصي المغاربة بان لا يعبدوا طرق بلادهم ، لان الطرق المعبدة تعين على احتلال هذه البلاد» ولكن مع الاسف فان الاحتلال لم يقف امام هذا المانع ؛ كما ان التعبيد والحمد لله لن يحول بين المغرب وبين الجلاء .

وانحصرت مهمة السفير الروسي في شأن واحد وهو اسناد فرنسا في تدخلها في شؤون المغرب ذلك التدخل الذي ادى من جهة المغرب الى عقد مؤتمر الجزيرة الخضراء اولا والى فرض الحماية على المغرب من جهة فرنسا ثانيا .

ونعلم من مراجعة ما كتب عن مؤتمر الجزيرة الخضراء ان مندوب روسيا لم يبد رأيا فيما راج من القضايا والشؤون مخالفا لما كانت ترتئيه الكتلة الغربية اذ ذاك وهي فرنسا وانكلترا واسبانيا حيث ايطاليا وقفت موقف الوسيط والحكم بين الكتلتين مع تحيز ما لجانب هذه الكتلة رغما عن اتحادها مع المانيا والنامسا .

فكان السفير الروسي يطاطىء الراس للمقترحات الافرنسية من البداية الى النهاية .

وبعد انفضاض مؤتمر الجزيرة الخضراء رجع السفير الروسي الى طنجة ثم منها الى بلاده . ولم يعين فيما نعلم خلف له حتى عين في عهد جلالة الملك محمد الخامس سفير لروسيا على اسس جديدة وفي ظروف اصبح للمغرب فيها من الشأن ما لم يكن له في مستهل هذا القرن .

⁘⁘⁘⁘⁘⁘⁘⁘⁘⁘⁘⁘⁘⁘⁘⁘⁘⁘⁘⁘



هـو العالم اللغوي الاديب ابو عبد الله محمد بن التهامي بن محمد بن عمرو ، به عرف هو واسرته ، وهم ينتسبون الى الانصار ، واصلهم من الاندلس ، ثم هاجروا الى المغرب فتوطنوا مدينة الرباط ، واشتهر المترجم بمعارضته لقافية ابن الونان المعروفة بالشمقمقية واقتحامه لميدان المباراة بعد التحدي الصارخ الذي اعلن عنه صاحب الشمقمقية في قوله :

من كان يرجو من سواي مثلها
رجا من القربة رشح العرق

وقد جاراه في جميع اغراضه ، وساجله في كل ما تناوله في تلك الارجوزة البديعة من فنون القول كالنسيب والغزل والفخر والحماسة والمدح ، الا انه اقصر عنه في فن الحكم والامثال الذي امتازت به قافية ابن الونان واشتملت منه على حصيلة مهمة من ثقافة العرب وآدابها ، وهو من خير الفنون الذي تقدمه لنا هذه الاراجيز والمقصورات الادبية كمقصورتي ابن دريد وحازم . على أن ابن عمرو فى نظرنا تفوق على ابن الونان في ثلاثة اشياء : اولها انه اغرب عليه في استعمال الغريب والحوشي من الالفاظ حتى صار ما عند ابن الونان من ذلك بمثابة المانوس المستعمل . ولا نعني ان من يستعمل غريب اللغة يكون متفوقا على غيره ، وانما نريد أن ابن الثان لما كان يقصد باستعمال الغريب اظهار ثقافته اللغوية ، فان ابن عمرو قد غبر في وجهه بركوبه متن الاغراب في ذلك والتعمق فيه . ثانيا انه امتن منه سبكا واحسن نظما ، فبينما نجد ابن الونان يضعف فى بعض الابيات فلا يكون منسجما ولابد ، يكون ابن عمرو محكم النظم قوي السبك فلا تكلف ولا هلهلة في غالب اقسام ارجوزته ولا سيما القسم الاول الذي اكثر فيه من استعمال الغريب وهو الذي يضعف ابن الونان في بعض ابياته . ثالثها انه امتدح الرسول الاعظم (ص) في حين ان ابن الونان امتدح ملك زمانه ، فبين الغرضين ما بين الممدوحين من تفاوت ، وهذا مما اشار اليه كل من تكلم على ارجوزته ، وفضلا عن ذلك فانه ختمها بابيات مؤثرة في شكوى الحال وذم الزمان .

وبالجملة فانها ارجوزة قيمة لا تقل عن الارجوزة المعارضة في لفظ ولا معنى الا ما اشرنا اليه ... وقد شرحها العلامة محمد بن عبد السلام السائح الرباطي وطبعت مع هذا الشرح المفيد الذي سماه صاحبه (سوق المهر الى قافية ابن عمرو) ، ودرس ابن عمرو على علماء بلده وتوفى بالحجاز عام 1243 هـ وهذا صدر قافيته :

مسحت في الادلاج كل خيفق
يسراء سبسب بباب سملق
وجبت كل طاسم سمهدر
متن دموس واسع المخترق
يغتال غيلان الفلا من سند
شناظه مستمسك بالافق
وسقت كل عيطموس عيهل
عيرانة قوداء ذات شمق
لهقة حرف وكوف شودح
عكفاك عندل لكاك ديفق
كوماء برعس ثلوث اجد
تبراء هيضل رتوع مبرق
لها الوخيد ماخذ عن سنك
لا ترعوى في عرضها لازق
ترى لها في رصم ابزهوة
ولو امضها مضاض اللسق
يورها في تكظ عطود
تيس عرندس حليف العنق
ضخم نجيب مجرهد هوزب
يحكي وميض البارق المؤتلق

في أدب المناسبات

للأستاذ : أحمد زياد

تحدثت افتتاحية العدد الماضي من مجلة « دعوة الحق » عن ادب المناسبات ، وتوصل كاتب الافتتاحية الى ان ادب المناسبات ادب مشروع ، وانه نوع من الادب الذي يعبر عن واقع الحياة .

وان القرائح التي تتفتح « لاقتناص » « الجوائز الادبية » انما هي قرائح يسلك اصحابها طريقا مشروعا سلكه الادباء الاولون من كتاب وشعراء ، واعتقد ان افتتاحية « دعوة الحق » قد وقع فيها بعض الخلط فيما بين الجوائز الادبية التي لاتصطبغ بصبغة التكسب عن طريق الادب ، وبين هذه الجوائز التي تعبر مظهرا ومخبرا عن هذا النوع من الادب ؛ واعني بالتكسب هنا ذلك النوع من الادب المنافق الذي تزخر به بعض كتب الادب العربي ، واعتقد كذلك ان هذا النوع من الادب قد يكون ممثلا لجانب من جوانب الحياة الاجتماعية ؛ ولكنه لا يمثل الادب الصادق النابع عن شعور واحساس ، ولقد وسم الادب العربي بكونه ادبا ارستقراطيا لانه لايعبر عن واقع صادق ؛ ولا عن واقع مشوب بخيال فني من شانه ان يضفي على هذه الواقعية طابعا فنيا يجعل من هذا الادب ادبا اصيلا ، وكان ادب التكسب هو السبب الاول في وسم الادب العربي بهذه السمة .

فالشعراء والكتاب الذين كانوا يتزلفون اصحاب السلطة وذوي الجاه ، ويسبغون عليهم اوصافا من مكارم الاخلاق ، بينما هم يعلمون ان اولئك الاشخاص لايتصفون الا بما يناقض مكارم الاخلاق ، اقول : ان الشعراء والكتاب من هذا النوع انما هم في رأيي اصحاب حرفة وناموس ، ومن ثم فان الادب الذي خلفوه وراءهم في هذا المضمار لم يكن يمثل واقع الحياة ، وانما كان يخلق اشياء تناقض الواقع .

والشاعر او الكاتب الذي يسجل خلاف ما يعتقده وخلاف ما يراه الناس في واقع الحياة من الممكن ان يقال عنه انه كاتب او شاعر ، ولكن لايمكن ولن يمكن ان يقال عن ادبه انه ادب من النوع الاصيل الذي يمكن وضعه الى جانب الادب الاصيل الذي يصدر عن احساس وشعور ، وليس عيبا في حق الكاتب او الشاعر ان يتخيل ويخرج من محيطه الواقعي ، ولكن العيب هو ان يتخيل الكاتب او الشاعر لكي يمسخ الحقائق ويطمسها ، ويجعل من شعره او نثره مرآة تنعكس عليها صور تخالف كل المخالفة ما يحس به الناس ، وما يشعرون به ، فالشاعر الذي يمدح الجائر ، ويصفه بانه عادل في مكانة عمر بن الخطاب ، وجوادا يتعدى سخاؤه اريحية حاتم ، بينما الناس يعلمون انه من ابخل البخلاء ، وذكيا في مرتبة اياس بينما الناس يعلمون انه ابلد من حمار الحكيم ، ان الشاعر او الكاتب اللذين يقودهما ادب المناسبات الى اعتناق هذه الطريقة والى انتهاج هذا الاسلوب لايمكن ان تستحل لهما المعاذير بتعليل يقال فيه كما ورد في افتتاحية « الدعوة » : « ان المعدن الثمين لا يضيره ان قومت درره ونفائسه بغالي الاثمان » ولقد تنبه بعض الادباء القدماء الى هذه الظاهرة قبلنا منذ القرن الثالث الهجري . فان ابا حيان التوحيدي يذكر على سبيل الاستطراد في بعض اسماره : (ان الادب اصبح وسيلة وحيلة ، وانقلب الى ناموس لكسب الرزق ، فاهملت قرائح المجدين المجيدين ، وعني بالشعراء المحتالين ، وتنكر الدهر لاهل الصدق من اهل الادب وحذاقه ، واصبح التكسب بالادب حلية لبعض الادباء ، واعرض ذوو الجاه والسلطان عن الكاتب الذي يلتزم الصدق ولا يتعداه) .

ولئن اعتبرنا ان ابا حيان كان يعتبر من الادباء المتمردين ، ومن الكتاب الذين يمكن ان نسميهم احرارا بلغة العصر عرفنا ان التكسب بالشعر كان شيمة يتحاشاها الادباء الذين يتجهون الى انتاج الادب الاصيل الصادر عن شعور فياض ، واحساس دفين ،

واعتقد ان هناك فرقا واضحا فيما بين التشجيع الادبي الذي يقدر الادب فى شخصية الشاعر او الكاتب ، وبين هذه « الرشوة » التي تمنح للشاعر او الكاتب ليحمل حملا على انتاج ادب كاذب فى صورة مدح مستبد يسميه ادب التكسب عادلا ، وبخيلا يسميه جوادا ، وبليدا يسبغ عليه صفة الذكاء الخارق الخارق الذي يفوق ذكاء اياس .

وتشهد المؤلفات التي تعطى اصحابها الجوائز الادبية فى العصر الحاضر بهذا ؛ فليس هناك كتاب — فيما اعلم — منح صاحبه جائزة ادبية لانه اراد تخليد صفات كاذبة لشخص او لهيئة فى نص ادبي ، وليس هناك نص ادبي منح جائزة ادبية لانه صور واقعا او تخيل فكرة تناقض الفضيلة والتي فى طليعتها الصدق فى التعبير ، ومن الزم صفات الفضيلة الصدق ، الصدق فى الاحساس ، والصدق فى التعبير كذلك . فالشاعر الروسي باسترناك — مثلا — لم يفز بجائزة نوبل للاداب الا لكونه ساير احساسه وشعوره غير عابيء بقيود النظام ؛ بل ان الكتب الادبية والنصوص الثقافية التي ظفرت بجوائز كبرى او صغرى كان الصدق فى الاحساس ، والصدق فى التعبير من اهم صفاتها ، ومن اهم مالوحظ فيها ومن اقوى الاسباب التي تجعل اعضاء لجان التحكيم يمنحونها جائزة اكبارا منهم ، وتشجيعا لهذه الظاهرة التي تجعل من النص الادبي انتاجا فكريا يخلد فكرة صالحة يمكن ان تكون للمطلعين عليها نبراسا يهتدون به او يعجبون بسمو فكرته — على اقل تقدير — واعتقد ان ادب التكسب قد اساء كثيرا الى الادب العربي ، واعتقد ايضا ان ادب التكسب كان فى اغلب صوره ادب مناسبات ، واستثني من هذه المناسبات تلك المناسبات التي تخلد فكرة أو مبدأ أو تشيد بصفات العظمة فى عظيم من العظماء الذين يتوفرون على عظمة صحيحة ، وانما اعني بادب المناسبات هذا اللون من الادب الذي تمليه مناسبة تفتعل افتعالا ، ويفتعل منها الادب افتعالا كذلك وتريد ان تجعل من الادب نوعا من مظاهر زينتها ، وصورة من صور الاحتفال بها ؛ والادب العربي فى الكثير من قديمه وفى البعض من حديثه يقدم الينا صورا من هذا الادب الذي كان يناصر المستبدين ويضفي اوصاف الاتقياء على الخليعين والمفسدين ، ويسبغ اكرم الصفات على اناس يكونون فى واقع الامر من ارذل البشر ، واظن أن القراء المطلعين على الادب العربي قديمه وحديثه يعرفون صورا من هذا الادب المنافق المخادع الذي يسخر البلاغة ، ويتوسل بالبيان الى كسب مال او الحظوة بجاه ، فالمتنبي الذي كان يضفي على كافور انبل الصفات ، ويجعل منه قمرا متلألا الاضواء ويقول فيه مثل هذا البيت من الشعر :

واخلاق كافور اذا شئت مدحه
وان لم اشأ تملى علي واكتب

هذا المتنبي الشاعر العظيم هو نفسه الذي تنكر فيما بعد لكافور ، لان كافورا لم يلب كل رغباته فقال فيه :

لا تشتر العبد الا والعصا معه
ان العبيد لانجاس مناكيد

ان الشاعر العظيم المتنبي الذي كان سخر ادبه ، وانتج ادبا لايمثل شعوره ولا يعبر عن احساسه ، انما هو شاعر منافق ، وان الادب الذي خلفه وراءه ونال به جوائز كافور الى حين لم يكن ادبا أصيلا ، ولن يكون ادبا اصيلا اذا استثنينا مافيه من نصاعة بيان وايقاع موسيقى يطرب ، ولكنه لاينفذ الى اعماق النفس الانسانية ، شأن الاثار التي تعبر عن الشاعر بحق وصدق ، تصفحوا بعض الدواوين ، وبعض نصوص من النثر الفني لتجدوا ان اغلب القصائد واغلب النصوص كتب عليها : قالها الكاتب او الشاعر بمناسبة كذا . . . انني لا انكر ان فى الادب العربي قديمه وحديثه صورا فنية خالدة ؛ ولكني اعزو اصالتها وخلودها الى ماتنطوي عليه من صدق ، وانصراف اصحابها عن التكلف واضفاء الصفات المثالية على الذين لايستحقونها او مسخ الحقائق فى رسم فكرة لاتعبر تعبيرا صادقا عن كل الواقع او عن البعض من الواقع ؛ اقرأوا ادب ابي حيان التوحيدي او الزمخشري مثلا ، فى القديم ، ثم اقرأوا ادب المتنبي او البحتري او ابي تمام ، انكم ستجدون الفرق واضحا بين فكرة الادب للادب قبل كل شيء ، وبين فكرة الادب للمناسبات ، وهل من المعقول ان (يؤمن) المتنبي نفسه وشعره لمدح سيف الدولة ثم لمدح كافور الاخشيدي عدوه ؟ وهل من المعقول ان (يؤمن) البحتري نفسه كذلك لمدح المعتصم او المتوكل ؟ وهل فى هذه الصور الادبية المتناقضة التي تركها المتنبي فى مدح سيف الدولة ثم فى مدحه عدوه كافورا صورة حية يتأثر بها الناس ؟ وذلك بصرف النظر عن نصاعة البلاغة والايقاع الموسيقي ، ان الادباء الذين لم يؤمنوا بادب المناسبات بسبب شيوعه

وذيوعه ، واتخاذه مقياسا لرواج السوق الادبي ، قد جعل الكثير منهم يموتون في بؤس مدقع .

فابو العلاء المعري كان في حالة عسر ، وظل رهين المحبسين لانه اعرض عن ادب المناسبات ، وفضل ان ينتج ادبا يعتصره اعتصارا من احساسه وشعوره ، وان فيما تركه من شعر خالد وصادق يعبر احسن تعبير عن الحياة التي كان يحياها ، وعن الاحساس الذي كان يشعر به ، وعن الافكار التي كانت تدور بخاطره ، لقد سجل كل ذلك بشجاعة وبجراة ، وتحمل عواقب انصرافه عن ادب المناسبات غاليا ، ولكنه تحمله راضيا ومحتسبا .

والزمخشري ؟ .. ان بعض الناس قد يظنون ان الزمخشري لايمكن ان يوضع في صفوف الادباء الاقدمين ، ولكن ظنهم خاطيء كل الخطأ ، فالزمخشري اديب واديب أصيل ، ولكن شهرته كانت محدودة ، لانه لم يكن يؤمن بادب المناسبات ، ورفض ان يجعل من ادب المناسبة وسيلة لتخليد ادبه ، ومن ثم فانه ظل مغمورا ، وبقي ادبه مغمورا الى يومنا هذا ، ولقد عبر عن حالته احسن تعبير حين قال :

واخرني دهري وقدم معشرا
على انهم لا يعلمون واعلم

ومذ افلح الجهال أيقنت انني
انا « الميم » والايام افلح اعلم

وهذا البيت الاخير ينطوي على تصوير لطيف تورده الكتب الادبية وتشيد بلطفه وبراعة التعبير التي يتضمنها .

فالزمخشري شبه نفسه بانه حرف « ميم » والايام او الدهر افلح ـ اعلم ـ والافلح في اللغة هو الذي تكون شفته السفلى مشقوقة ، اما الاعلم والذي يكون مشقوق الشفة العليا ، وشخص تكون شفتاه على هذه الحالة يتعذر عليه ـ طبعا ـ ان ينطق بحرف « الميم » وكذلك كان حال الدهر مع الزمخشري ، فلقد كان الدهر افلح اعلم بالنسبة اليه ، غير قادر على النطق به ، ان هذا الاديب الفذ قد تحمل الكثير في حياته ، وعاش ظروفا قاسية لانه لم يكن يحبذ ادب المناسبات ، ولم يكن مؤمنا به .

وابو حيان التوحيدي ؟ .. ان حالته ربما كانت اسوأ من حالة الزمخشري ، ومع ان ابا حيان لايختلف اثنان في مكانته الادبية ، فقد ظل غريبا في عصره ، لانه رفض ان ينساق مع الادب السائد وقتئذ وهو ادب المناسبة ، واختار لنفسه اتجاها آخر ، هو اتجاه الادب الصادق النابع من شعور فياض ، واحساس صادق ، وهذه مآثره تشهد باصالة هذا النوع من الادب ، وتضع حدا فاصلا بين ادب المناسبة ، والادب الحي الصادق الذي يصدر عن نفس جياشة بصادق الشعور .

اما في الادب الحديث فان هنالك مثالا في حياة كل من الشاعرين ، شوقي وحافظ ، فان شوقي رغم مكانته الادبية كان شاعر مناسبة اكثر منه اديبا اصيلا ينتج الادب للادب ، وصحيح أن شوقي ترك مآثر ادبية رائعة ، ولكن هذه المآثر تعد قليلة من حيث الكم وربما من حيث الكيف ، كذلك بالنسبة للصور التي استوحاها من مناسبات الخديوي ورجال السلطة والجاه ، اما حافظ فقد انتج ادبا صادقا عبر فيه عن دخائل نفسه ، ولئن كانت الموسيقى في شعر شوقي اكثر ترتيبا وايقاعا منها في شعر حافظ ، فان ذلك لايمكن ان ينسينا هذا الفرق فيما بين الشاعرين ، نعم ، ان في ديوان حافظ نوعا من ادب المناسبة ، ولكنه ادب من نوع المناسبات التي تخلد فكرة صادقة تصلح لان تكون مثالا يقتدى ، وتعبر عن مثل اعلى في الحياة .

ولا يضيرنا في شيء ان نعترف بنقط الضعف في ادبنا العربي قديمه وحديثه ، فان هذا الاعتراف من شانه ان يدفعنا دفعا الى تلافي الوقوع في هذه الاخطاء التي هي ـ بالطبع ـ خاضعة لمؤثرات وظروف اجتماعية خاصة اجتازها المجتمع العربي في عصوره المختلفة ، فطبعت جانبا كبيرا من ادبنا بطابع يصور لنا هذه الحياة التي كانت تحياها اقلية ضئيلة في هذا المجتمع ، والسبب في ذلك هو ان الذين طبعوا هذه الحياة بهذا الطابع الادبي انصرفوا كل الانصراف او بعض الانصراف بادبهم الى التكسب ، والى ما اسميه بادب المناسبات ، فهم لا يقولون الشعر الا اذا اوجد لهم الامير او القائد او الوزير مناسبة يخلدونه فيها ، وهم اذا ذكروا حادثا من الاحداث ، فانما يذكرونه عرضا وعلى سبيل الاستطراد .

وهذه قصائد الشعر العربي في كثير من قديمه وفي البعض من حديثه شاهدة على ذلك ، ومن ثم خلي

ادبنا العربي من نصوص ادبية تصور الحياة الاجتماعية وذلك باستثناء مقامات الحريري وبديع الزمان الهمداني ، وبعض آثار الجاحظ ، وابي حيان التوحيدي ، وحديث عيسى بن هشام ، ونصوص ادبية اخرى نعثر عليها من حين لآخر ، حتى انها لقلتها اصبحت تحتل مكانة فريدة في الادب نظرا لاتجاهها الفريد الغريب في بابه ، هذه هي الحقيقة في ادب المناسبات ، ونحن اذ نعزو هذه الامور الى هذا النوع من الادب ، فان تاريخ الادب يؤيدنا في ذلك ، ولا مفر من الاعتراف بهذه الحقيقة .

ولقد قلت واكرر القول بان تخليد الحوادث ذات الصبغة القومية وابراز معاني البطولة في بطل برهن على بطولته لايدخل في نطاق ادب المناسبات ، وانما هو داخل في صميم الادب الانساني الذي يتفاعل مع الحوادث ، ويتملى منها ثم يخرجها عصارة من احساسه ومن شعوره الصادق الذي يتأثر ويحس ويشعر ويؤمن قبل أن يكون نوعا من انواع الادب ، فالادب الذي يقال بمناسبة اعيادنا المجيدة لايعد من ادب المناسبات بل انه انسكاب لعواطف قومية تعبر عن احساسات شعب ، ثم ان الادب العربي وبعض الاداب العالمية الاخرى لم تتأثر كثيرا بادب المناسبات ، ولم يكن لهذا النوع رواج في اسواقها ، ومن ثم فان تلك الاداب تفادت الكثير من عواقب ادب المناسبات ، التي كان من الممكن ان تستأثر بقرائح الادباء وتصرفهم الى انتظارها ليقولوا مايتفق مع هذه المناسبة وليستمدوا منها بواعث انتاجهم ، ولو ان بينها وبين شعورهم اسوارا من فولاذ ! ولا يعد هذا تنقيصا من قيمة الادب العربي وترجيحا للاداب الاخرى عليه ، وانما هي عوارض ضعف اعترضت جميع انواع الاداب في عصوره المختلفة فكان لكل ادب جانب من الضعف يختلف شكله ولونه وظروفه ولكنه يكون ضعفا في جميع الحالات ، ولأن الشيء الذي لايمكن اغفاله ولا اخفاؤه كذلك ان ظروفا اجتماعية خاصة تحكمت في الادب العربي وعاقته عن التحرر ، ومن هذه الظروف بل وفي طليعتها هذا النوع من ادب المناسبات الذي جعل الكتاب والشعراء لايستمدون مادة الادب الا من بيئة خاصة ، وهذه البيئة لايمكن ان تمدهم بهذه المادة الا في مناسبات ، على ان الادب العربي في الوقت الحاضر قد اخذ يتحرر من كل هذه القيود ، واخذ يبني لنفسه مكانة تجعل منه ادبا انسانيا يتأثر بكل مايقع تحت حسه ، في اي زمان وفي اي مكان ، ولا اعتقد ان ادب المناسبات يمكنه فيما بعد اليوم ان يقيم سوقا في المجتمع العربي ، ذلك لان المجتمعات العربية اخذت تعلن ارادتها وتعبر عن وجودها ، ولا بد للادب ان يتفاعل مع هذه المجتمعات وينتج ادبا صادقا في شعوره واحساسه ، معبرا عن الام وآمال هذه المجتمعات في كل وقت وفي كل حين ؛ لان الآلام والامال موجودة في كل وقت وحين ولانها هي الحياة ، والادب لايكون ادبا صحيحا الا اذا كان مرآة الحياة ، لامرآة لنوع خاص من الحياة .

وبعد فهذه ملاحظات عرضت لي وانا اقرأ افتتاحية العدد الماضي ، وهي آراء قد يرى فيها البعض حكما قاسيا على ادبنا ، ولكنه حكم اتحمل مسؤوليته ، لانني لم اصدره الا بعد تفكير طويل ، على انه بالنسبة للقراء وللكتاب راي قابل للمناقشة ..

فضل العربية على التركية

للأستاذ محمد بن تاويت

اذا كانت العربية قد اتصلت فى عنفوان شبابها بالفارسية فاستفادت وافادت – شأن الكائن الحي النشيط – فان هذه العربية وقد اتصلت بالتركية او اتصلت هذه بها لم تستفد من التركية لا كثيرا ولا قليلا ، وانما استفادت هذه منها فى كل شيء .

ذلك ان العربية اذا ما استفادت من الفارسية – على بون ما بينهما من اختلاف جنسي – فان هذه كانت لغة حضارة راقية لها مقوماتها الادبية المتينة فكان من الطبيعي ان تستفيد منها العربية وتقتبس من نورها الوهاج كما كان من الطبيعي ان تبث هذه العربية الشابة فيها حرارة الشبان وان تبعثها من جديد فتنشأ لغة جديدة قد نفضت عنها غبار الشيخوخة المثقلة باعباء الدهور واوقار التقاليد .

اما التركية فلم تكن – ازاء الفارسية – بشيء من ذلك ، ليست لها لغة حضارة راقية ، ولا ادب رفيع مدون ، وانما كانت لغة قبائل رحل تدفع بهم افراسهم الى اقاصي المعمور وتقذف بهم اواسط اسيا « منطقة الفرس » – كما فى الاصطلاح الجغرافي – مغيرين متسلطين ، لا مثل عليا يحملونها الى هذه الجهات النائية ، ولا مشعل دين ينيرون به ظلماتها ، ولا ادب رفيع يرددون الحانه فى جنبات تلك البلاد ، وانما هم مهاجرون كاسحون طالبون للرزق مغتصبون للبلاد . لهذا لم تستفد منهم البشرية لا فى عقولها ولا فى وجدانها ، فلم يكن هناك داع لتلتفت اليهم الابصار وتتوجه اليهم الانظار وتتحول الالسن لتتلمظ ببعض الاساليب او الكلمات ، خصوصا ولا علاقة جغرافية او تاريخية كانت تربط بين الامتين ولا عقلية متقاربة ولا اذواق متسامحة ، ثم هذا البون الشاسع فى تركيب الجملة تركيبا ينقلب بها راسا على عقب ، ومن حق ان يصدر هذا الحديث « اتركوا الترك ما تركوكم » ففيه اكثر من مغزى سواء صح ام لم يصح ، فالعنصر العربي بمقوماته – ومنها اللغة – لم يستفد من هؤلاء شيئا ولم يستفد الدين نفسه الا استفادة فى الظاهر ؛ اما فى الباطن فقد كانت تلك الاستفادة عائدة على الاتراك انفسهم ؛ وعن استغلال مجرد او غير مجرد توسلوا بالدين فانتشروا فى بقاعه ومدوا سلطانهم بواسطته فتمكنوا من عوالم لولاه ما كانوا ليتمكنوا منها ولا كان فى يدهم سيف باتر لو لم يستلوه من غمد الدين ، بعد ما اصابه منهم ما اصابه .

لقد اتصل بهم الاسلام وحمل اليهم شحنة الحضارة ومصباح النور الانساني وما تفتحت اعينهم على اضوائه الباهرة حتى كانت الهجرات الى قلب الخلافة وحتى تمكنوا فى امد قصير ان يتقلدوا محاملها وينالوا من المعتصم ثقته بهم واعتماده عليهم فى تسيير الجحافل وتنظيم الخطط الحربية وسرعان ما تعدوا ذلك الى ان قبضوا على الخلائف انفسهم والى ان صار هؤلاء فى ايديهم لعبة لاعب فلم يرعوا فيهم – كما رعى الفرس – الا ولاذمة وفقدت الخلافة حرمتها وخارت قوائمها الى ان كانت كارثة اولئك الذين خلفوهم وراءهم ؛ كارثة التتار والمغول ابناء اعمامهم .

لنعد الى امجادهم الاسلامية فيما مضى فنجد منها دولة الغزنويين التركية ، لقد عملت هذه الدولة – وعلى راسها محمود – كثيرا من الاعمال فى الفتوح والحضارة ، ولكن فى هذه الناحية بالذات الم تكن الحضارة قائمة على اكتاف الفرس او لم تكن الاداب التي انتعشت فى عهدهم هي الاداب الفارسية التي بعثها الاسلام وحلتها لغته العربية ؟ نعم : كان كل ذلك ؛ وكان محمود فى تلك البيئة بمثابة محمد علي الالباني التركي فى البيئة العربية ؛ فكلاهما نهض ولكنه نهض فى بيئة غير بيئته وحمل بيده قبسا اقتبسه من اولئك الذين نزل بين ظهرانهم فكان الموقد وهم المؤرثين او كانوا اصحاب النار وكان الذي عشا الى ضوء نارهم ، ولولاهم لما كان شيء .

التركية بحكم بدائيتها ونظامها المعقد اطلت على عالم العربية فذهلت منه وخشعت ابصارها له؛ واتصلت بالفارسية وقد طمعت بالعربية كثيرا فاشرأبت اعناقها اليها ووجدتها ــ وهي جارتها ــ اقرب السبل للاستفادة في اوسع معانيها ، فحملت لغتها عناصر هذه ــ ونصفها عربي ــ فانتعش بها ادبها او خلق خلقا جديدا وكان لها فن قولي اسلامي تجلى في تلك اللغة التركية الحديثة « العثمانية » .

وطبعا ان هذه المحاولة كان عليها ان تصمد للازمان الطوال وكان غرسها لابد ان تتمكن جذوره من الارض الطيبة زمنا غير قصير حتى يوتي اكله ، وكان بعد حوالي قرنين من الزمان ان ظهرت اللغة العثمانية والادب العثماني نسبة الى الامير عثمان العظيم .

ومن الطريف ان نطلع على المنشور الذي جعله اميرا على ولاية « سكود » وكان ذلك المنشور من لدن علاء الدين السلجوقي اخر السلاطين السلاجقة في اسيا الصغرى . فهو منشور صدر من تركي الى تركي ولكنه في لغته واسلوبه فارسي اسلامي تتخلله الاي القرآنية والاحاديث النبوية والاشعار العربية والحكم الصوفية العربية ايضا ، فليس فيه على طوله كلمة تركية فبالاحرى الا تكون فيه جملة تركية .

وهكذا بقيت اللغة التركية في صمت عميق لا نبس له بين اصداء الاداب وفي شلل كلي لا تستطيع معه يد ان تبرى قلما ، وفي عراء كاشف لايسترها لباس ، الى ان ركبت ــ بعد الانتعاش ــ في منحرها حنجرة غيرها ووصلت بمنكبها ساعد غيرها ثم ارتدت بيدها الصناعية رداء غيرها وكانت العربية هي المعيرة بيدها العربية الخالصة وهي المنيلة باليد الفارسية وقد تختمت اصابعها بخواتم عربية وحليت معاصمها باساور عربية فتحركت اللغة العثمانية وقد نفخت فيها الارواح وانبعثت من تلك الحناجر الاصداح واختالت مزهوة بذلك الرداء ولكنها مع ذلك او لذلك ــ والكل مستعار او صناعي ــ لم تكن الا مقلدة في كل شيء ومرددة لكل شيء . . .

كان على راس شعرائها في القرن العاشر شاعر جادت به العراق وانشاته « الحلة » ذلك الشاعر هو « فضولي » وهو فضولي حقا حينما تناول كثيرا من الموضوعات فشعر فيها او ترجمها الى اللغة العثمانية ومن منظوماته « ليلى ومجنون » ومن مترجماته عن الفارسية كتاب «روضة الشهداء» لحسين الواعظ الكاشفي في اخبار اهل البيت ، فسماه في ترجمته «حديقة الشهداء» .

وكان الشاعر الاديب الى جانب كونه محسنا للفارسية كذلك كان محسنا للعربية حيث ترجم منها « كليلة ودمنة » الى الفارسية ، ونقل قصة « مجنون وليلى » الى التركية .

ومهما يكن فقد كان هذا الاديب في التركية من طلائع الادباء الذين كانت لهم مكانة اصيلة فيما بعد ، ومن ثم ارتقى الشعر بالخصوص ونال قمته في الكمال على يد شاعر عربي الاصل هو « عبد الحق حامد » وهذا الشاعر لم يمض على وفاته اكثر من نيف وعشرين سنة وهو اعظم شاعر في العثمانية على الاطلاق ومنظومتاه « مقبر » و « اولو » تعدان بحق من اعظم ما كتب في الاداب العالمية .

لنرجع الى ما وراء خمسة قرون فنجد ان النحو التركي لم يؤلف فيه الا عربي ولم يؤلف فيه الا في بيئة عربية او ت بعض الاتراك ، ذلك المؤلف هو ابو حيان الاندلسي صاحب التفسير الشهير وغيره . فحتى النحو التركي لم يجمع شتاته ، ولم ينظم قواعده الا عربي وبلغته العربية وفي بيئة عربية ، ولولا ذلك لتاخر الزمان بالتاليف في النحو التركي الى ان تكون عقول الاتراك مستعدة له . وما كان الصولي وقد نبغ في العربية ليلتفت الى لغته الام او الجدة ليؤلف في قواعدها .

بقي علينا ان نلتفت الى نشاط الاصابع العثمانية فنجدها تتناول القلم العربي فتخط بالحروف العربية مضافة اليها الحروف التي حورتها الفارسية من العربية فتحبر آدابها وتؤلف كتبها وتسجل بها مفاخرها ويقول الترك : قد اكتملت عدتنا وهذا عتادنا ويصيح اليهم التاريخ وتصغي اليهم العلوم وتنقش بهم الفنون ؛ ولكنهم ما اصيبوا بكوارثهم وما تكالبت عليم جيرانهم وعملت الصليبية في هد كيانهم حتى استكانوا لقصف مدافعهم وانساحوا في مجرف تيارهم فقالوا علينا ان نطيع وعليكم ــ مرجوين ــ ان تبقوا ؛ وقذفوا بالكتابة العربية وطوحوا بالالفاظ العربية وحاولوا واهمين ان «يطهروا» منها لغتهم .. ولكن هل وفقوا في كل ذلك ؟

هذا سؤال يمكن ان تجيب عنه بذلك النشيد القومي الخالص الذي نظموه لنشأتهم بعد ما مضى

على ثورتهم وتأسيس جمهوريتهم عشر سنوات : هذا النشيد اسمه « توركيه جمهور تينك او تنجي يل مارشي» اي نشيد السنة العاشرة للجمهورية التركية ، ففي هذا النشيد قلما يخلو بيت من كلمة عربية ــ حسبوها تركية ــ ولنقرأ منه هذين البيتين :

جيزه رك فانمز له اوزبوردك «خريطة» سنى
ديندبردك «مملكتك» پيللر سوره ن پاسيني
بوتوله دك هربوندن « استقلال » قاو غا سيني
بوتون « دنيا » اوكره ندى توركلكي صايما سيني

فهذان بيتان فيهما اربع كلمات عربية تضاف عليها كلمة الجمهورية الواردة في العنوان والدولة معا ومعناهما :

لقد خططنا بدمائنا ، خريطة الوطن الام
وهدانا روع « المملكة » الذي امتد سنين
وحققنا ثورة « الاستقلال » من كل ناحية
فتعلمت «الدنيا» جمعاء احترام الجنس التركي

اما الكتابة الحديثة فيكفي ما فيها من اضطراب انها لا تفرق مثلا بين «عن يمينك» و «في كتابك» وبين «عن يمينه» و « في كتابه » من كل « مفعول فيه » و « مفعول عنه » ــ كما يسمون ــ كان ضمير مخاطب او غائب مفرد مضاف اليه ، فالكتابة الحديثة لا ترفع ذلك اللبس بخلاف الكتابة العربية القديمة فترفع ذلك حيث تجعل في الخطاب كافا نونيا وفي الغيبة نونا وكفى ، والكتابة العربية ليست مسؤولة ولكنهم المسؤولون ، حيث استعملوا الكاف لتدل على ما تدل عليه في العربية ، او لتؤدي ما تؤديه الياء ، او لتحل محل النون او الكاف الفارسية ، ولم تكن لها في اول الامر علامة تميزها عن غيرها الا السياق التركي لمن يفهم التركية جيدا ، ثم وضعوا على الكاف النونية ثلاث نقط ووضعوا ــ كما وضع الفرس ــ عارضة على الكاف الفارسية وبقي الاشكال بين الكاف العربية والكاف اليائية ، وكان من الممكن ان يكتبوا هذه ياء وتلا ذلك ان حاولوا بصفة عامة كتابة التركية عن طريقة يجعلون الحركات فيها داخلة في نظام تركيب الحروف ويظلوا بذلك محافظين على الكتابة العربية ولكنهم فيما بعد طرحوا هذه الكتابة بالمرة ــ لعوامل تملقية ــ واستعاروا من الالمانية والطليانية والفرنسية والروسية بعض حروفها ؛ بل انهم استعاروا حتى الحروف التي اخترعها المستشرقون لتادية النطق العربي ، فكانت العربية حتى في كتابتهم الجديدة ذات فضل غير مباشر على التركية ..

بعد اكتشاف مناجم النفط :

هل تخرج الصحراء أسرار مدنيتها العتيقة ؟

للأستاذ : قاسم الزهيري

لم تبق الصحراء ذلك التيه المخيف الذي ينذر بالموت كل من يتوغل فيه ، ولا تلك الارض الموات التي لا يقام لها وزن ولا يؤبه بحدودها ، بل اصبحت فى السنوات الاخيرة تحتل المكان الاول من اهتمام رجال الدول ، وتخصص لها التعاليق الضافية من لدن الاخصائيين والملاحظين على اعمدة الصحف والمجلات ، وصارت مثار الاطماع والنزاع والخصومات بين الدول ، وقد تغدو ـ اذا لم توجد لها حلول ـ عاملا من اهم عوامل التوتر العالمي ، ذلك بعد ما اكتشف المنقبون فى احشاء الصحراء ثروة ثمينة من النفط وغيره من المعادن

وموضوع هذا المقال يقتصر على الصحراء الممتدة من جنوب المغرب والجزائر شمالا الى السودان والسنغال جنوبا ومن الحدود الليبية شرقا الى المحيط الاطلسي غربا ، وتبلغ هذه المساحة ازيد من مليونين كيلومتر مربع او ما يعادل اربع مرات الجزء المتحرر من بلادنا .

ان كنوز هذه الصحراء لم تكتشف كلها ، وربما كان ما عثر عليه المنقبون سوى جزءضئيل من الثروة المعدنية المخبوءة فى بطن هذه الارض القاحلة . لقد اكتشفت لحد الان ثلاث بطائن من البترول :

اولاها واقعة فى منطقة « حسي مسعود » على مسافة 650 كيلو مترا من مدينة الجزائر وتبلغ كثافة هذه الطبقة 140 مترا وطولها نحو ثلاثة كيلومترات ونصف ، ويقدر ما يمكن استخراجه منها بازيد من خمسة ملايين طن فى العام . اما البطانة الثانية فتقع فى منطقة « عجلة » على مسافة 700 كيلو متر من طرابلس ، ويقدر النفط الذي سيستخرج منها بازيد من ثلاثة ملايين طن فى السنة . واما البطانة الثالثة فتوجد بمنطقة « حسي الرمل » على بعد 450 كيلو مترا من عاصمة الجزائر ، ولا يقل محصولها اهمية عن كل من سابقتيها ، هذا زيادة على المعادن الاخرى التي عثر على بعض مناجمها كالفحم والحديد والمنغنيز والرصاص والنحاس والقصدير والاورانيوم .

واذا كانت هذه الثروة المعدنية قد بدات تنكشف ، فهناك ثروة معنوية لا تقل عنها اهمية لم تنكشف اسرارها لحد الان ، وهذه الثروة تتجسم فى حضارة مزدهرة عرفتها الصحراء قبل التاريخ الميلادي بثلاثة او اربعة الاف سنة ، وتدل عليها آثار نقوش عثر عليها الباحثون فى السنوات العشر الاخيرة ، وقد نقل بعضها الى باريس حيث ملىء بها جناح خاص من « متحف الانسان » .

ويجمع علماء الاثار ان الصحراء كانت فى تلك العصور بقعة مخضرة تتخللها انهار عظيمة ويطيب فيها العيش ، وكانت مهد حضارة راقية ، وعمارة لا تقل عما نشاهده اليوم فى البلاد المتحضرة ، ثم ادركها الجفاف ونضبت عيونها بمرور الاجيال والقرون ، واذا عرفنا ان العلماء يقدرون بعشرين كيلومترا المساحة التي تأكلها الصحراء الافريقية من الاراضي المجاورة لها فى كل عام، سهل علينا ان نتصور كيف استحالت تلك السهول الى ارض قاحلة ، وكيف هجرها سكانها حتى لم تبق بها سوى ثمانمائة الف نسمة منبثة هنا وهناك ، وكيف درست تلك الحضارة فأصبحت اثرا بعد عين .

ونجد اشارة لهذه الحضارة فى مؤلفات المؤرخين اليونانيين والرومانيين (سطرابون ؛ هيرودوط ، بطوليمي) وخاصة منهم سالوسط الذي تحدث كثيرا عن تلك الحضارة فى كتابه « حرب بوغورطة » الملك البربري الذي قاوم الزحف الروماني ومات فى الاسر ضحية دفاعه عن استقلال الشمال الافريقي ، وينتظر المرء العقد الخامس من القرن العشرين ليشاهد اهتمام

بعض سماء الآثار والحضارات القديمة بمدنية الصحراء. فقد قام مسيو هانري لوط العالم الفرنسي ورئيس متحف الانسان بباريس ببحث فى نيافي « الهوغار » واكتشف عدة آثار ونقوش تدل دلالة واضحة على مدى ما بلغته الحضارة الصحراوية من تقدم قبل التاريخ .

لقد تركت هذه الحضارة فى المغارات اثارا تعد من اروع ما عرفه فن النقش على الحجر ، وهي تمثل حيوانات فى اوضاع مختلفة من تلك الحيوانات التي لم يبق لها وجود فى الصحراء ، كما تمثل صورا من الطقوس الدينية والعوائد التي كانت معروفة عند بعض الشعوب والتي يوجد اشباهها فى بعض البلاد . ولا تخفى اهمية مثل هذه الاكتشافات فى استجلاء اصل الحضارة التي انبعث فى الصحراء ومعرفة أصل الشعوب التي عاشت فيها ، وبالرغم عن كون علماء الآثار لم يهتدوا لحد الان الى اصل هذه الحضارة وتلك الشعوب ، فانهم متفقون على انها ترتقي الى العصر الحجري الصقيل بما عثروا عليه من ادوات خاصة بهذا العصر .

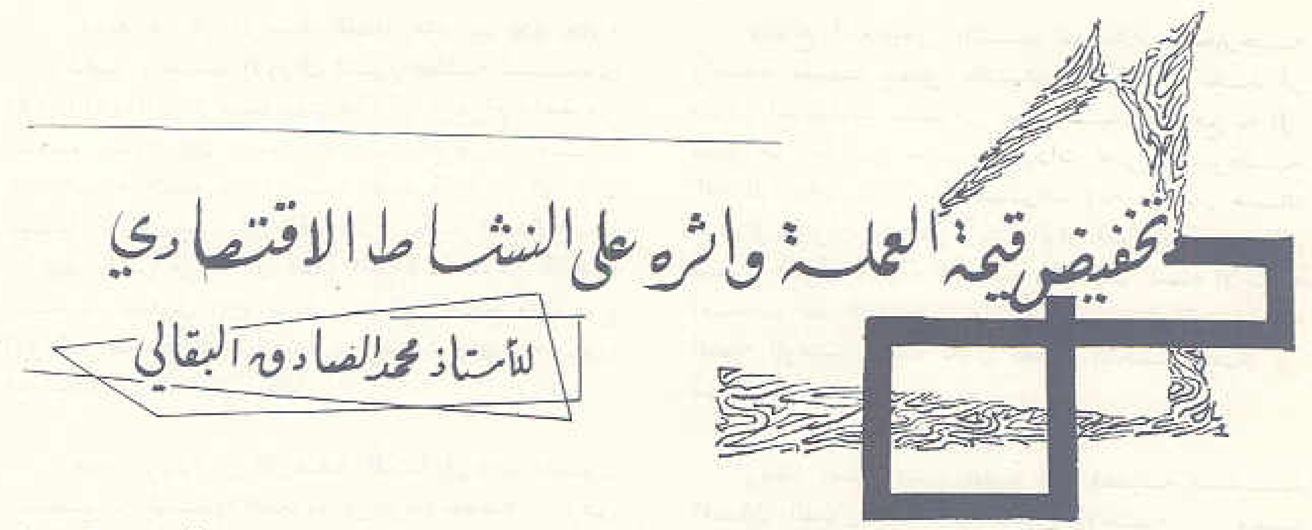
ولا ينبغي ان ننسى ان هذه الاكتشافات حديثة العهد ، والمعتقد ان الدوائر العلمية المختصة ستولي العناية اللازمة لهذا الموضوع والمؤمل ان تستخرج اسرار هذه المدنية التي عفى اثرها وعايشت المدنيات القديمة كالحضارة الصينية والفرعونية (1) ، ولا تخفى اهمية هذا الاكتشاف بالنسبة للشمال الافريقي وبالنسبة لبلادنا بوجه خاص . وقد تلقي ضوءا كبيرا على اصل سكان المغرب الذي ما يزال لحد الان مثار النقاش بين المؤرخين .

وفى هذا الصدد نشر صديقنا الصحافي البلجيكي المتضلع اندري موايان بحثين قيمين فى جريدة «Le Patriote illustré» ومجلة «Le Phare dimanche» البلجيكيتين ضمنهما ما وصل اليه بنفسه من تنقيبات فى الاطلس الكبير والاطلس الصغير من بلادنا ، لقد قرا الكثير عن اكتشافات العلماء ، ودفعه البحث ومهنته الصحفية الى زيارة المغرب عشر مرات منذ ثلاث سنوات ، وفى آخر مرة توفق الى العثور عن مغارات والوقوف على نقوش وقبور يرجع عهدها الى خمسة آلاف سنة قبل المسيح ، ومن المقارنة التي قام بها بين النقوش المعروفة والنقوش على الصخر الموجودة فى جبال الاطلس الكبير وبين شكل دفن الموتى فى العهود القديمة بالصحراء وغيرها من الاقطار ، استنتج ان البربر من ارومة واحدة هم وسكان « لا كول بلجيك « La Gaulle Belgique » الاقدمين ، فيكون اصلهم من القوقاز فى القطعة من الارض الواقعة على ضفاف القزوين .

ان هذا الاستنتاج — بالرغم عما يعتمد عليه من قرائن — لا يعدو ان يكون مجرد تخمين ما لم يتولاه الاخصائيون من علماء الآثار والاجناس والحضارات بمزيد التمحيص والبحث ، ولعل فيما وصل اليه مسيو موايان ما يحفز المهتمين بالحضارات القديمة الى الكشف عن اسرار حضارة الصحراء التي ما تزال صفحتها مطوية والتي تبشر بالقاء اضواء لامعة على كثير من جوانب مدنية افريقيا الشمالية والقارة الافريقية عموما.

---

1) توجهت بعثة استكشافية تشتمل على عشرين عالما وصحفيا الى الصحراء الوسطى للبحث فى الهضاب الممتدة ما بين الهوغار والتشاد ، ويرأس هذه البعثة مسيو هانري لوط صاحب الاكتشافات التي اشرنا اليها فى المقال ، وقد خرجت من الجزائر يوم 16 نونمبر وستقطع مسافة 2 600 كيلومتر ذهابا وايابا وتستمر مهمتها شهرين .



تخفيض قيمة العملة واثره على النشاط الاقتصادي

للأستاذ محمد الصادق البقالي

ان سياسة تخفيض العملة عملية درجت عليها السياسات الاقتصادية لمعظم الدول ـ ان لم تكن كلها ـ منذ عرف النظام النقدي فيها ...

ونحن اذا رجعنا الى الاسباب والدوافع التي تدفع الى اتخاذ اجراء تخفيض القيمة الاسمية للعملة تجدها فى الغالب الاعم دوافع اصلاحية ، طالما حققت نتائج جليلة فى التنمية الاقتصادية والازدهار التجاري خارج البلاد وداخلها .

وقبل ان اتحدث عما ينتج عن التخفيض من نتائج وآثار مباشرة وغير مباشرة ضارة ونافعة يجب ان اقف لالقي نظرة خاطفة على النقود (العملة) والمقصود منها والمدلول العام لمعنى التخفيض .

كلنا يعرف جيدا ان قيمة عملة بلد من البلاد تحددها سياسة حكومته حسب ما لديها من احتياطي ذهب فى خزانتها وصكوك على الحكومات الاجنبية وعملات صعبة اجنبية ... اذ تعتبر هذه الثروة هي الغطاء الذي تصدر تحت حمايته الحكومة هذه الاوراق التي نسميها **نقودا** والتي نشاهدها كل يوم ونتداولها فى معاملاتنا العادية ... وفى الغالب تعطى لبنكها المركزي الوطني حق اصدار النقود المتداولة اي اخراج قيمة تحددها الارصدة او الغطاء الذي يكون لدى الدولة فى الخزانة بنسبة معينة بحيث تكون لهذه الاوراق المسماة **بالبنكوت قوة ابراء غير محدودة ...** كافية لضمان المعاملات التجارية وتبرئة المدينين بحيث يقبلها كل دائن ؛ ما لم ينص العقد المبرم بينه وبين مدينه على خلاف ذلك اي تسديد الدين بعملة بلد آخر (العملة الاجنبية) وهذا الاجراء الاخير يجب الا تغفل عنه الحكومة لاجل خطورته على فقد الثقة فى العملة الوطنية وبالتالي قيمتها ...

ولما تحدد قيمة البنكنوت (الاوراق النقدية) بقيمة ما عينيه سياسة الدولة المالية وحسب رصيدها ... تصبح طريقة او عملية الصرف مع سائر عملات الدول الاجنبية خاضعة لنسبة معينة . اذ تكون قائمة على اساس نسبة الذهب الذي تحويه كل عملة بالنسبة للوحدة النقدية لكل دولة . . مقارنة بنسبة ذهب وحدة من نقود دولة اخرى ...

فلو كان الدولار الواحد مثلا يساوي غراما واحدا من الذهب ... وكانت الالف فرنك تساوي غرامين اثنين من الذهب ... كانت القيمة الاستبدالية اي قيمة الصرف بين كل الف فرنك دولاران اثنان ... اي ـ 1 : 2 ـ وبهذه الطريقة تحدد **قيمة الصرف الرسمية** بالنسبة لكل عملة اجنبية ... على ان هناك بعض الاعتبارات لابد من اخذها فى الحسبان بهذا الصدد .. كحالة العرض والطلب على عملة معينة .. بحيث تزيد **القيمة السوقية** للعملة كلما ازداد الطلب عليها والعكس صحيح .. وهذه ظاهرة طالما شاهدها سكان طنجة ..

اما عن التخفيض ومعناه فما هو فى الاصل الا احداث لزيادة المتداول من الاوراق المالية لزيادة السيولة داخل البلاد ولكسب الاسواق خارجها ..

وقد تلجأ اليها الحكومة اما لتغطية عجزها فى الميزانية المتلاحق او لزيادة الانفاق فى مرافق الانتاج والاستثمار وقد يكون للاثنين معا ... او لاغراض اخرى كتثبيت العملة اذا كانت متدهورة وغير ذلك ...

والتخفيض يتمثل فى **زيادة ما هو متداول من الاوراق المالية المصدرة** وذلك بزيادة اصدار اوراق جديدة مع **ثبات نسبة الغطاء** اي الرصيد من الذهب والعملات الاجنبية ...

فمثلا لو كان الرصيد للغطاء يقدر بـ 000 000 5 غرام ذهب وكانت الاوراق التي تمثله تساوي 000 000 500 2 فرنكا معنى هذا ان كل غرام واحد من الذهب يساوي 500 فرنكا وهذا مجر فرض .. فاذا كانت نسبة التخفيض في قيمة العملة 20 ٪ اي 5/1 قيمتها كانت زيادة الاوراق التي يجب اصدارها ب 500 مليون فرنك لان قيمة الغرام واحد من الذهب اصبحت تساوي 600 فرنك وبالتالي يصبح مجموع الاوراق النقدية القديم منها والجديد 3.000 مليون مع ثبات الرصيد على حاله .

وهذه الزيادة في الارصدة الممثلة في 500 مليون تستطيع ان تستغلها الحكومة في اوجه عديدة .. وهي تختلف بحسب الظروف ... فهي تستطيع توجيهها الى الاستثمار او الى الخدمات العامة في انفاقها .. حسب ما تقتضيه السياسة .

فهي تقوم بزيادة الانفاق على الخدمات العامة متى رات حالة كساد وعدم اقبال المستهلكين على الانفاق مع تضخم الاستثمار في السلع الراسمالية .

اما اذا رات فتورا في ميدان الاستثمار وتوظيف رؤوس الاموال فهي تقوم باستغلال موارد الانتاج بانشاء منشئات توظف فيها ايدي عاملة وتستغل بها موارد طبيعية معطلة ... حتى تحد من وطئة الحاجة الى المنتجات وتخفف من ندرة الحاجيات وتنشط المرافق الاقتصادية المختلفة ..

على ان زيادة اوراق النقد ليس كله محاسن بالنسبة للمجتمع لانه اذا كانت عناصر الانتاج اي الايدي العاملة والطاقات الانتاجية للمصانع كلها متشبعة والموارد الطبيعية كلها مستغلة .. اي وجود حالة تشبع .. ففي هذه الحالة زيادة الاوراق النقدية المتداولة مع ثبات حالة المنتجات معناه حدوث تضخم اي ارتفاع في الاسعار ...

ولكن لما كانت الظروف التي تخفض فيها العملة هي حالة وجود فجوة انكماشية في الغالب اي وجود ايد عاطلة وموارد غير مستغلة كل الاستغلال لذلك فالنفع يعود اذا وجه الجزء اللازم لاعادة تلك الفجوة الى حالتها الطبيعية وبذلك تتجنب حالة ارتفاع في الاسعار لتوافر السلع والمنتجات بحيث يتساوى او يكاد جانب الطلب والعرض .. وبذلك تتم الموازنة ..

ونتائج التخفيض بالنسبة للمعاملات الخارجية واضحة ففيما يتعلق بالتصدير والايراد نجد ان ميزان المدفوعات يجب ان يحكم بسياسة تدفع به الى تقليل ما امكن من جانب الواردات حتى لا تترجح كفة الواردات على كفة الصادرات لانه ان كان هناك فرق في الميزان ناتج عن زيادة الواردات كان معنى ذلك تسديد الفرق بالعملة الاجنبية ولما كانت العملة الاجنبية اصبحت بعد التخفيض اعلى قيمة ــ مما كانت عليه العملة الوطنية لذلك يكون معدل التحميل اعلا من ذي قبل .

وهذه الحالة تلفت نظرنا الى قضية تسديد اقساط الديون وفوائدها للدول الاجنبية .. فبعد التخفيض يصبح هذا العبء اكثر وطئة واشق ..

اما بالنسبة لاثر تخفيض قيمة النقود على الفرد فالشخص المدين يغنم من هذا الاجراء بينما الدائن يغبن في حقه هذا اذا لم يكن هناك اتفاق على خلاف ذلك وقد اسلفت الكلام عن هذه الحالة .

وكذلك بالنسبة لذوي الاجور الثابتة فهم يتأثرون بل يعانون كثيرا من وراء هذا التخفيض وربما يصيبهم الغبن نتيجة لنقص القوة الشرائية مع ثبات دخلهم .. وبذلك تقل مقدرة الافراد على الادخار ..

ونقص القوة الشرائية يوحي بعدم الاطمئنان الى العملة وفقدان الثقة بها مما يجعل الافراد يسرعون للتخلص مما تحت ايديهم من نقود بشراء سلع ومنتجات .. وسرعة زيادة الطلب هذه لا توازنها زيادة مماثلة في السلع والمنتجات مما يؤدي الى زيادة اكثر في الاسعار وهبوط اكثر في قيمة النقود .. ويكون في هذه الحالة من الاوفق ان تدخل الحكومة مساهمة في ميدان الانتاج باستثمار الاموال العامية حتى تسد الفجوة في الاستثمار الخاص ..

على انه رغم كل ما قد يعقب تخفيض قيمة العملة من مساويء فان الحكومة المتيقظة تضع دائما نصب عينيها تحقيق خطة اقتصادية مرسومة وبرامج انشائية للتنمية الاقتصادية وللازدهار .. وهذا يتحقق ما دام هناك مجال للاستثمار كوجود ايدي عاملة صالحة وموارد طبيعية غير مستغلة نافعة وخبرات اجنبية سديدة غير متحيزة .

البربر والعروبة

للأستاذ الحسن السايح

لم يلبث الرومان ان استولوا على الشمال الافريقي، وقهروا الحضارة الفنيقية واستبدلوها بالحضارة الرومانية ، فحولوا المعابد (من معابد بعل الى معبد (ابلون) وحطموا قرطاجنة واقاموا على انقاضها مدينة رومانية جديدة ، ومن الحق ان نعترف ان اجدادنا البرابرة ضعفت شخصيتهم الادبية طيلة عصر الرومان فتأثروا بآدابهم وثقافتهم الى حد كبير ، بل كان البرابرة من عظماء المفكرين الرومانيين ، سواء فى ميدان الادب والسياسة او فى ميدان الدين ، ومن الحق ان نعترف ان البربر فى هذه الحقبة التي تقمصوا فيها مظاهر الشخصية الرومانية كانوا اقرب الى الطبيعة والفطرة فى النظام الاجتماعي ، ونحن نعرف ان العرب فقدوا شخصيتهم بعد خروجهم من الجزيرة العربية ، واقامتهم بحوض دجلة حيث استولت عليهم الحضارة الفارسية وكذلك وقع لهم مثل هذا فى بلاد الشام حيث تأثروا بالحضارة الرومانية ، وقل ذلك بالنسبة لحياتهم فى مصر وفى الاندلس ايضا : فلا يجوز والحالة هذه ان نلوم البرابرة على هذا الانسلاخ لانه انسلاخ يكاد ان يكون عاما لدى الشعوب التي تفارق موطنها القديم وتترك عطنها الاول .

فالواقع التاريخي ان البربر تأثروا بالحضارة الرومانية بعد ان ظلت مسيطرة عليهم زهاء ثمانية قرون بواسطة الدين الكنسي والادارة المحلية واصبح البربر رجال هذه الحضارة سواء فى الناحية الادبية او الناحية السياسية او الناحية الدينية . ونذكر من مظاهر هذا التأثر فى مضمار الادباء (تورتوريان) وهو كاتب بربري مبدع ولد بقرطاج سنة (160 — 245) واهتم بالدراسات الادبية ، وله حملات ضد المسرح الروماني (وسبريان) ، وهو كاتب ديني تولى منصب اسقف بقرطاج ، وعرف بانتاجه الادبي ومن مؤلفاته كتاب (الصبر) الذائع الصيت فى الادب الروماني حيث ان مؤلفه كان زعيما من الطائفة الدومينية وبث فيه افكاره الفلسفية ، (والقديس اوغسان) المولود بتاكست القريبة من سوق الاحراش مؤلف كتاب الاعترافات ، والمؤرخ الكبير (فلوروس) .

وفى ميدان السياسة يذكر التاريخ الروماني اسم كثير من القواد والرؤساء نخص منهم بالذكر سبنيون الافريقي وغيره من القياصرة الرومانيين من ذوي السلالة البربرية .

على ان العهد الروماني ولى وخلفه عهد اشد حلكة منه وهو عصر الوندال تحت قيادة جنصرين ثم عصر البيزنطيين الذين قاومهم العرب والبربر معا بعد الفتح الاسلامي ...

وما كاد الاسلام يشع فى الجزيرة العربية حتى خرجت جحافل العرب تبشر بالدين الجديد فى مختلف الامصار .

ففي خلافة عثمان بن عفان استأذن الوالي على مصر عبد الله بن ابي سرح الخليفة فى فتح بلاد البربر سنة ست وعشرين فاذن له الخليفة فى هذا الغزو وبذلك وقع الاتصال من جديد بين العرب والبربر .. وكان البربر متعاونين مع البزنطيين ولكنهم لم يكادوا ينهزمون امام جحافل العرب وان يعرفوا مغازي الفتح العربي حتى انقلبوا ضد البزنطيين وتعاون قليل منهم مع العرب ، ومع ذلك قد استمر العراك بين العربي والبربري طيلة ولاية معاوية بن حديج وعقبة بن نافع والمهاجرين ابى دينار وحسان بن النعمان ، ومن الملاحظ ان كثيرا من القبائل اعتنقت الاسلام ثم ارتدت عنه ، وان كثيرا من القبائل ثارت ضد الفتح الاسلامي ونقضت العهود ولكن هذا لا يدل على خلاف جنسي فقد ارتدت معظم القبائل بقيادة مسلمة بعد موت النبي ، وانما يدل على ان الايمان لم تخالط بعد بشاشته القلوب .. وان الاسلام ثورة اجتماعية وفكرية

لا يتأتى لها ان تسيطر بسهولة ويسر سيما وآراؤه الاجتماعية تصطدم مع كثير من الانظمة العتيقة لما تتسم به من تحرر وانعتاق ، والمهم من هذا السرد هو الانتباه الى مشكلة يسردها بعض المغرضين ذلك ان البربر قاوموا الغزو العربي ، ومعنى هذا انهم قاوموا العرب لصفتهم الجنسية ولانهم غرباء عن فصيلتهم ولغتهم ويستنتجون من هذا ان هذه المقاومة لم تخفت في يوم من الايام لان العرب شرق والبربر غرب ، ولن يلتقيا ولست ادري كيف يفسرون هذه الحروب التي استمرت في الجزيرة العربية بين المسلمين والقرشيين فهل وجدوا لها سبيلا عنصريا ايضا ؟ وكيف يفسرون الحروب الداخلية التي اشتعلت في مختلف البلدان كحروب الثورة الفرنسية والحرب الاهلية الاسبانية فهل تعتمد على سبب جنسي ايضا ؟ فاذا كانوا يرون ان هذه الحروب هي نتيجة الصراع بين فكرتين متناقضتين فلا مانع لهم ان يفسروا سبب الحرب بين البربر والعرب بنفس التفسير ، ما داموا باحثين منصفين بل ان بعض المغرضين — يتخذون من ادب العرب حجة على هذا الصراع الجنسي ذلك لان الشعراء وهم المعبرون عن النزعة العربية هجوا البربر فقال خلف بن فرح :

رايت آدم في نومي فقلت له
ابا البرية ان الناس قد علموا
الخ

ولكنهم لم يذكروا الا هاجي العنيفة التي استمرت طيلة العصر الاموي بين اليمنية والقحطانية ولم يعرجوا على قصائد جرير في قوم الفرزدق والاخطل ... وغير ذلك كثير لا يمكن حصره ، بل لم يذكروا قول يزيد بن خالد يمدح البربر :

ان قيسا قيس عيلان هم
معدن الخير على الخير دلل
حسبي البربر قومي انهم
ملكوا الارض باطراف الاسل

والواقع ان النزاع العربي البربري هو نزاع اسروي يقع بين العربي واخيه البربري وان الشعر الهجائي لا يدل على شيء في هذا المضمار لانه اقرب الى الهزل منه الى الحجة التاريخية والاستشهاد به في هذا الموقف بالذات سخافة ما بعدها سخافة .

لقد استطاع البربر في سهولة ويسر ان يتقنوا العربية اتقانا وان يكون من بينهم طارق بن زياد الذي خطب امام جحافل العرب والبربر قبل الانطلاقة الكبرى عبر البلاد الاسبانية وكان من بينهم سابق المطاطي شاعر الوعظ والارشاد في دولة بني امية في الشام . كما كان يحيى بن يحيى الليثي المصمودي احد ائمة المذهب المالكي وراوي الموطأ عن الامام مالك ، ولقد اسس عقبة ابن نافع نواة الثقافة الاسلامية التي دامت في بلاد البربر وذلك يوم بنى (القيروان) ، ومن المفيد ان اذكر ان هذه الكلمة من اصل فارسي تفيد معنى (المعسكر) وتطور المعسكر (الرباط) في عهد الوالي هرثمة بن اعين واصبح عبارة عن مدرسة التكوين الاسلامي ، حتى اذا وصل القرن الرابع الهجري كان الاسلام عم البلاد ولم يبق هناك اثر للنصرانية في بلاد البربر كلها (ومن الانصاف ان نشير الى حادثتين مهمتين وقعتا في هذه الفترة الاولى من تاريخ الاسلام بالمغرب العربي (اولهما) انتفاضة كسيلة البربري على عقبة بن نافع الفهري (وثانيتهما) ثورة ميسرة المضفري الخارجي ، اما الاولى فلها تفسير بسكلوجي ذكره المؤرخون العرب ، فقد بالغ عقبة في اذلال القائد البربري كسيلة ولاحظ ذلك اصحاب عقبة فنصحوه ولكنه لن ينتصح ، فكانت ثورة كسيلة انتقاما شخصيا من قائد يبالغ في الاستهانة به وليست ثورة عنصرية او جنسية (اما ثانيتهما) واعني ثورة ميسرة المضفري فقد كانت الخارجية قد انتشرت في بلاد المغرب بل اسست دولة خارجية هي دولة بني رستم في سجلماسة ، وانضوى بعض البربر تحت لوائها ليحققوا آمالها في الحكم ويسترجعوا مكانتهم كقادات ، وصادف ذلك سوء تصرف الوالي عبيد الله ابن الحبحاب ، فانتفض البربر تحت زعامة ميسرة ، ولا يمكن ان تفسر هذه الانتفاضة بانها انتفاضة عنصرية بقدر ما نرى المذهب الخارجي كان متنفسا لكثير من الناس الذين لم يقروا الخلافة في قريش سواء من العرب او من العجم او من البربر ، كما يدل على ذلك تاريخ الحركة الخارجية ، ويدل على بطلان هذه الدعوى تفشي الحركة الشيعية في المغرب تلك الحركة التي امدت الفاطميين بعنصر قومي من الرجال والافكار حتى تسنى لدولتهم ان تقيم خلافة كبرى تحل محل خلافة بغداد ، فوجود الحركة الخارجية والحركة الشعبية في المغرب دليل قومي على تمركز الاسلام والعربية فيه ، بحيث تأتى لهذه المذاهب الكلامية والسياسية والقانونية المنبثقة عن التفكير الاسلامي المحض ان تعمل عملها في بلاد البربر التي اصبحت بعد الفتح بلادا مسلمة العقيدة (سامية) (نسبة الى العنصر المتساكن) والكلام على الحركة الشيعية في المغرب يدفعنا للتكلم على دولة الادارسة التي كان بطلها من آل البيت ، وهو المولى ادريس

الاكبر الذي يمم جهة المغرب لاقامة دولة عربية فآوته القبائل البربرية ، وبالاخص قبيلة عبد المجيد (يخطىء بعض المؤرخين فيقول عبد الحميد) (والغالب عبد المجيد بدليل وجود هذه القبيلة الى يومنا هذا) حيث لعبت البربر دورا هاما فى تأسيس هذه المملكة وكانت المراة البربرية صاحبة الحظ الاسد فى تاسيس هذه الدولة ككنزة ام المولى ادريس الاصغر والاميرة الحسنى زوجته التي كان لها ضلع فى قيادة دولته كما فى كتاب (الدرر النسبية) ، ولم تكن الدولة الادريسية فى الواقع الا محاولة موفقة لتركيز الاسلام والعربية والتهييء لقيام امبراطورية بربرية اسلامية لتلقيح هذا الشعب بمصل جديد حمله اليه عظيم من اعرق الناس عروبة واسلاما ، وسوقنا الحديث عن الامبراطورية البربرية لالقاء نظرة على القبيلة البربرية العظمى التي اضطلعت بهذه المهمة الكبرى .

فقد كانت تسيطر على اجزاء المغرب فى بداية الحكم الاسلامي قبيلة عظيمة هي قبيلة صنهاجة ، وكانت هذه القبيلة تنقسم الى قسمين (صنهاجة شرقية) (وصنهاجة غربية) كما كان التنافس على اشده بينهما وكلاهما شعرا بدوره فى توحيد المغرب تحت شعار امبراطورية اسلامية مغربية حيث تم انصهار العنصر العربي والبربري فى بوتقة المغربية الاسلامية ، وقد شاهد العصر الادريسي هذا الصراع فى اعنف صوره حيث تجرع امراء هذه الدولة مرارة الانهزام على يد العاهل الصنهاجي بادبس الزيري الذي بنى مدينة (اشير) واحتل مدينة فاس غير ان انقسام الزيرين عاجل دولتهم كما هو مشهور فى كتب التاريخ ولذلك لم يمكن لهم فى المغرب الاقصى بينما كان عبد الله بن ياسين يكون فى تخوم الصحراء نـواة الامبراطورية الجديدة ، ولا ينكر المؤرخون عروبة بني زيري الذين كان فيهم الكتاب والشعراء ، وقد كتبت بحثا طويلا عن (تميم بن المعز) احد ملوكهم الشعراء بلغة الضاد ، اما صنهاجة الشرقية فان تمسكها بالاسلام لا يحتاج الى دليل وان دولة كان مؤسسها عبد الله بن ياسين لا يمكن الشك فى عروبتها واسلامها فقد كان عبد الله بن ياسين زعيما روحيا وسياسيا لدولة الملثمين ، وكانت نظريته الدينية دستورا لدولة المرابطين التي اسست فى عصر الفوضى والانحلال لتقوم باصلاح كبير وانقلاب حقيقي على اساس متين دينيا واخلاقيا ، لذلك كانوا نموذجا لسلامة الاخلاق والنزعة الدينية المستقيمة .

ودولة المرابطين هي اول دولة بربرية اسلامية اسست فى المغرب ، وان اخلاصها العميق للاسلام والعروبة ليتجلى فى موقف الخليفة يوسف بن تاشفين من الخلافة فقد لقب نفسه بامير المسلمين بدلا من امير المؤمنين تأدبا مع خليفة بغداد، واعترافا بدولته الكبرى وانطواء تحت شعار الخلافة الاسلامية بيد ان احتكاك هذه الدولة بالاندلس وحضارتها عقب انهيارها سياسيا واجتماعيا عاجل دولة المرابطين بالانهيار لمخالفتها للدعوة الخلقية السامية التي اسست على مبادئها دعوتها .

وجاء الموحدون تحت قيادة المهدي بن تومرت ليواصلوا السير نحو توحيد المغرب عروبة واسلاما مع سائر الاقطار الاسلامية الاخرى ؛ ولكن المهدي بن تومرت جعل حدا فاصلا بين اللغة والدين .

فقد ذكر مؤلف الاستقصا ان المهدي بن تومرت امر ان يكون النداء فى الصلاة باللغة البربرية كما ذكر المراكشي فى المعجب ان من التقاليد المتبعة لدى الموحدين انهم يقرؤون عند ركوب الخليفة فى المحافل تواليف ابن تومرت باللسان البربري والعربي ؛ وفى الحلل الموشية ان المهدي الف للموحدين كتابا بالبربرية فى التوحيد وفى القواعد ، ويروي لناصاحب القرطاس ان الموحدين تعصبوا للغة البربرية فكانوا لا يقدمون للخطبة والامامة الا من يحفظ التوحيد باللسان البربري . غير ان هذه المواقف التي اتخذها الموحدون كانت للهيمنة على المشاعر الشيعية ونشر الاسلام الصحيح بين ظهرانيها ، وبالفعل فقد مهدوا لانتشار العربية فى المغرب بعد ان استأصلوا جرثومة العصبية ؛ وطهروا قلوب المواطنين بتعاليم صافية خالصة ، ومن سطحيات النقد التاريخي ان يعتبر الموحدون اعداء العربية بهذه اللفتات الى الاعتناء بلغة التعبير ، والا فكيف ينكر احد من الناس تلك المحافل الادبية واولائك الاعلام البرابرة فى الادب العربي ، وتلك الحركة الفكرية المزدهرة فى بلاطات الخلفاء والتي لم تكن وسيلة التعبير فيها الا باللغة العربية الفصحى .

ان المهدي ابن تومرت وعبد المومن ، والمنصور الموحدي لم يكونوا خلفاء فحسب ، بل كانوا علماء مفكرين بلغة الضاد ، وان الجراوي وابن حبوس وابو الربيع سليمان وابو حفص كانوا من عيون الشعراء وفطاحل الشعر العربي ولم تكن دولة المرابطين ولادولة الموحدين ولا دولة المرينيين بدول بربرية العنصر بل كانت دولا عربية تتكلم اللغة العربية وتحس احساسا

عربيا وكان كبار الموظفين من الوزراء والقضاة والقواد من اسر عربية ولم يكونوا يقيمون لهذه الاعتبارات الجنسية أي وزن بل كان المرابطون مطهرين للاندلس من عبث الافرنج ، ونهج طريقهم الموحدون والحفصيون فوحدوا البلاد ضد غارات الافرنج كذلك ولم يكن بنو مرين اقل حماسا منهم فى الدفاع عن حوزة الاسلام والعروبة يوم تحالفوا مع بني الاحمر اواخر القرن التاسع لصد هجمات الاسبان ، بل ان امراء البربر سواء كانوا مصامدة او صنهاجيين او زناتيين حاولوا ان يربطوا اصولهم بالعدنانية والقرشية واسعفهم النسابون بكثير من ذلك وكفى أن يقول الشاعر الصنهاجي :

قوم لهم شرف العلا من حمير
وإذا انتصبوا صنهاجة فهم هم

ويقول الشاعر المريني :

ايها السائل عنا أصلنا
قيس عيلان بنو العز الاول

ولنا الفخر بقيس انه
جدنا الاكبر فكاك الكبول

وكفى البلاط الموحدي اعتزازا بالعروبة ولغتها ان يطرق باب الخلافة طبيب غماري وشاعر جراوي وكلاهما من البربر فينكتا الخليفة على هذه المصادفة بقوله طبيب من غماره وشاعر من جراوة ويجيبه الشاعر الحاضر البديهة ، وضرب لنا مثلا ونسي خلقه نعم نسى انه خليفة بربري ، ونسى الجميع ان البربر هم فصيلة عربية ، وتعشقهم لهذا العنصر ليس امارة من امارات (مركب النقص) بل هو من شوق الحبيب الى الحبيب .

ولكن الامبراطورية الاسلامية الموحدية والمرابطية صكت آذان بعض المستشرقين فسماها بعضهم بالجماعة البربرية le Pana Berbérisme وتخيلها احياء الامبراطورية ماسينيسا وغيره، ولكن زعما كهذا لا يحتاج للنقد والرد اذ من المعروف لدى من له ادنى المامة بالتاريخ مدى تمسك الموحدين والمرابطين بالعربية والاسلام ، حيث وصلوا نسبهم بعرب الجزيرة وكانوا حماة الاسلام وتعاليمه يجلدون من يتناول الخمر او من يحاول مس كرامة الاسلام ، ويتنازل خليفتهم عن لقبه كامير المؤمنين لخليفة بغداد حفاظا على الجامعة الاسلامية المقدسة ، ويطول بنا الحديث لو اخذنا نعدد الشواهد الدالة على عروبتهم واسلامهم فليراجع كتاب مفاخر البربر الحافل بذكر اعلامهم فى العروبة والاسلام ، واستمرت الامبراطورية الاسلامية المغربية طيلة عصر المرينيين والوطاسيين من بعدهم ، وهم برابرة اقحاح يعتزون بالعروبة ويناصرونها ويتسابقون الى قرض الشعر والتآليف بلغة الضاد ، فمن منع هؤلاء وقد استتب لهم الامر وضعفت سيطرة الخلافة بل انعدمت ان ينادوا بلغتهم البربرية كلغة رسمية كما فعل الفارسيون ببلاد الفرس ؟ والواقع ان البرابرة لم يعتقدوا قط انهم عنصر غير عربي ولم يعتقدوا ان العرب دخلاء بل كانوا مؤمنين ان فتح العرب لبلادهم لم يكن استعمارا ، ولم يكن غزوا وانما كان تبشيرا وفتحا، ولذلك تآخوا مع العرب وتقاسموا الحكم وقادوا البلاد معززين اللغة مقيمين شعائر الاسلام ، وقد تفتقت العبقرية البربرية طيلة عصر بني وطاس عن عباقرة البربر فى اللغة العربية والثقافة الاسلامية حيث كان منهم الشاعر الملزوزي من قبيلة ملزوزة البربرية ، والشاعر الكبير مالك بن المرحل المصمودي والاديب الكبير ابو شعيب الجزنائي والنحوي الكبير ابن آجروم الصنهاجي ، والرحالة ابن بطوطة اللواتي وغيرهم من فطاحل الادب وفرسان الشعر ويطول الموضوع لو اخذنا نعدد اسماء هؤلاء الاعلام .

واعقبت عصر السعديين انتفاضات تلافاها المولى اسماعيل بكثير من الحزم حيث انشا نظام (اللف) كما فى رحلة الزهوني واخذ يخلل القبائل البربرية ليتم الاتحاد والاندماج وقد وفق الى ما اراد واتم الله نعمته غير ان السلام لم يطل فقد هاجم الاستعمار بلادنا المسالمة الآمنة وكانت سياسة احياء العنصرية البربرية اساسا للاستعمار الفرنسي الذي رمى بذلك الى تكوين خلاف جوهري سلالي بين السكان المتجانسين ثم فصل المغاربة أجمعين عن الحركات الاسلامية فى الشرق العربي، ولكن رد الفعل كان اعنف من الفعل اذ ثار العرب فى المغرب وغيره ، وثار البربر المغاربة ضد هذه السياسة وكانت هذه الثورة النفسانية عميقة شملت سائر الطبقات البربرية. وعمل الظهير البربري على تقوية نظام (أزرق) ومقاومة الشريعة الاسلامية ، فكان كثير من البربر يتجشمون المشاق ليتصلوا برجال الاسلام يلتمسون الفتيا فيما عن لهم من شؤون الدنيا والدين وشعارهم قول الشاعر القديم :

عبيدة بن قيس العقيلي المتمسك بالوحـــدة العربية .

الا ايهـا الساعـي لفرقة بيننـا
توقف هداك الله سبـل الاطايب

فاقسـم انـا والبرابـر اخـوة
نمانا وهـم جد كبيـر المناصـب

فنحن وهم ركن منيـع واخـوة
على رغـم اعـداء لئام المناقـب

كما كلف بعض المستشرقين انفسهم مشقة اختراع حروف لاتينية لتؤدي الصوت البربري الذي لم تسعفهم به الحروف اللاتينية الغربية ، والفوا كتبا وقصصا بربرية ، وتطوعوا ليعلموا البرابرة لغتهـم . ولكن هذه الحركة باءت بالخسران ، فان البربر ازدادوا ايمانا بعروبتهم ووحدتهم . وحملوا السلاح فى الجبال والادغال والغابات ، وعرضوا صدورهم لرشاشـات المستعمرين يستعذبون الشهادة فى سبيل الله، ويؤثرون الموت مسلمين على الحياة تحت سياط الاستعمار .. وكان ان حقق الله الاماني الغالية بتحرير المغرب واعلن وزير العدل فى حفل رسمي نهاية الظهير البربري وبذلك عاد السلام الى بلادنا الوديعة بلاد العرب والبربر ... وستظل هذه الامة بلاد هاتين الكلمتين المتجانستين لفظا ومعنى . وستظل ارض افريقيا وفية للعروبة محبـة للعرب متملية بقول الشاعر :

قالوا لقد بخلوا عليـك اجبتهـم
يقضي الجوار علـى والارحـام

قالوا لقد بخلوا عليـك اجبتهـم
اهلي وان بخلـوا علي كـرام

الاريحية والشهـامة والنـدى
فى الارض حيث مضارب وخيام

تعقيب على تعليق

حضرة الاستاذ البحاثة الاديب محمد بن تاويت

لقد استلفت نظري فى نقدكم لمقالي قولكم : « والتلخيص الذي قدمه ناقل الموضوع عبـد السـلام الهـراس تلخيص ممتع من غير شك ، وكثيرا ما اطرفنا بهـذه الموضوعات الجدية هذا الناقل ، ناشئا وناقلا ... »

والمقال ليس تلخيصا ولكنـه تحليـل لفلسفـة مالك ، وكنت اود لو تطلعون على كتاب « مستقبـل الاسلام » لرايتم ان هذا «الناقل» قد حلل الكتاب او على حد تعبيركم كان « ناشئا وناقلا » ولا شك انكـم قرأتم فى اول المقال باني اشرت الى طريقتي فى الكتابة حول هذا الكتـاب .

فلم التزم الكتاب بل كتبت افكار مالك سـواء تلك التي كتبها او التي اخذناها عنه مشافهة ؛ وقـد زدت بعض الافكار والملاحظات التي اقتضاها الموضوع.

والملاحظة الثانية هي حول تعليقكم على العبارة الخاصة « بالادب » واني لست ممـن يهاجـم الادب الذي تعنون وانما هاجمت الادب الذي وضعته بيـن قوسين ذلك الادب الذي يتلاعب بالالفاظ ويبدو على السنة المتشدقين واقلام الخائرين المفلولين ، والحـق ان هذا اللون من « الادب » قد طغى كثيرا على الادب الحق الذي انزوى اصحابه الفطاحل وبقي الميـدان خاليا للمتطفلين ، ورحم الله ابا علي البصير اذ يقول :

لعمـر ابيك ما نسب المعلـى
الى كـرم وفى الـدنيـا كريـم
ولكـن البـلاد اذا قشعـرت
وصـوح نبتهـا رعـي الهشيـم

وعلى كل حال فاني اشكركم على تعليقكم الرائع على الانتـاج كلـه فقـد استفدنـا منه وادامكم الله من رجالنا الادبـاء الافـذاذ .

عبد السلام الهراس

الاستعمار الفكري وخطره على الشعوب

للأستاذ: محمد بن أحمد الأمراني

ان كل امة من الامم ترتكز وجودها وبقاؤها على دعائم متينة تقف في وجه الاعاصير فلا تميلها وتجابه الاحداث الجسام فلا تزعزعها ، تستمد منها عناصر بقائها ومكونات وجودها واستمرار بقائها وحياتها ان هي حافظت على روحها وجوهرها .

وهذه الاسس هي : الدين واللغة والتاريخ والحضارة والشخصية المميزة ، ونحن امة تتوفر فينا كل هذه المقومات وتلك المميزات ، فديننا اسمى الاديان جاءنا بتعاليم وانظمة مثالية بزت كل الآراء الافلاطونية والنظرات السقراطية ، كما فاقت كل النظم والشرائع الارضية والمبادىء والدساتير الوضعية .

واذا كان الدين الاسلامي من مقومات وجود امتنا الفتية ومن مميزات وطننا الذاتية **فان لغة الضاد هي ايضا احدى اسسه الفكرية والروحية ورابطته التاريخية والادبية فهي مصدر تراثنا الفكري الخالد ومنبع الهامنا ومجدنا التالد ، بها سجل تاريخنا القومي والعلمي ، ذلك التاريخ الحافل بالبطولة والمجد المليء بالعظمة والانتصار** ، ذلك التاريخ الذي أملى ارادته الجبارة على الحياة فاستجابت ، وسير دفتها بمهارة فانقادت ، ونشر لواءه الخفاق في المغربين ولمع نجمه الوضاء في الخافقين ، حتى صار اغنية في فم الدهر وانشودة في مسمع الكون تتحدث بخلوده الركبان على مر العصور والازمان .

ان معرفة تاريخنا هو الذي يغذي في ابنائنا شعورهم بكيانهم ، ويقوي تمسكهم بقوميتهم ، ويجعلهم يذودون عن حوزة امتهم ، ويحافظون على تماسك الحلقات التي تربط ماضيها بحاضرها ، كما تحفزهم على تقوية اواصرها ، والتحام روابطها لصالح مستقبلها وتقدمها والاحتفاظ بمقوماتها . فالشعوب تموت اذا فقدت ذاكرتها ، وما ذاكرتها الا تاريخها القومي الحافل بالمكرمات المليء بالمناقب وأرقى الحضارات ، تلك الحضارة التي هي جزء من كياننا وبعض تراثنا العقلي ، لايمكننا التخلي عنه او الانتقاص من قيمته ، لانه يمثل ماضينا كأمة وعظمتنا كشعب .

وآثار هذه الحضارة لاتزال ماثلة للعيان تشهد بعبقريتنا ، وتنطق بمجدنا ، وتدل على ما كان لآبائنا من عقول مبتكرة وروح تقدمية وذوق رائع في الفن والجمال والرقي والابداع .

واذا كانت هذه الحضارة من مقوماتنا الوطنية والتي تمثل بعض مظاهر شخصيتنا باجلى مظهرها وانصع صورها وابرز خطوطها ، فان هذه الشخصية مما يجب المحافظة عليه لانها تطبعنا بطابع خاص وتسمنا بميسم يميزنا عن الامم والشعوب ، وكل امة من الامم تحتفظ بشخصيتها الذاتية ولا تقبل ان تذوب في شخصية امة اخرى كيفما كانت هذه الامة ، بل تعتز بها وترفع راسها عاليا حين تنتسب اليها .

ولقد توج هذه المقومات ووقاها وابرز هذه الخصائص ونماها وحافظ عليها وصقلها واحاطها بهالة من القوة والمنعة — هذا العرش العلوي المجيد الذي حكم المغرب طيلة قرون واجيال قام ملوكه — ولا زالوا — بأجل الخدمات حتى احتل المغرب مركزا ممتازا بين الامم وصار له صيت ذائع بين الدول .

تلكم — فيما اعتقد — هي المقومات التي ترتكز عليها دعائم وجودنا كأمة وهذه هي العوامل التي خلقت منا دولة مغربية وجزءا من امة عربية اسلامية قوية البنيان متينة الاركان .

واذا كانت هذه هي مقوماتنا الوطنية فلنعمل على تقويتها وابرازها ولنحذر من اضمحلالها أو ضعفها ؛ فان كل امة اضمحلت مقوماتها الذاتية أو ضعفت روابطها الوطنية الا وتنهار قوتها المعنوية وينفد رصيدها المدخر ويدب لها الانحلال والتواكل والخذلان وتفقد حلقة الاتصال المتحمة بين ماضيها وحاضرها وبالتالي تفقد ذاكرتها وتتعرض لاخس انواع الحكم فى تاريخ البشرية : الاستعمار البغيض .

ولذا فان الاستعمار الفرنسي حينما حاول أن يغزونا بشروره اتجه بمعوله توا الى هذه المقومات الاساسية والمقدسات الوطنية لتحطيم صروحها الهائلة ومعاقلها المنيعة حتى يتسنى له ان يستعمر بلادنا سياسيا واقتصاديا وعسكريا وثقافيا وفكريا .

وانما توجه اليها بالذات لانه يدرك ان هذه المقومات لها قوة ذاتية عميقة الجذور فى صميم هذا الشعب الابي وانها تقف عقبة كأداء فى طريق فرض سيطرته على بلادنا ، فاعلنها حربا شعواء لاهوادة فيها ولا التواء على كل مقومات وجودنا من دين صحيح ولغة قومية وحضارة وطنية وتاريخ مجيد وعرش عتيد وشخصية مميزة حتى يسهل عليه فرنسة المغاربة بعد ان يكون قد قطع كل الصلات الروحية والروابط الاخوية والوشائج الدينية والاواصر اللغوية بينه وبين ماضيه وبينه وبين اشقائه العرب والمسلمين ، ومن ثم لايعود يفكر فى وجوده او يستمد قوة شخصيته من تاريخه أو يستوحي العزم والايمان من تراثه القويم او يجدد بناء هيكله على ضوء تعاليم دينه الكريم ، او يربط علاقاته الجنسية والدموية مع اخوانه فى العروبة والاسلام ، كل ذلك ضمن خطة مبيتة ومؤامرة مدبرة نسج خيوطها وحبك دسائسها اخصائيون فى فن الاستعمار استغلوا ثقافتهم الواسعة واتجروا باقلامهم الرخيصة وسخروها لخدمة الشر وباعوا امانة العلم وحقائق التاريخ وشرف المهنة وكرامة الضمير واستهتروا بحقوق الانسان فى سبيل استغلال الانسان لاخيه الانسان .

ترى هل نجح الاستعمار فى خطته التي سلكها للقضاء على مقومات وطننا ؟ كلا ؛ لان هذه المقومات منحدرة من اعماق تاريخنا ونابعة من صميم مقدساتنا وسارية فى دماء افراد شعبنا ومتغلغلة فى شعوره وراسبة فى شعوره ، ولان لها من القوة والحصانة ما يجعلها فى حرز امين .

واكبر دليل على ان الاستعمار لم يوفق فى خطته كل التوفيق ان الذين غزاهم بثقافته كانوا من الاعداء الالداء له اصلوه نارا حامية بلغته وخططه ونظمه وكانت لهم مواقف وطنية مشرفة سجلها لهم التاريخ باحرف من نور ، ولكن احرازنا على هذا الانتصار يجب الا يخدع انفسنا ونعتقد ان الاستعمار لم يترك اى اثر من آثاره الفكرية المسمومة ، **فهناك طائفة تاثرت بدعاياته وافكاره واعجبت بها كل الاعجاب مع أن هذه الافكار ليست متلائمة مع طبيعة شعبنا ولا مع عقائدنا وروحانيتنا كشعب له مميزاته وخصائصه ومقوماته وشخصيته .**

واذا كان الاستعمار السياسي او الاقتصادي او العسكري يشكل خطرا كبيرا على الامة التي ترزح تحت نيره وتكتوي بناره فان الاستعمار الفكري ابعد اثرا واشد خطرا من ضروب الاستعمار الاخرى لانه يتصل بالعقل وبالقلب وبالعاطفة وبالشعور وبالاتجاه فى التفكير .

ولقد تجلى اثر الاستعمار الفكري فى كثير من الميادين الحيوية وضد عدد من مقوماتنا الوطنية فمن ذلك القول **« بان تشبثنا بالقرآن هو سبب تاخرنا »** فماذا يراد من نشر هذه الفكرة الغريبة عن ديننا ؟ يراد بها استعمار الافكار والتشكيك فى قيمة تراثنا الروحي الذي تقوم عليه اسس كياننا ووجودنا ، حتى اذا تزعزع ايماننا بصلاحية القرآن ولم تعد نفحاته الروحانية تستولي على مشاعرنا وانظمته تجد من قلوبنا وعقولنا آذانا صاغية غزينا بفكرة اخرى من نوع جديد اخطر من سابقتها وهيهات هيهات . اليس هذا اثرا من آثار الاستعمار العقلي ؟

وفى مجال الحكم اصبحنا نسمع فكرة فصل الدين عن الدولة بمعنى « ان نبعد هذا الدين من حياتنا العملية ليبقى فى عزلة لايحكم الحياة ولا يصرف شؤونها ولا يعالج مشكلاتها . فالدين — كما يقال — صلة مابين العبد وربه . اما صلات الناس وعلاقات المجتمع ومشاكل الحياة وسياسة المال ... فلا دخل للدين فيها ولا دخل لها بالدين » .

من اين جاءتنا هذه النظريات الغريبة على طبيعة الاسلام وعلى تاريخ الاسلام ؟ جاءتنا من اوربا نتيجة للاستعمار الفكري الذي غزا بعض العقول ؛ اذن ان قصة الفصل بين الدين والدنيا لم تنبت فى

الاسلام ولم يعرفها الاسلام ولم تكن يوما وليدة هذا الدين ولم تعرفها طبيعته ولكننا تلقفناها تلقفا كالببغاء وحاكيناها محاكاة كالقردة ولم نحاول ان نفتش عن أصلها ونشأتها ولا ان نعرف مصدرها وموردها .

اما في ميدان الثقافة فطالما رددت الالسنة : ان اللغة العربية عاجزة عن مسايرة العصر مع انها كانت لغة العلم يوم كانت اللاتينية معدومة .

وفي ميدان السياسة كثيرا ما سمعنا ان المغرب بحكم وضعه الجغرافي يجب ان يتجه الى الغرب وانه لا فائدة في اتحادنا مع اشقائنا العرب والمسلمين .

هذه بعض مظاهر الاستعمار الفكري ولا شك انها خطيرة على مستقبل وطننا يجب ان نحذر منها ومن آثارها ، لانه لا استقلال لامة الا اذا تحرر ابناؤها من بقايا الاستعمار كيفما كان لونه والا اذا طهروا عقولهم وافكارهم من تلك الرواسب العميقة التي بث الاستعمار سمومها من طريق مباشر أو غير مباشر واصبحنا – مع كل الاسف – نرى آثارها متجلية الى اليوم .

ان استعمار العقول معناه خروج المحتل من البلاد وبقاء جيشه المختفي بين ظهرانينا ينخر هيكلها من حيث لا نشعر ، ويسبب لحكوماتها المشاكل ويخلق لها العراقيل لاختلاف وجهات النظر بين ابناء الامة الواحدة وقادة الشعب وانصارهم ، ولذا يجب توحيد الصفوف ،توحيد الافكار ، توحيد الاتجاهات بين ابناء الامة داخل المصلحة العليا للوطن ، فليس هناك من تثقف ثقافة قومية وآخر درس لغة اجنبية ، هذه تفرقة خلقها الاستعمار لتشتيت قوى الشعب ، وانما هناك شباب مغربي تجمعه رابطة الاخوة الدينية وآصرة المصلحة الوطنية ووشائج المبدأ ، وعلاقات الاهداف المشتركة . ويجب ان نخلق بين جميع عناصر الشباب تجاوبا فكريا وروحيا وثقافيا ونكون من الجميع طاقات هائلة تنطلق الى البناء والنهوض والاصلاح .

ان الاستعمار الفكري هو أخطر أنواع الاستعمار على الامم والشعوب كما قلت آنفا ويتجلى مظهر هذا الخطر في احتقار الانسان تراث بلاده القومي ورصيده الروحي والمعنوي وتشبثه بالانتاج الاجنبي واستيراد المبادىء والنظريات وبالتالي فقدان الاواصر الروحية بينه وبين ماضيه وانعدام كل الروابط التي تجمعه مع اخوانه في الدين واللغة والتاريخ والالام والامال ويصبح عضوا منفصلا عن اعضاء أسرة الوطن الكبرى التي ينتسب اليها .

ونجاح هذه الافكار التي عمل الاستعمار على نشرها بشتى الوسائل – تفقدنا مع توالي الايام شخصيتنا كأمة لها مميزاتها الذاتية وخصائصها التاريخية ومقوماتها الاخلاقية العريقة عراقة هذه الارض الطاهرة وازلية هذا الاطلس الجبار ، وانى للاستعمار ومن تأثر بمظاهره المتقلبة وانخدع ببرقه الخلب ان يصل الى ذلك ، فمقوماتنا الذاتية ضاربة اطنابها في جذور التاريخ ومستمدة عوامل بقائها من تقاليد سليمة وعناصر صميمة صمدت لصروف الدهر واحداث التاريخ فخرجت منها منتصرة مشمخرة الذرى قوية الجانب مهيبة الشوكة .

الحروف المنقوشة في القرويين في خدمة الآثار

للأستاذ عبد الهادي التازي

نص محاضرة قيمة من ضمن المحاضرات التي ألقيت بالمؤتمر الثالث للآثار بالبلاد العربية المنعقد بمدينة فاس فيما بين 8 – 18 نونبر 1959 :

- I -

عندما يتحدث المرء عن الحرف المنقوش بجامعة القرويين فانما يحاول ان يتحدث عن تاريخها المعماري عبر التاريخ ، ذلك لانه لم تخل مرحلة من المراحل التي عاشتها دون ان تترك من ورائها اثرا شاخصا يذكرك بهاتيك العصور ... والحقيقة ان القرويين منذ كانت وهي « قديسة مدللة » سواء من لدن رجال « السلطة المركزية » او من لدن « الطبقات الشعبية » فكلهم كان يتسابق الى اظهار آيات الاكبار والاجلال لها باعتبارها « المنار » الذي اشع على المغرب نور العلم والايمان ، وباعتبارها المعقل الذي كانت تعتمد عليه البلاد في اعداد رجالها وقادتها ... والكلام على « الحروف المنحوتة » بالقرويين له له جوانب كثيرة فهناك جانب الفن ... وهناك جانب النوع والشكل ، وهناك ايضا جانب « القيمة الاثرية » ونحن في هذا البحث سنحاول ان ناخذ نظرة عن هذه الجوانب سيما وقد ظلت النقوش بالقرويين حديثا يروى ولكن من غير ان يستوعب ، بل ومن غير ان يتناوله الاثاريون بالتنقيب والتمحيص ..

اول خط منحوت

ويرجع تاريخ أول خط منحوت عرف بالقرويين لاواسط القرن الثالث الهجري ويتعلق الامر بلوحة اثرية ووثيقة تاريخية في الوقت نفسه عثر عليها في القبة الرابعة من جهة « العنزة » ، اي في منتهى « البلاطات الاربعة » القديمة (1) ... لقد اكتشفت مدفونة في الجبس تحت كثافة سبعة سانتيمات ... مكتوبة بالخط الكوفي العتيق وهي – ولو أن طائفة من حروفها منهوك ومتعب بيد انها مقروءة في الجملة ولم يفت منها الا القدر اليسير – لوحة من طول اربعة ميترات واربعة وسبعين سانتيما ولكنها ليست عريضة اذ ان سمتها لا تتجاوز تسعة سانتمات ونصف لقد عرفنا من كتب التاريخ أن فاطمة الفهرية التي تطوعت ببناء القرويين حفرت اساسها في فاتح رمضان 245 وانها لم تزل صائمة الى ان انتهت اعمال البناء ولم يستطع احد من المؤرخين ان يتكهن بالفترة التي انتهت فيها تلك الاعمال ... وتحدثت كذلك عن ان العمل كان يباشر بمطالعة العاهل الادريسي يحيى الاول ولكن احدا لم يردد صدى عاهل آخر من بعده كان له النصيب الاكبر في هذا المشروع ... بل ان جميع المصادر التاريخية التي تحت ايدينا لم تتعرض لهذا العاهل الثاني الا في سطر واحد لا يتجاوز عشرة سانتيمات (2) . هنا ندرك القيمة الاثرية والتاريخية كذلك التي تنعم بها هذه « اللوحة » فهي اولا تحمل انتهاء العمل في المسجد أعني **«شهر ذي القعدة من سنة ثلاثة وستين ومائتين»** فتكون اعمال البناء استغرقت ثمان عشرة سنة ... واللوحة تحمل ثانيا سرا آخر يفوق الاول في الخطورة ذلك انها تنصف عاهلا ادريسيا مرت عليه الكتب مرور الكرام

1 – القرطاس الجزء الاول طبعة فاس صفحة 77 .
2 – القرطاس ص 71 – ابن خلدون الجزء 16 طبعة دار الكتاب اللبناني ص 27 – الاستقصا الاول 179 .

بالرغم من انه ظل المسيطر الحقيقي طيلة الفترة « الغامضة » التي عاشتها فاس بعد توزع الامر بين بني ادريس هذا العاهل هو داود بن ادريس الذي كان عاملا على اقليم تازة من قبل اخيه محمد ... لقد نحت في هذه اللوحة اسمه على النحو التالي : « **مما أمر به الامام اعزه الله داود بن ادريس ابقاه اللهونصره نصرا عزيزا ...** » واذا كنت قد الححت على ابراز هذا الاثر النفيس فلانه من جهة اول اثر عربي استطاع ان يصمد احد عشر قرنا في هذه البلاد ، ولانه من جهة اخرى ينطوي على « فتح » جديد في التاريخ المغربي اذ انه فيما اعتقد سيضطر الذين يعنون بالتاريخ الى مراجعة القرطاس وابن خلدون والاستقصا فيما نقلوه تباعا عن ايام الادارسة ... سيضطرهم هذا الاثر الذي لا يصل الى نصف ميتر مربع الى تحبير عشرات الامتار ... ان عليهم ان يتساءلوا عن الملك داود ؟ وعن العاهل الذي بنيت على عهده القرويين هل هو حقيقة « يحيى او انما هو عمه داود بن ادريس ... ام انها ابتدات على عهد الاول وانتهت على عهد الثاني ؟

اقدم خط عربي يوجد في المغرب الاقصى

وإذا نحن جاوزنا هذه الحقبة من التاريخ فسنجد انفسنا امام ثروة هامة وهامة جدا ... ثروة تحدثت عنها الكتب ولكنها ظلت دفينة طوال قرون حتى هذه الايام ... لقد قام المرابطون في اوائل القرن السادس الهجري باصلاحات هامة في القرويين — ولو ان ايامهم بالمغرب لم تكن طويلة — ولقد اختفوا من الميدان ومن سوء الحظ ان ظهور الولاة الجدد كان — بدافع الغيرة — عاملا على كتم انفاس الفن المرابطي الجميل مما دعا طائفة من رجال الآثار الى الحكم على المرابطين بحسور الذوق وضحالة الانتاج ؛ وبالرغم من ان كتب التاريخ قد عرضت في شيء من الايجاز لما قامت به ايدي المرابطين من ابداع في البلاط العمودي الذي يمتد من المحراب الى « العنزة » ، وبالرغم من انها رددت صدى « النقش والتخريم واصناف الصبغة » على حد تعبير القرطاس (3) ؛ فان سوء الظن بالفن المرابطي ظل حليفا لطائفة من رجال الآثار لدرجة ان بعضهم نسب بعض آثارهم للموحدين ، وراح يقارن بين آثار هؤلاء في فاس وآثارهم في مدينة مراكش مثلا (4) ... نعم تقرر منذ عشر سنوات — بالحاح من مدير جامعة القرويين اذ ذاك — القيام باصلاح عميق في تلك الجهات من المسجد ، وهنا برزت للعيان تلك النقوش ، وتلك التخريمات ، وظهرت أصناف الصبغة الحمراء والصفراء والبنفسجية ... ولا يهمني — وانا اتحدث عن المنقوشات — الا هذه الحروف المنحوتة التي كشفت عن كثير من الاسرار التي استمرت مكتوبة طيلة ثمانية قرون ... لقد عرفنا في كل الكتب التي تحدثت عن تاريخ فاس ان اعمال البناء التي قام بها المرابطون — بما في ذلك جامع الجنائز — تمت(5) سنة 538 لكنا وقفنا من تحت هذه الطبقات من الجبس على وثيقتين اثريتين ... ثم وقفنا على وثيقة اخرى نحتت على باب جامع الجنائز ... وكل هذه الوثائق تؤكد أن اعمال البناء انتهت سنة 531 أي سبع سنوات قبل التاريخ الذي تواطات عليه المؤلفات ... وهكذا ففوق الشماسية الوسطى الموجودة على المحراب عثر على « لوحة كتبت بالخط النسخي » تحمل اسم الفنان الذي باشر عمله هنا (عبد الله بن محمد) كما تضبط وقت انهاء العمل : شهر رمضان المعظم سنة احدى وثلاثين وخمسمائة (1137) . والى جانب هذا تقرا في الجهة الشرقية من القبة المستطيلة التي تلي قبة المحراب بخط كوفي عتيق وجميل ايضا : اسم العاهل المرابطي الذي أذن بالقيام بهذه الاصلاحات واعني به السلطان علي بن يوسف بن تاشفين ... وفي الجهة الغربية من القبة المذكورة نقرا نفس التاريخ الذي تحمل الوثيقة الاولى فاذا ما انتقلنا الى باب جامع الجنائز سنقرا هذه الجملة منحوتة على الصفر بيمين عروة الباب: «**عمل عبد الواحد عام احدى وثلاثين وخمس مائة**» ولا أحب أن اودع هذا الباب دون ان اعيد الى الاذهان ان هذا الباب هو الذي

3 — القرطاس الجزء الاول ص 87 طبعة المغرب سنة 1936 .

4) Les mosquées de Fès et du Nord par Boris Maslow : L'introduction de M. Terrasse page (XI)

5 — القرطاس الجزء الاول طبعة المغرب ص 88 — 89 .

نقل الى الخارج ليعرض في اول مؤتمر للمهندسين المعماريين بباريز سنة 1957 ، وهو الذي شاهد المعرض الدولي في بروكسيل سنة 1958 فكان الوجه المشرق للاثار الاسلامية بالمغرب وانهالت آيات التقدير والتهاني على اثر لم يكن وليد اليوم ولكن من عمل صانع مغربي من اوائل القرن السادس الهجري ... واعتقد انه سيكون في ابراز هذه الخطوط بتمامها سواء منها الرسومات التي تحتوي التاريخ والمؤسس ... او التي تتضمن بعض الآي والحكم سيكون في ابرازها للعموم اثر قوي على تصحيح الفكرة التي حشيت بها بعض الادمغة حول الفن المرابطي ردحا من الزمان ، ولعل مما ينبغي ان نذكره في هذا الصدد ان ظهور هذه الفنون دعا بالفعل منذ الآن — بعض الذين يعنون بالآثار الى الاشادة بالشخصية التي ينعم بها الفن المرابطي والى تتبع مفاتنها ومفارزها ، والمقارنة بينها وبين الفنون التي استطاع التاريخ ان يحفظها للمرابطين في جهات (6) اخرى بل ان في رجال الآثار الغربيين من راح يعلن ان هذه القبة المستطيلة التي تصافحها اعيننا بالقرويين هي من اقدم القباب القائمة على مقر نصابات (Stalactite) ذات ابعاد واسعة (7) ... ولا نترك العصر المرابطي دون ان نقف برهة امام منبر المرابطين لقد كان من الروعة الفنية والقيمة الاثرية بحيث يكون وحده « عالما » يستحق عناية الآثاريين ، انه افخر اثاث خلفته لنا العصور الوسطى وانه الى جانب هذا اروع مثل يحتذى في الزخرف المبني على الاسس الهندسية .

ان الحديث عن نقوش المنبر يتطلب من المرء ان يتزود بمقاييس فنية دقيقة وصائبة ... وهو علاوة على الزخرف المتناسق الجذاب الذي كسا كل جوانبه ، طرز بآيات شريفة من العاج الثمين تحيط بمدخله ذاهبة من اليمين الى اليسار بخط نسخي اندلسي مقروء ... وعلى طول درجه طرز ببقية من آية اخرى بالعاج ولكن الحروف هذه المرة بالخط الكوفي القديم الذي تتحكم فيه الزخرفة فيستعصي احيانا على مستكشفيه ، انك ستقرأ عن يسار المنبر : « يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا .. » وبذلك على شدة اعتناء المتقدمين بهذه الثروة النادرة المثال انهم خصصوا للمنبر غشائين احدهما من الجلد ، والثاني من الكتان يزاحان عنه كل جمعة (8) ... وبذلك على ثروته ايضا ان النفقة عليه قدرت بما يزيد على ثلاثة آلاف وثمانمائة دينار اي ما يساوي ازيد من اربعة ملايين ، من الفرنكات الحالية (9) ، ولقد كان المنبر يحمل على ذروته تاريخ انتهاء العمل فيه (10) لكن هيام المختلسين بالعاج جعلت هذه الاحرف هدفا للضياع وهكذا فلم يبق منها سوى بعض الحروف المنهوكة كما يلاحظ ذلك من تسلق ادرجه التسعة ...

ولنودع العصر المرابطي لنعيش قليلا مع الموحدين:
توجد ابواب داخل المسجد تنفذ من قاعة الصلاة الى جامع الجنائز ، تعرف هذه الابواب تحت اسم « ابواب الرواح » ... فيها الباب الاعلى الذي يجاور المحراب والاوسط ثم الاسفل ، وكل هذه الابواب من خشب لكنها استحالت الى لوحات فنية قليلة النظير فهي سلسلة من زهور ورسوم منقوشة ، ويمتاز الاعلى من هذه الثلاثة بان مصاريعه تحتوي عدة آيات وهكذا ستقرأ هناك محيطا بها : **ان في خلق السموات والارض** الايات وستقرا تحت هذا : **« واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله »** (الآيات) كما تقرا **« يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا »** (الآيات) ، وستقف الى جانب هذا وسط الباب على بيتين على هذا الوزن :

يا واقفا لدي ان   ابصرت مني ما ترى
جد بالدعا لصانعي   بجاه سيد الورى

ترى انهم لم يجدوا عنتا ما في التخريم والتطريز ... ولقد كانت هذه « الدفف الحمراء » تحمل اسم

6) ARS orientalis volume II 1957 : La mos quée d'Alquarawâyîn à Fès et l'art des Alinaravides par Henri Terrasse. Page 135.

7) ARS orientalis volume II 1957 : La mos quée d'Alquarawâyîne à Fès et l'art des Alinaravides par Henri Terrasse page 143.

8) Le Maroc dans les premières années du XVI[e] siècle page 101 - 103.

9 — القرطاس الجزء الاول طبعة المغرب ص 88 .

10 — زهرة الآس طبعة ... ص 42

مالكها ابن المجوم . واسم الصانع وتاريخ الصنع اعني سنة 578 لكن الذين كانوا يقومون بين الفينة والاخرى بامر الاصلاح في القرويين كانوا لا يكترثون بمثل هذه الوثائق وان من البرور ما يعتبر عقوقا كما يقولون (11) !

ولننتقل من نقوش ابواب الرواح الى صحن المسجد لنقف على « خصة العين » التي نعتها الشعراء الاقدمون «بالخصة الحسناء» (12) والتي تمتاز في ابرز ما تمتاز به بشباك من رخام ابيض يحتوي على مائة واربعة



فاس ـ جامعة القرويين ـ الجانب الغربي من القبة الشرقية حيث « الخصة الحسناء » ...

وعشرين خاتما (13) .. يوجد تحت هذه النافذة البديعة تاريخ الصنع وقد نحت بخطوط نسخية على حجر احمر هكذا بعد التسمية والتصلية : « **وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار** » (الاية) ثم بعد هذا « كمل في شهر جمادى الاخيرة سنة تسعة وتسعين وخمسمائة »

وهذه الحروف المنحوتة علاوة على احتفاظها بروعتها الاثرية فانها تؤرخ دخول الماء الى صحن القرويين بعد أن كان يقتصر على باب الحفاة ..

ولننتقل من « الخصة الحسناء » الى « الثريا الكبرى » هذه الثريا الاثرية التي لا يمكن ان تقارن مطلقا في الشرق والغرب الا بالثريا التي توجد بالمسجد الاعظم بمدينة تازة سواء من حيث ابعادها وثروتها الفنية او زخرفتها البديعة (14) ... لقد احتوى جانب من الساق الذي يحملها على هذه « الوثيقة » التي تتضمن اسم العاهل الموحدي ابا عبد الله الناصر الذي امر بصنع هذه التحفة العديمة المثال في العالم الاسلامي : كما يتضمن جانب من الساق ايضا هذه العبارة : « صنعت هذه الثريا بمدينة فاس حرسها الله وكان الفراغ منها في شهر جمادى الاولى سنة ستمائة » هذا الى ما نقش على افريزها الاول والثاني والثالث من آيات بخطوط نسخية تختفي أحيانا بين الزهور المنحوتة ... وبخطوط كوفية تتحول اطرافها هي الاخرى الى باقات منسجمة (15)..

« البقية في العدد القادم »

---

11 ـ القرطاس الجزء الاول طبعة المغرب ص 96 ـ 97 .
12 ـ القرطاس صفحة 43 ـ 44
13 ـ القرطاس ص 21
14) La grande mosquée de Taza par Terrasse page 56 - 57 - 58.
15 ـ « القرويين في احد عشر قرنا » للمؤلف ...

الفن الحقيقي

ان الفن الحقيقي هو الذي ينبع من روح الوطن ، وانما روح الوطن هي شعبه ، ففي اعماق الشعب تكمن عبقرية الوطن وقوته الفعالة .

« شوبان »

حاجتنا الى تصميم قار لبعث اللغة القومية

للاستاذ عبد اللطيف الخطيب

يحكى عن « كارلوس الخامس » الذي ملك اسبانيا في السنة السادسة عشرة من القرن السادس عشر واصبح امبراطورا على المانيا بعد ثلاث سنوات قبل ان تخضع لسلطانه معظم اقطار الارض حتى لم تعد الشمس تغيب عن علمه المنشور عليها انه قال « جعلت اللغة الالمانية للاستجاشة والاستنفار وجعلت الايطالية للموسيقى وانشاد الشعر والغناء بينما جعلت الفرنسية لمغازلة النساء . ومع ذلك فاللغة الاسبانية هي احب اللغات الى نفسه وآثرها لدى قلبه لانها اللغة التي حدثته والدته بها قبل ان يكلم الناس ويمشي في الاسواق » . وقد قصدت الاتيان بهذه الحكاية في بداية هذا المقال للتدليل على مدى الرابطة الروحية التي تقوم بين الفرد وبين اللغة الموروثة عن والديه وكيف ان الاخلاص لتلك اللغة ضرب من ضروب البرور بهما والتعلق بالماضي المتمثل فيهما . ولامر ما ضرب المثل عند الغربيين بلغة الام عندما يريدون التحدث عن طلاقة فرد من الافراد في النطق بلغة من اللغات والتمكن منها . واذا كان الفرد يجتهد في تزكية ما يرث عن والديه من متاع فهو احرى ببذل الجهد لتنمية ما يرث عنهما من هذه القيم الروحية والاخلاقية التي هي خير وابقى .

والعربية هي بعد كتابها المنزل في طليعة تلك القيم التي اقترن بها ذكر المغرب في التاريخ بما كان له من الاسهام المعلى في التبشير بالهدى وتزكية التراث العربي وتعميم فضله على الناس . **لهذا كان الاخلاص لهذه اللغة فرضا من الفروض القومية المقدسة لانها الرابطة بيننا وبين صفحاتنا البيض في اسفار التاريخ والحضارة والصلة الوحيدة بيننا وبين سواد الامة والضمانة دون حدوث القطيعة بين النخبة المسيرة والجمهور المنقاد بالاقناع** . هذه هي الحقيقة التي لا يستطيع احد ان يجادل فيها الا اذا كان في قلبه مرض أو في نفسه حرص على منفعة تمليها الاثرة . **ولن يكون حال النخبة المتنكرة لثقافتها ولغتها باحسن من حال النخبة الدخيلة في جنوب القارة الافريقية** حيث ارادت تكوين امة على اسس لا تستجيب لحقائق المنطق والواقع والتاريخ فكان ما تشاهده من هذه القطيعة التي لم يكن الميز العنصري المقيت الا مظهرا من مظاهرها المؤلمة .

واذا كان المغرب لا يكون وحدة سلالية ولا وحدة دينية – اذا كان اليهود صادقين في احساسهم بمغربيتهم – فان الوحدة اللغوية هي وحدها الكفيلة بتحقيق الوحدة القومية الصحيحة . ولسنا بحمد الله في حاجة الى اقامة الادلة والبراهين على ان العربية هي اللغة الوحيدة القادرة على انجاز تلك الوحدة المامولة . ولما كان من الواجب على الحكومة ان تاخذ نفسها بأداء هذه الامانة على الوجه المطلوب الاكمل **فمن الواجب عليها ان تضع لتحقيق هذه الغاية تصميما على غرار ما تفعل في عالم الاقتصاد والسياسة والاجتماع ليقف كل منا على حقائق الامور ويدرك المراحل التي لا تزال امامه والآجال المخولة حتى يطمئن قلبه على مصير لغته القومية** التي بلغ لبعض القاصرين رميها بالعجز طمعا في تبرير تقاعدهم عن الاسهام في تلقيحها وفتح الآفاق الجديدة في عالم الادب والفن والعلم امامها واملا في ايجاد الذرائع والتعليلات لارتباط وجودهم بوجود لغة دخيلة نحن اسبق الناس الى الترحيب بثقافتها وثقافات اللغات الحية الاخرى على شرط صهرها في قالب اللغة القومية. ويجب ان يكون هذا الهدف مبدا قارا في سياستنا لا يتغير بتعاقب الحكومات ولا يختلف باختلاف نزعات المسؤولين ولا يتأثر باي اعتبار من هذه الاعتبارات التي تطغى على ميادين الحياة العامة الاخرى .

ان الرصيد القومي من الثقافة لن ينميه الا الكفاة من المتثقفين بالعربية وباللغات الاجنبية فيما بعد لانهم وحدهم القادرون على تطعيم ذلك الرصيد بما يجد في هذه اللغات كما كان الشأن ابان نقل تراث اليونان والرومان الى العربية بعد الفتوحات الاسلامية الاولى. **اما الاقتصار على تثقيف النشء بلغة غير لغته القومية فهو في الواقع اقصاء له عن مجموع امته** وان ارتبطت

مصالحه بمصالحها وساهم مساهمة مشكورة بطبه في ابادة الامراض وبهندسته في شق الطرق وبناء المراسي وانشاء السدود والخزانات . ذلك لان هذا النوع من التثقيف والاعداد على ما فيه من فائدة لا يكفل اللقاح المطلوب للفتنا المنبعثة وثقافتنا الناشئة ولن يفي ابدا بنصيبه من الجهد في تحقيق الغاية المبتغاة . من هذا تتبين حاجتنا الشديدة الى تكوين مزدوج لجيل الانتقال حتى يصبح قادرا على النهوض بالمهمة التي نهض بها سلفه فكان عمله المحمود في ترجمة ذلك التراث القيم وتنميته بنتاجه في العلوم والآداب والفنون مشاركة هامة في نشر لواء الحضارة العربية والتيسير لعصر النهضة فعصر التنوير باوربا المسيحية فيما بعد .

واول ما تطالب به دولة تحرص على ان يحترمها الغير هو ان تسارع الى احترام نفسها باقرار حرمة لغتها القومية وجعلها لغة الادارة والمعاملة والعلم والفن والادب جميعا . ولنا في بعض الدول الصغيرة والحديثة العهد بالوجود وعملها لاحياء لغاتها الميتة الى عهد قريب ما يقيم علينا الحجة في ان ما ننتحله من التعليلات ونختلقه من الاسباب امور لا تقوى امام العزيمة القوية والايمان الصادق . وعمل « اسرائيل » في فرض العبرية على اليهود النازحين اليها من مختلف اقطار الارض قبل تمكينهم من مزاولة عمل من الاعمال وسهر رجالها على تطعيم لغتهم وفتح الآفاق امامها حتى اصبحت اليوم في عداد اللغات الحية الراقية ظاهرتان تستحقان كل اكبار سواء رضينا ام لم نرض . وكلنا نعلم ان اليهود هم اكثر الناس تشبعا بثقافات الغير وابرزهم في الاحاطة بها والانتاج فيها . ومع ذلك فلم يصرفهم اعجابهم بتلك الثقافات وتمكنهم من لغاتها عن البرور بلغتهم ليقينهم القوي بان القومية الصحيحة السليمة لا تنشأ وتقوى الا في ظل لغة قومية منتعشة ايضا .

ونتيقن بالنظر الى الاعتبارات السالفة من ان حاجتنا الى وضع تصميم ثقافي لغوي لا تقل باي حال عن حاجتنا الى هذه التصميمات التي نخططها في ميادين العمل الاخرى سعيا في تحقيق النهضة الشاملة المرجوة . فعلى من عرضت عليهم امانة اعداد الاجيال المقبلة فحملوها ان يضعوا تصميما منجما في مراحله لبلوغ المسعى المنشود ويسندوا القلة الموجودة الآن من الاكفاء ويساعدوها على القيام بما يعين على انتعاش العربية بهذه البلاد . فليس في المستطاع ان يستوي في الجسم الواحد عقل يفكر بخلاف ما ترضى عنه النفس ويطمئن اليه القلب . وقد شاءت سنة الكون ان ينقاد السلوك لمشيئة الفكر اكثر مما ينساق لوحي الضمير . وسلوك الجماعة وسلوك الامة كسلوك الفرد لا يكون مستقيما الا اذا كان هناك تجاوب بين العقل المدبر والقلب المطمئن الرضي . فمما ينذر بسوء المصير ان تستأثر بالتوجيه قلة لا يوجد اي تجانس بين تفكيرها وبين احساس جمهور الامة .

ان من العقوق ان لا نهتم بهذا التراث القيم الذي خلفه الآباء والاجداد ولا نتعهده بالاحياء والتنمية . ومن جحود فضل السابقين ان نرتد عن الوجهة التي اقترنت صحائفنا الغر في كتب التاريخ لنتيه في تجربة لن تؤدي بنا ـ ولو كتب لها النجاح ـ الا الى احداث القطيعة القومية بتنشئة طبقة من المسيرين يعيشون عالة على الغير في تفكيرهم وينساقون بسهولة الى التأثر باحساساته والاقتناع بصحة مراميه وفائدة اهدافه . وستكون تلك النشأة وهذا الانسياق ردة نحن مسؤولون عنها اما تاريخنا وامام لغتنا وكتابها المقدس .

ان صيانة القيم الروحية تستعجلنا الى سلوك هذا النهج الذي يستجيب لوحي ضمائرنا واملاء الدم الساري في عروقنا والمحرك لمجامع اضغاننا . وصيانة تلك القيم الخالدة تقضي بوضع تصميم قار لبعث اللغة العربية وانعاشها بهذه الديار التي يحرص شعبها على ان يبقى عربي اللسان الى ان يلقى الله .



اذا نظرنا للمغرب على ضوء العوامل التي يشترط العلم الحديث توفرها فى جماعة من الناس ليصبحوا جديرين بان يوصفوا بانهم امة من الامم ، فاننا نجد هذا القطر موطنا لامة توفرت فيها جميع العوامل التاريخية والجغرافية والاقتصادية .

وقد يبدو للملاحظ الغير المدقق ان الامة المغربية خليط من اناس مختلفة عناصرهم يسكنون عمالات متباينة ومتناقضة مصالحها ، ويتحدثون بلغات مختلفة، ولكنه لا يكاد يمعن النظر فى امر هذه الامة حتى تتجلى له تلك العناصر متكاتفة متراصة ، ممتزجة بعضها فى بعض ، مكونة لوحدة منسجمة متناسقة . ولئن امعن التحقيق والتدقيق لوجد ان هذه الامة قد انبثقت من ارادة وتصميم اهلها على ان يكونوا امة قائمة بذاتها . ومن هذه الوحدة استمدت فى الغابر والحاضر من الازمان قوتها التي تتجسم اليوم فى عاملين قويين : **دياتتها وملكها** ، فمن فلسفة تلك الديانة ومن وجود حياة هذا الملك تغترف الامة اليوم ما هي فى حاجة اليه ، من روح الحماس والتضحية لاستكمال تحررها .

وان من ينظر الى معركة التحرر المغربي ليرى ان النصر ما كان ليحالفها لولا وجود العاملين معا : الدين والملك ، **فالدين هو الذي جمع هذه الامة عن بكرة ابيها والف بين قلوبها فتجسمت فى شخص هذا الملك الذي يقوم اليوم باثقال عبء ثقيل مزدوج ، عبء السهر على رسالة جده (صلى الله عليه وسلم) وعبء الملكية وما تقتضيه من السهر على المصالح الحيوية . وقد قدر الشعب من نفسه وعندياته ضخامة هاتين المهمتين الروحية والزمنية فتوثقت العروة بينه وبين عاهله وجعل منه رمزه وممثله المعبر عن مطامحه وارادته .** وبفضل ذلك انفتح الباب على مصراعيه نحو التحرر التام الكامل .

ولو لم تكن الوحدة المغربية وحدة زوجية قبل كل شيء آخر لتعرضت لانواع شتى من اخطار الضغط الداخلي والخارجي . وهي اخطار رايناها تأخذ صورا واشكالا متعددة ورأيناها تأتي احيانا مباشرة سافرة واخرى ملتوية مقنعة ، ولكنها لا تكاد تظهر وتطفو حتى تنمحي وتغيض . ومرجع ذلك ان هذه الوحدة لا تجمع الناس حول ملكية ابوية حنونة فحسب بل تجمعهم الى جانب هذا حول عقيدة دينية ، حول الايمان بالله ، حول القرآن الذي هو اوثق رابطة بين ابناء الوطن المغربي .

قيل ان وحدة الوطن لا تحتاج الى وحدة الدين دعامة لها ، وانها وحدة قائمة بذاتها ، تبرز بارادة سكان الوطن . وقد يصدق هذا القول حين تؤخذ لبنان مثالا له وشاهدا عليه ، ففي ذلك القطر اكثرية من المسيحيين. وقد يصدق ذلك القول كذلك حين يؤتى له بالامثلة من الاقطار الغربية التي انقسمت فيها الديانة المسيحية الى شقين كبيرين يقومان على هامش الجماهير الضخمة التي لم تعد تعنى ولا تحفل بهما ولا حتى بالملحدين الذين تنكروا للفكرة الدينية من اصلها . اننا لا نعدم فى تلك الاقطار الامثلة على قيام الوحدة من غير ان تكون فى حاجة الى الاعتماد على الدين والعقيدة .

ولكن من حقي ان ارد على اصحاب ذلك القول بان المغرب شيء والاقطار التي يمثلون بها شيء آخر ، ان الاسلام هو الرابطة الوحيدة التي تجمع بين المغربي وبقية مواطنيه ، ان وحدة اللغة شيء ثانوي فى المغرب بالنسبة للعقيدة الاسلامية التي هي فى الواقع اساس المواطنة فى الوطن المغربي . وان هذه العقيدة هي التي توقظ الشعور فى نفوس اهل هذه الامة ، وهي التي تحيي وتحرك ضمائرهم ؛ وهي التي ترتفع بارواحهم الى سمو لا يرقى اليه من لا يتخذ الا اللغة او الجنس سلما.

التي تسمو بالافراد فتضعهم فوق ما يصنعون من انظمة وقواعد الحكم ، وفوق ما يخططون من حدود وفوارق بين عمالات ومقاطعات قطرهم ؟ كلا ان الفكرة الدينية هنا لاكثر تغلغلا فى النفوس وامتزاجا بالارواح من كل ما يصدر عن المخلوقات من افكار. وما دامت الفكرة الدينية فكرة مستمدة من مشيئة وحكمة خالق المخلوقات فلا غرو فى ان تعلو على فلسفة الناس المادية ، بل وعلى ما قد ياتون به من فلسفة يرونها روحية وما هي الا زخرفة وبريق .

ونعود الى ما كنا بصدده ، الى هذا الوطن المغربي الذي جعلته وحدته الروحية الدينية قطرا يتجاوز مجاله الحدود الترابية ، قطرا لا يشبه اقطار الغرب او الشرق ، قطرا جعلته وحدته الدينية جزءا غير منفصل عن العالم الاسلامي فى عمومه وعن العالم العربي بالخصوص اذ من هذا الاخير استقبل ديانته ولغته ومنه تفجرت ينابيع مدنيته التي سايرت الزمن اكثر من الف عام .

واذا ما اشتكى الوطن المغربي الما لتصدعت له جميع اعضاء العالمين العربي والاسلامي كما يشعر هو نفسه بوطاة اي الم ينزل باي طرف من اطراف هذين العالمين بحيث لا يحدق خطرما باي قطر عربي او اسلامي الا ونرى الوطن المغربي يعد نفسه مهددا هو كذلك بذلك الخطر . فهل كان المغرب يشعر – لولا هذه الديانة **الاسلامية** – بالآم اندونيسيا والباكستان ؟ **واذا** كنت اضع خطا تحت كلمة **الاسلامية** حين حديثي عن هذه الديانة التي جمعت 500 مليون نسمة فى كتلة واحدة رغم آلاف الكيلومترات التي تباعد بين جماعاتها فما ذلك الا لالفت النظر الى التوفيق الذي لقيته الديانة الاسلامية فى خلق اخوة عالمية بسطت جناحيها على هذا العدد الضخم من البشر .

فمن الحق ان يقال ان الوطن المغربي يسمو على جميع الاوطان التي لم تقم الا على شعور عاطفي او منطقي .

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان الشخصية المغربية تفيض حيوية وتسمو الى الآفاق السماوية . مستنيرة بايمانها الذي جعلها تتجنب وتعلو فوق جميع الحواجز والعوارض .

هو الذي جعل المسلم يؤمن ويوقن بان البعث يتبع الموت ، وان الجنة مفتوحة الابواب فى وجه كل من استشهد فى سبيل الله ومثله العليا وامام كل مسلم اسلم وصدق اسلامه واذا كان هذا التشويق الى الخلود اقوى واعمق فى الديانة الاسلامية منه فى اية ديانة ، فذلك لان الرسول – وهو مرشد المسلمين الاعظم – كان اعمق ادراكا من كل مخلوق آخر لكلمة الله ، والابلغ فى تفسيرها ونقل مغزاها الى الاذهان والافئدة . واذا كان آخر الرسل وخاتمتهم فهو قمة الحكمة والبلاغة .

لا ادري على اي صورة كنا نرى هذا القطر المغربي لو لم يكن وطنا لامة مسلمة، ان الرابطة الاسلامية هي التي ميزت هذه الامة عن غيرها من الامم المنقسمة فيما بينها الى احزاب سياسية تهيم فى ظلمة الجشع والمطامع ، المشتتة بين افكار ومذاهب لا تطمئن النفس الى سلامة نواياها وغاياتها .

فالفضل كل الفضل فى الوحدة وجمع الكلمة يرجع كله الى هذه الديانة التي حالت دون تغلغل الانقسامات فى النفوس والتي صدت كل حزب – مهما بالغ من تقدميته – عن نكران العقيدة او الملك الذي يجسمها . ولا غرابة فى ذلك فالظاهر ان كلا منهما سند للآخر فى المغرب .

قد يحق لبريطانيا العظمى ان تفاخر باتساع صدرها لقبول ديانات متعددة من غير ان يكون فى ذلك خطر على انسجام حياة المملكة المتحدة ، كما قد يحق لفرنسا ان تصف نفسها بانها البلد الذي لا ترتبط بدين من الاديان ، فان ذلك لا ينسينا الحركات الوطنية التي ظهرت فى مقاطعتيها الالزاس وبروطانيا وقضى عليها دوكول فيما بين 1944 و 1945 فهي حركات مبعثها الوحدة الدينية التي تجمع بين هاتين المقاطعتين المتشبثتين بالمذهب الكاثوليكي تشبثا جعله موضع الاحترام والتوقير حتى عند احزابهما اليسارية .

ولناخذ مثالا آخر من بلجيكا التي يستوطنها جنسان يختلفان اشد الاختلاف ، وحيث توجد لغتان رسميتان، فالوحدة فى هذا القطر لا تقوم الا على الدين والملكية ، بحيث اذا زال احد العاملين زالت هي كذلك ودخلت بلجيكا فى عالم النسيان . وهذا مع العلم بان المسيحية غير متمكنة تمكن الاسلام فى النفوس .

ان الوطن المغربي ليتجاوز حدوده الترابية ليصير جزءا من المغرب العربي . ولكن هذا التعبير لا يجسم الواقع على حقيقته، والافضل ان يقال المغرب الاسلامي، فما كان للفتح العربي ان يجمع بين سكان الشمال الافريقي والعرب القادمين عليه لولا انتشار الرسالة المحمدية وما وجدته من استعداد لقبولها واعتناقها . ما كان للمغرب العربي ان يكون لولا الاسلام ورسالته وما حملت في طياتها من نبل وعظمة وطهارة ، لولا هذا القرآن الذي كان امضى سلاحا من الحديد والنار . ثم ان الايمان العميق بهذا القرآن هو الذي دفع بفرسان العرب الى الخروج من صحرائهم لفتح العالم وخوض معارك كانت سلسلة من الانتصارات المتصلة الحلقات اذ لم يجدوا امامهم خصما يحمل سلاحهم ، سلاح الايمان. وقد جعلتهم هذه الانتصارات المتتابعة يستخفون بالاخطار وبالموت ويعتقدون انهم يؤدون مهمة الاهية . وكانت كل معركة يخوضونها لا تزيدهم ايمانا بسمو مهمتهم فحسب ، بل وتزيدهم عددا وعدة ، وذلك لان شريعة الاسلام تساوي بين الغالب والمغلوب بعد النصر ، فكان المغلوبون يسارعون الى حمل السلاح من جديد والوقوف الى جانب الغالبين لنصرة دين المساواة وان التاريخ ليصف لنا كيف كان هؤلاء الداخلون الجدد الى الاسلام يتحرقون الى حمل مشعل القرآن والاسراع به الى الجهات التي لم تضئها بعد انواره .

وبفضل هذه الديانة الاسلامية ستبقى انوار الوطن المغربي ساطعة متلألئة ، **ولسوف تعجز العواصف العاصفة عن النيل من تلك الشعلة التي يشع نورها في قلب كل مغربي** ، وسيبقى المغرب سندا للعالم الاسلامي كله وهذا له سندا .

هذا ويحاول البعض عبثا جعل طائفة من المسلمين تنفصل عن حظيرة الاسلام وادخالها في قومية غريبة عنها، ولكنها محاولة فاشلة لان تلك الطائفة مرتبطة بروابط ثلاث : الاسلام والعروبة وتراب الشمال الافريقي .

واني اذ اترك جانبا جميع الافكار والآراء السياسية لالقي نظرة مجردة على الاحداث لارى ما للوطن المغربي من التاثير القوي الفعال على مجموع العالم الاسلامي ، فهو لهذا العالم معقله الغربي وحصنه الحصين في هذا الجانب من الدنيا .

واني لارى كذلك ان لولا وجود المغرب المستقل لما كان المغرب العربي الا اسما جغرافيا بدون مسمى . وان لولا الديانة الاسلامية وما خلقت من الروابط الاخوية بينه وبين الشعب الذي يجاوره ، ذلك الشعب الذي قدم — عن طواعية واختيار — نفسه قربانا على مذبح الحرية وهو موقن بان من تضحيته هذه ستعود الى الظهور خلية مغربية اكثر حيوية مما كانت عليه في اي زمن من الازمان الغابرة فتزيد في دعامة التناسق الموجود بين شعوب المغرب وبين الامم العربية وبين افراد العالم الاسلامي .

ان الوطن المغربي منارة العالم الاسلامي التي تضيء المحيط الاطلسي ، انه الوطن المشيد وسط الزوابع والاعاصير وبين مد البحار وجزرها ليبقى الى الابد قائما فوق اسسه القوية المنحوتة من صخرة الخلد : عقيدته الاسلامية .

معركة المقاومة للاستعمار والتجمع للوحدة الكبرى في الأدب العربي الحديث

للأستاذ: انور الجندي

لاول مرة في تاريخ الادب العربي المعاصر يكتب تاريخ هذه الفترة (1820 / 1959) بطريقة موحدة لتيارات الفكر في المنطقة كلها ، هذه المنطقة التي تمتد مندمجة شاملة تتمثل فيها (الوحدة الحقيقية) من المحيط الى الخليج او من المغرب الى العراق وقد كانت جميعها تحت السيادة العثمانية (!) ثم وقعت جميعها في قبضة الاستعمار ، وقد بدا ذلك عام 1820 عندما احتلت الجزائر وكانت قد سبقت ذلك محاولات لاحتلال مصر سنة 1799 بواسطة الحملة الفرنسية وقيادة نابليون وعام 1807 بواسطة الحملة البريطانية بقيادة مزيزر ولم يمض بعد ذلك اكثر من ربع قرن حتى سقطت الجزائر في قبضة الاستعمار الفرنسي وتوالت البلاد العربية ولم تلبث ان اسفرت الحرب العالمية الاولى عن خطة شاملة تم بها احتلال اجزاء المنطقة كلها ما عدا الحجاز واليمن فقد ظلتا محتفظتين باستقلالهما، وفي خلال المرحلة الاخيرة من الحكم العثماني بدات المقاومة لهذا الحكم الاستبدادي الذي كان يمثله السلطان عبد الحميد في خلال فترة اربعين سنة (1868 / 1908) ثم يمثله حكم الاتحاديين بعد سقوط عبد الحميد وصدور الدستور ، وقد كان اتجاهه اشد قسوة من عبد الحميد لانه استهدف تتريك العناصر الداخلة في الدولة العثمانية والقضاء على القومية العربية ، وقد واجه العرب في المشرق (الشام والعراق والحجاز) هذا الحكم وقاوموه ، وكانت مصر موئلا للاحرار الذين طاردهم استبداد العثمانيين وكانت صحافتها لسان صدق في هذا المجال .

ولم يلبث العرب ان تحرروا من السيادة العثمانية حتى سقطوا في قبضة الاستعمار البريطاني والفرنسي والايطالي والاسباني ، وهنا بدات مقاومة اخرى اشد قوة كان للادب ، نثرا وشعرا وقصة وللصحافة وللكتاب الأثر البعيد في هذه المعركة . ولقد قام الادب العربي في هذه المرحلة الضخمة بدوره كاملا ، فهو فضلا عن انه استجاب للتطور ومثل مختلف الالوان التي عاشها الادب العربي في تاريخه الطويل فانه قد ابتدع (الادب الوطني) الذي حمل لواء «المقاومة» للاستبداد العثماني ولطغيان الحكام ثم قاوم الاستعمار نفسه ونادى بالتجمع والوحدة وكشف عن اصالة الامة العربية وقدرتها على المقاومة ، وكان هذا الادب نشيد الثورات المتوالية التي لم تتوقف في خلال قرن وربع قرن .

وكان الصوت المدوي الذي يهز القلوب ويدفع الجموع الى الاستشهاد والفداء ، وباستعراض صور هذا القرن وربع القرن من ادب « المقاومة والتجمع » نجد ان هناك عوامل موحدة تنتظم المنطقة كلها : ايمان بالحق الطبيعي في الحرية واصرار على المقاومة ؛ وصيحات عالية مدوية للتجمع وقلوب تخفق وتتلاقى في انحاء الوطن العربي تستطيع بايمانها ان تقاوم كل حلقات الارهاب التي قام بها الاستعمار وحركات التغريب واساليب التمزيق ومؤامرات التضليل ، كان الشعر ينفث السحر ويهز القلوب ويدعم الروابط ، كانت الامة العربية تتنادى من المحيط الى الخليج وتتجاوب .

ولعل الادب العربي لم يتأثر بماساة او حدث كما تأثر بماساة فلسطين فصور صورة القدر الغربي وحمل صورة الحقد والثار وعبأ الشعور ، فكانت مفتاح « اليقظة » التي شملت العرب والينبوع الذي تفجرت منه عواطف الكتاب والادباء كما كانت وحيا والهاما للشعراء ، وقد صورهذا الادب اكبرالرين خلفتهما النكبة

---

(1) عفوا يا استاذ فان المغرب الاقصى لم تشمله السيادة العثمانية .

وهما ضياع فلسطين والنازحين ، كما رسم صورة الشوق والحنين بذكر الوطن وابرز صورة « العودة » والايمان بها والاعداد لها .

فاذا تساءلنا ماذا يمكن ان يعطينا هذا العرض التفصيلي من ملامح الادب العربي من المحيط الاطلسي الى الخليج الفارسي في خلال قرن ونصف قرن من الزمان وجدنا انه يعطينا صورة « عقل » الامة العربية وعاطفتها في ادق مرحلة من مراحل كفاحها وصراعها واثبات شخصيتها ، ذلك ان هذه الفترة منذ بدا الاستعمار بغزو العالم العربي (1811) حتى اليوم تمثل احدى الملاحم الضخمة التي خاضتها الامة العربية في مقاومة مطامع المغيرين الذين كانوا يتطلعون دائما الى هذه المنطقة ليضعوا ايديهم عليها .

وهي حلقة من حلقات الصراع بين العرب وخصومهم سبقتها ثلاث ملاحم ضخمة هي : التتار والصليبيين والعثمانيين، وفي كل ملحمة من هذه الملاحم كانت الامة العربية تتاوم بكل قوتها معتزة بشخصيتها وموقعها وتراثها الثقافي ومكانتها الروحية .

ولقد كانت الملحمة الرابعة (الاستعمار الغربي الحديث) من اضخم هذه الملاحم من غير شك ، نظرا لتضخم السلطان العسكري للغرب الذي اكتشف البخار ودخل دور الصناعة الحديثة باختراعاتها وكشوفها وسلطانها المادي في الوقت الذي غفل فيه العرب عن القوة فاكتسحوا بالغدر والخيانة والمؤامرة ، وقد صور الادب هذه المؤامرة الضخمة وكشف عن طريق النثر والشعر والمقال والقصة والصحيفة والكتاب والخطابة عن عمليات الابادة التي قام بها الاستعمار في ليبيا والجزائر وفلسطين ، وكان القوة الدافعة التي تجمع الجموع وتدفع المجاهدين الى الصفوف الاولى وتستطيع هذه الصورة ان تعطينا عددا من الحقائق التي تكشف عن جوهر الامة العربية . فقد كان الادب (شعره ونثره) هو ديوان العرب وكانت اللغة العربية هي قوام هذه الرابطة الضخمة ، رابطة القومية العربية .

وقد حاول الاستعمار في تجربة ضخمة حشد لها كل قواه وجند كل امكانياته وعلمائه القضاء على هذه اللغة وابدالها باللهجات المحلية سعيا وراء جعلها لغات اقليمية ولكن دون جدوى فقد ذهبت جهوده ادراج الرياح وبقيت الامة العربية ملتفة حول سارية عالية لا سبيل الى هدمها ، وظلت اللغة العربية — التي كانت قد ضعفت في اواخر العهد العثماني — تنمو من جديد وتتجدد وتنصقل وتتطور على السنة الشعراء واقلام الكتاب ترسل الصيحات المدوية فتعبىء المشاعر وتحفز الهمم .

وكانت « العربية » شرارة الثورات المتوالية التي انفجرت في العالم العربي الوطني — ولا اقول السياسي — الذي اطلقنا عليه ادب المقاومة والتجمع ، فقد ساد هذا اللون وطغى واتسع نطاقه ، وكان ابرز الالوان واقواها واشدها اصالة ، وحملته الصحافة في الاغلب فكانت رسالة ، وحمله الكتاب ونقلت هذه الاثار من الاوطان المضيق عليها الى من كانت اكثر حرية ، بل انتقل الادباء انفسهم وهاجروا في مناطق الظلم ، ولم يقف امرهم عند هذا ، بل قدموا الضحايا ، شهداء من اهل العلم وسجناء ومهاجرين ومشردين

وفي الوقت الذي كان الاستعمار يضغط فيه على الحدود المصطنعة او يدفع المذاهب التغريبية الى ان عادل الحياة وتوجه صنائعه من حكام الاقطار ليضاعف من قسوة التجزئة ويضع بذور الفتنة والشقاق بين قطر وقطر ، كانت قصيدة واحدة تحمل معنى الاخوة العربية والمقاومة والتجمع كافية لان تجعل هذه الدور كلها تنهار وهذه الحصون كلها تتحطم .

فقد شدت لها القلوب فاذا هي تجري على الالسنة وتتناقلها الركبان، فاذا اردنا ان نصور التيارات الفكرية التي كانت تضطرم في المنطقة فلا شك ان الدعوة الوهابية كانت منارا قويا للحركة الفكرية ، وكانت مقدمة لرسالة جمال الدين الافغاني وما تلاها من حركات فكرية حملت رسالة الادب والثقافة في المهدية السودانية ، والسنوسية الليبية و « خير الدين » التونسية و « الالوسية » العراقية والكواكبي في مصر وهي عندنا قمة الحركات الفكرية الداعية الى الحرية والمقاومة للاستبداد العثماني الهادفة الى العودة للمنابع الاولى للعقيدة .

وهي ان تكن ضعفت في مسقط راسها فقد ظلت شديدة الاوار في المشرق والمغرب على السواء ، وكان الشعر بالطبع ابرز من النثر اثرا فقد هاجم شعراء العراق والشام الاستبداد العثماني ثم اتجه الشعر الى مقاومة الاستعمار الفرنسي والبريطاني في مختلف انحاء الوطن العربي .

وقد كان الوجود السياسي للعرب سبيله الادب كتابة وشعرا وخطابة (فلم يكن العرب بمدافعين عن وجودهم الا باللغة العربية في مقالات وقصائد ومطبوعات اثارت نوازع الحمية العربية واطلقت الالسنة والاقلام ،

وقد قاوم الشعر مقاومة فعالة ودعا الى التجمع واضطر الشعراء الى كسب سخط الحاكمين وغضبهم ومن هؤلاء الزهادي والرصافي في العراق كما هاجر من اجل ذلك الكاظمي الى مصر وفي الشام فؤاد الخطيب وشفيق جبري واليازجي من قبل وشكيب ارسلان الــــذي اضطره الاستعمار الى الهجرة. وقد ارتفعت لغة الكتابة بعد التحرر من سلطان الاتراك واستهدف الادب العربي: القومية العربية بدلا من الوطنية العثمانية وافاد الادب العربي من الاساليب الحديثة في الادبين الفرنســـي والانجليزي .

وكان اعلان الدستور العثماني (1908) في العراق والشام والحجاز اعلانا لتطور الادب العربي من الاسلوب التقليدي الى دعوة الحرية ومهاجمة الاستبداد مـــع الحماسة وذكر البطولة والاشادة بالامجاد والدعوة الى النضال ، وكما انشا طاهر الجزائري المدارس العربية في الشام انشا عبد الحميد بن باديس المدارس العربية في الجزائر لمقاومة التيار الفرنسي الذي يحمل سمـــوم التغريب .

فقد حمل الاستعمار الفرنسي معه الى كل بلـد احتلها مؤامرات التجنيس والتغريب والفصـل بيـن العرب والبربر والادماج ، وحاول في كل واحدة من هذه المؤامرات ما وسعته الحيلة ، فعل ذلـــك في تونـس والمغرب والجزائر والشام .

وفعلت ذلك ايطاليا في ليبيا وانجلترا في السودان وقد رفض البربر الذين كانوا قد امتزجوا مع العـــرب هذا الاتجاه وتمسكوا بوحدتهم مع العرب وفشلـت سياسة الادماج بعد ان عجزت سياسة التجنيـــس ، وكانت سياسة التغريب اكثر فشلا ، وحاولت فرنسا احلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية فلما عجزت حاولت احلال الفكر الغربي محل الفكر العربي ، ثم دعت الى محاولة بعث امة مغربية تقوم على فكرة الجنـــس البربري ثم حاولت تشويه رسالة الاسلام واتهمته بانه يتنافى مع العلم والترقي .

ثم عمدت الى القضاء على كل مقومات النهوض بالامة ولكن (الادب العربي) الذي حملته الصحافة كان اداة قوية للقضاء على هذه المؤامرات جميعا فقد قامت الصيحات في كل انحاء الشمال الافريقي تقول : (نريد ان نتعلم انسانيتنا لا انسانية الاخرين) **وانا (لانعتبر انفسنا احرارا الا اذا حررنا فكرنا من اللغة الاجنبيـة وحررنا كلمتنا من الدلالات الاجنبية)** وبالرغـم مـن القيود التي فرضها الاستعمار الفرنسي على الثقافـة فان الشمال الافريقي كله قد سبق الى توجيه الثقافة العربية عمليا اذا اتجه ابناؤه الى الازهر في الوقت الذي قصر فيه المشرق عن الالتقاء بالمغرب وقاومت جمعيـة العلمـاء في وهـران الثقافـة الفرنسيـة مقـاومـة جبارة ، وكان باديس والابراهيمي والعقبي اقوى عقبة وقفت في وجه مؤامرات التغريب ، ودليل ذلـــك ان فرنسا قاومت تعليم اللغة العربية في الجزائر 126 عاما مقاومة عنيفة ولا يوجد اليوم في الجزائر من يتكلم غير اللغة العربية اكثر من 10 في المائة من العرب .

وقد اضطر مفكرو الغرب الى الاعتراف بفشلهم في القضاء على الوحدة بين اجزاء المغرب الثلاثة ولم تفلح كل الوسائل الفرنسية في تحويل اذواق الجزائريين عن اللون العربي الخالص ، وقامت الزوايا والكتاتيب باخطر مهمة في تاريخ اللغة العربية وهي حفظها من اللهجات ، وحاولت فرنســا ان تجعل من المثقفين الذين تعلموا في فرنســا عملاء او انصارا لثقافتهم ولكنهم فشلوا ايضا فقد تكشف لهؤلاء انهيار القيم الانسانيـــــة في نظر الاستعمار الفرنسي فاندفعوا الى صفوف المجاهديـن لمقاومة ثقافة فرنسا التي تطمع في تغريـــب (العرب) وكانت الصحافة في تونس والجزائر والمغرب وليبيا ، والصحف السرية ايضا عماد هذه المقاومة تحمل المقال والشعر ، وبذلك افلتت الشخصية العربية من محاولة القضاء عليها بالرغم من جميع وسائل العسف والقمع وبانت اهداف الادب العربي واضحة بانها الدعوة الى الوحدة الوطنية والتحرر من الاخطار الاستعمارية .

وكما شارك الشعر العربي في الجزائر وتونـــس ومراكش وليبيا في معارك فلسطين، شارك الشعر العربي في الشام ومصر والعراق في معارك الجزائر ، واليوم يقف الادب الجزائري وراء الثوار يؤجج عواطفهم ، وآب الى القومية العربية محمد ديب ومولود معمري ومولود فرعون من كتاب الجزائر الذين تأثروا بفرنسا اول الامر والذين ما زالوا يكتبون بالفرنسية .

يقول محمد ديب : (نحن معشر الرجـــال في جبالنا هذه يجب ان تقف البلاد باسرهـــا وتبصـق احتقارها في وجوه الطغاة) .

وقد تأثر المغرب العربي كله بجمال الدين الافغاني والعروة الوثقى وكان (مبادو) والزيتونة والصادقية والخلدونية في تونس ادوات القوة الفكرية التي حملت دعوة المقاومة للتغريب والاستعمار كله .

وكان الثعالبي وعلي باش حامبة والبشير صفر صحفيين حملوا اقلاما مؤمنة صادقة دافعت عن الامجاد العربية ودعت الى المقاومة والتجمع .

وقد تاثر المفكرون فى اقطار الشمال الافريقي بالادب العربي فى مصر واثار جمال الدين الافغاني ومصطفى كامل والمويلحي وحافظ وشوقي ، وهبت فى وقت واحد محاولات لاحياء التاريخ العربي القومي وتجمعت الامة بعد ان تفرقت ودعمت كيانها القومي ثم تداخلت عناصرها فان ما حدث فى الجزائر حدث فى تونس ، ونشر الثعالبي مقالات وطنية نارية هاجم فيها فرنسا فى صحف مصر وسوريا والعراق والحجاز والهند وكانت هذه المقالات تترجم الى الفرنسية وتنشر فى صحف تونس كما نشرت فى صحف مصر مقالات نارية وقصائد من العراق وسوريا مهاجمة الاستبداد العثماني وترابطت الاقطار والاقطار فكان للرصافي شاعر العراق فى تونس مكان مرموق . وكان لشوقي فى الشام ولحافظ فى لبنان مكان واضح ، وتعد مسالة « التجنيس » فى تونس من ابرز القضايا الفكرية فى تاريخها الطويل ، وكان للصحافة فى تونس اكبر اثر فى توسيع دائرة الحركة الفكرية وكان للجمعية الخلدونية اثرها فى التجاوب مع الشرق العربي فى جميع احداثه ومواقفه .

وقد كان قوام الادب العربي فى هذه المرحلة الايمان بالحياة والارض والحرية وقد ابان عن عمق التشبث بالوطن وبرزت فيه روح التطلع الى المستقبل باحساس الامل والتفاؤل وتاكيد الروابط بين اقطاره مع تاكيد الوحدة العربية الكبرى .

وكما ذهب شكيب ارسلان من لبنان الى جنيف فاقام فيها ذهب علال الفاسي الى مصر والشرق وذهب الثعالبي الى الهند والبشير السعداوي الى دمشق .

وكانت مصر بالنسبة الى ليبيا مركز المقاومة للايطاليين ، وكانت من قبل بالنسبة لسوريا مقر الجمعيات السرية لمقاومة العثمانيين .

وقد تجاوبت مصر وسوريا وتونس وفلسطين وحملت صحافتها لواء الدفاع عن ليبيا وكشفت جرائم الاستعمار الايطالي ، وفى الوقت الذي اوصد الاستعمار الايطالي ابواب ليبيا عن الكتب والصحف العربية ، كان الشباب الليبي نفسه يندفع ليربط نفسه بالفكر العربي مهاجرا ، وقد فرضت ليبيا تعلم اللغة الايطالية وقاومت اللغة العربية حتى انها اودعت السجن مجموعة من الشباب كانت تقرا كتب العبرات للمنفلوطي .

كما ان صحف الاستعمار اخذت تذيع الاخطار المدمرة للعقل العربي فضلا عن انها اشعلت النيران فى المكتبات العربية الضخمة وساقت الجماهير ليشاهد وأد ثقافته ولكن هذا لم يطفىء جذوة النضال عند المستعمر بل زادها اشتعالا ومن وراء صفوف الحرب كانت القصيدة العربية الليبية تهز المجاهدين وتدفعهم الى الاستشهاد وساهم الشعر الليبي فى بث الوعي العربي ولم تشغله معركته الوطنية عن الدعوة للوحدة الكبرى ، واضاف المعهد الجنوبي الى الازهر والزيتونة والقروى مزيدا من طلاب الثقافة ، وفشلت محاولة ايطاليا لسحق اللغة العربية وافنائها والقاء تراثها فى ليبيا ولم تستطع ثلاثين عاما من مقام اللغة الايطالية فى ليبيا ان توهن من اللغة العربية او تضعف مكانها .

وفى السودان جرت محاولات لعزل العرب عن البربر ، ومن السودان ومصر جرت المحاولات لعزلهما، ولكن الفكر العربي ربط بين مصر والسودان من ناحية، وربط بين البربر والعرب فى السودان فقد كان عسيرا ان تخرق قوة قد امتزجت . ولقد لقيت العربية فى السودان من عنف الاستعمار البريطاني بعد الاستبداد العثماني مثل ما لقيت مصر ، وقد قاومت فى ثورات متتالية وقد انبعثت فى انحاء السودان بعثات بيكر وغردون وجي وكازاتي تعمل على استئصال جذور الوحدة ومنع الامتزاج بالقوة وقاومت كل زعماء العرب السودانيين الذين يحملون اللغة العربية وقتلوا وطردوا الى منطقة البحيرات وتجمعت كل هذه الاضطهادات فى اطار ثورة ضخمة تحمل علم المقاومة العربية كانت رد فعل حقيقي عنيف ضد اعمال الابادة والتجزئة .

وكانت المهدية كالسنوسية والوهابية حركة سياسية فكرية تهدف الى المقاومة والتجمع ، حتى ان المهدي فى السودان كان يطمع ان يفتدي عرابي المحكوم عليه بالنفي ، ولم تستطع الثقافة الانجليزية التي حاول الانجليز اقرارها القضاء على الثقافة العربية واللغة العربية بالذات ، واستطاع السودان ان يستوحي سلالاته وقبائله وماضيه وتراثه دون ان يؤثر ذلك فى روابطه العربية وتأكد ان العناصر البشرية فيه قد امتزجت الى درجة يستحيل معها الاحتفاظ بفكرة البقاء العنصري وكذلك حدث فى تونس وليبيا ومراكش والجزائر

وساهم الشعر السوداني فالنثر السوداني فى احداث الامة العربية مساهمة فعالة وتجاوب مع القومية العربية ، وبدا فيه عمق الروابط بين مصر والسودان: وحدة الدين واللغة والمصالح المشتركة والمقاومة لكل اسباب الاستبداد والاحتلال وحمل الشعر السوداني

كراهية الاستعمار الغربي واستمرار المقاومـة وبروز العامل الوطني الذي التقت فيه الاجناس السودانية .

وفشلت مؤامرة القضاء على اللغة العربيـة فى السودان وفى الجزيرة العربية ، كانت المقاومة واضحة فى الادب اليمني وادب الخليج .

وكان للبترول اثره الاجتماعي والفكري البعيد المدى، حيث بدات المجتمعات تاخذ صورة جديدة ظهرت فى بناء مجموعة ضخمة من المباني مع ادخال مظاهـر الحضارة الغربية وبعض مخترعاتها النافعة .

وفى « اليمن » ادب يحمل معنى المحافظة علـى الاستقلال والمقاومة لكل ما هو بسبيل ان يؤثر علـى الحرية ، وفى عمان والبحرين وقطر ادب يقطر دمـا ، ويصور البطولة والفدائية – وفى « الحجاز » ادب فيه الاحساس بالبكاء على المجد العربي القديم والدعوة الى اليقظة والاتجاه نحـو المعالـي .

وفى الكويت ادب فيه قلق فكري وتطلع الى الغد ، وفى «لبنان » ادب تمدح فيه المدرسة اليازجيـة والجبرانية المنطلقة الشاعرية « الارض » وهي اقـوى ابطال القصة اللبنانية و « الهجرة » اهم موضوعاتها . وفى « سورية » ادب فيه ايمان عميق بالقومية العربية والوحدة وفيه تطلع الى الافاق البعيدة وابرز مظاهره الايمان بالحرية والعروبة وقد قاوم الادب الشامـي صراع اللغة التركية كما قاوم صراع الثقافة الفرنسية، واصطبغ الادب العراقي بصبغة التمرد على الحيـاة والضجر من الطبيعة والتأفف من الناس ، كما وسـم بالخطر وقد نافح الادب العراقي عن الحرية كما نافحت الصحافة العراقية وقدما ضحاياهم كتاب وشعـراء سجنوا وشردوا وقتلوا ، وقد تنبأ زكي مبارك منذ اكثر من عشر سنوات بان العرب مقبلون على تاريخ جديد لا تنهض قواعده بغير الاخاء الصحيح ، ومن اجل هـذا تبذل الملايين من الدنانير الاجنبية لتمزيق ذلك الاخاء او قتله فى المهد) .

وقد قاسى الادب العراقي كثيرا فقد كانـت الصراحة فى الادب والتعبير تلقي جزاءها ثمنـا غاليـا فادحا من المطاردة والحرمان .

اما الادب العربي فى مصر فقد قاوم طغيـان اسرة محمد علي وخديويها ، وكانت ثورة عرابـي والاحتلال ودنشواي والحماية وثورة 1919 احداثـا ضخمة تأثر بها الادب العربي ، وقد شرد كتاب مصر ونفوا وسجنوا وقاسوا الارهاب .

وكانت كلمات جمال الدين الافغاني ومصطفـى كامل وعبد الله نديم وعبد الرحمن الكواكبي وعبـد العزيز شاويشي تهز الشرق كله ، وقد هزت اشعار شوقي وحافظ والبارودي والمنفلوطي ضمير الامـة العربية، وقد هاجمت الامة العربية الاستعمار البريطاني والفرنسي والايطالي ومن قبل الاستبداد العثمانـي بصحافة مصر ومطابعها وامتزجت عوامل الفكر والثقافة والادب بين مصر وسوريا ، وكان للسوريين اثر واضح فى صحافتها وادبها ، (وهكذا صور الادب العربـي المعاصر وحركة المقاومة والتجمع ، صور ادب فلسطين، ادب الدم والثار ، وصور ادب المغاربة الاشداء مقاتلوا الجبال ، وصور الجزيرة العربية بصحرائها ووهادهـا وجبالها ، وصور هجرة السوريين واللبنانيين من وجه الظلم والمجاعة والاضطهاد الى امريكا واقامتهم هنـاك يصنعون المجد والثروة ويعودون بها فكان ادبهم هناك ذوب حنين وصيحة ايمان بالعروبة ودعوة الى التحرر وكانت مجزرة (سطيف) فى الجزائر ومعركة (ميسلون) بالشام ومأساة ؛ دنشواي فى مصر لها رنين فى الادب وصوت بارز .

وظهر الشعر الاجتماعي يدعو الى تحرير المـرأة ويطالب بالعدالة الاجتماعية ، وبالرغم مـن ان الادب المحلي ظهر فى مصر ولبنان والسودان واجزاء كثيرة من العالم العربي يحمل الدعوة الى الوطنية الضيقـة ويفاخر بالامجاد الفرعونية والفينيقية او غيرها فـان ذلك قد اصبح على مرور الزمن ايمانا بان الادب الوطني قد يستمد من مجده الفرعي قوة الدعوة للمجد العربي الاصيل وانه حين يمجد رقعته الضيقة انما ينظر اليها على انها جزء من الوطن العربي الكبير ولا شك ان عظمة لبنان هي عظمة للعرب وان شجاعة سورية هي جزء من الشخصية العربية وان امتزاج الاجناس فى تونـس والمغرب والسودان هي حقيقة قائمة وراء الايمان القوي بالقومية العربية .

وكذلك لم يعرف الادب العربي فى هذه الفترة : العزلة والانكماش ولم يعرف السلبية ، وانما امدتـه هجمات الاستعمار ومؤامرات التغريب ودعـوات الانفصالية والتجنيس والتجزئة قوة على ان يحيـا ويعمق ويتسع فاستفاد من الادبين الفرنسي والانجليزي فى الاسلوب والمعنى وفى العرض والاداء ، وامتص منهما ما زاده قوة فى نفس الوقت الذي ظلت ملامحه الحقيقية واضحة لم يضعفها الامتصاص ، وبذلك لم يحقق لدعاة التغريب من العرب مطمعهم فى ان ينتقل من العربيـة

الى العامية او من الاصالة الى الركاكة ، او يتنكر لامجاده ويزدريها او يستجيب للقومية الضيقة وينفر من التجمع ، وسافرت البعثات متوالية من القاهرة وتونس ومن سوريا ولبنان ومن كل انحاء العالم العربي الى اوربا وعادت دون ان يغير ذلك من فهمهما — الا افرادا قلائل كشفهم العرب ونبذوهم — بل ان الذين ذهبوا الى اقصى الارض وعاشوا فى قلب التيار الغربي لم يستطع هذا التيار ان يطويه فيقول الشاعر القروي فى مهجره : **(امتي انا مكثرا ووطني انا مكبرا ، اذا اقتطع ذئاب الاستعمار منه قطعة ، فكانما اكلوا جارحة من جوارحي ، واذا هدروا عربيا فى لبنان او تطوان فكانما شربوا نخبة من دمي ، انا وحدي سبعين مليونا من العرب كل واحد منهم انا ، فينبغي ان احبهم سبعين مليون حبي لنفسي ، من افتداهم فكانما احياني سبعين مليون مرة ومن خانهم فكانما قتلني مثلها) .**

وهكذا غلبت قوة الادب العربي الاصيلة على التيارات الضالة التي ما تزال تتردد فى خفوت ويحملها عملاء للغرب من العرب يدعون لها باسلوب او بآخر ولكن ليس فى حماسة ما كان فى الماضي ولا فى قوته ونحن نثق بانه لم يعد ممكنا بعد ان بلغ عمق القومية العربية فى الادب ما بلغ ان تستطيع هذه المذاهب التغريبية ان تنتصر او تجد سوقا رائجة ...

ولكنا نحن الادباء العرب مع ذلك يجب ان نظل فى يقظة نواصل معركة المقاومة التي لم تنته بعد ، وصدق الرصافي اذ يقول :

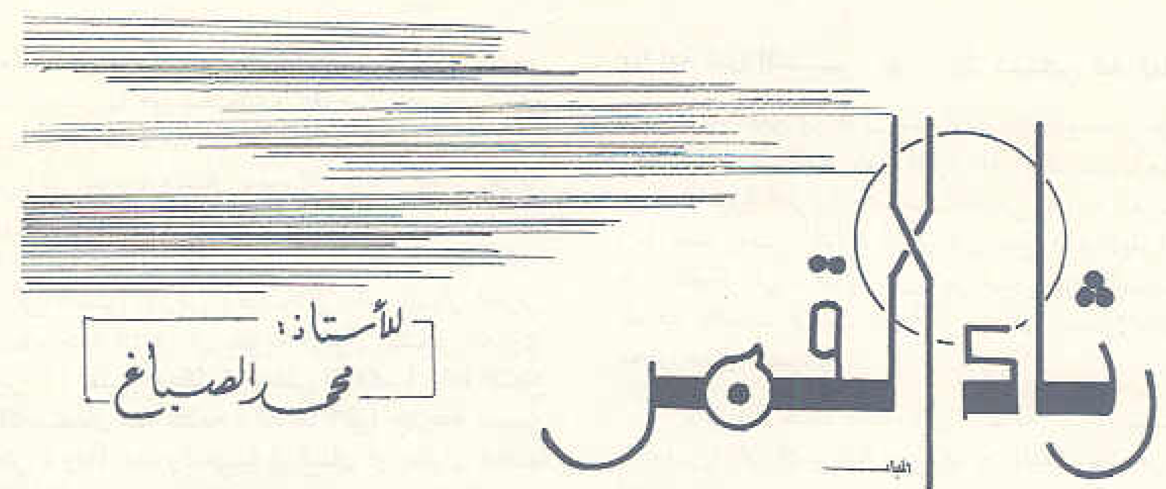
انا امة تدرا الضيم ❋ ولا تستكين قط لغاصب

وقد امكن فى خلال هذه الفترة ان تدحض نظريات كثيرة كانت متالقة فى اول القرن فلم يعد صدقا ما قيل من ان الثورة العربية كانت مستقاة من الثورة الفرنسية ، وقد مضى عصر المذابح الذي كان يبكي فيه ادباء العرب على سقوط فرنسا ، والذي آمن فيه بعض المبهوتين العرب بظلمات فرنسا البراقة بعد ان سمعوا عن مجازرها فى الجزائر .

ولم يعد هناك اتجاه الى الثقافة الفرنسية او الانجليزية او الامريكية معروفا فى الثلاثينات من هذا القرن .

وقد ساد الادب العربي المعاصر كله خلال فترة (المقاومة والتجمع) اتجاهين واضحين : التجديد فى الاسلوب والموضوع ، والتطور مع روح العصر ومقتضيات الزمن والمحافظة على القديم والتمسك بالتراث العربي واحتذائه وبعثه .

ولا شك ان ماساة فلسطين وحدت العرب وكانت بعيدة الاثر فى ادبهم وتاريخهم كله ، وهي — مع معركة الجزائر القائمة منذ خمس سنوات — قد كشفت الغرب على حقيقته واعطت العرب صورة واضحة لمدى بربرية الحضارة الغربية ومدى كذب الادعاءات التي تحملها الثقافة الغربية من كلمات الحرية والاخاء والمساواة وبذلك انهارت ثقة العرب فى ثقافة الغرب ومن ثم مضى الادب العربي الحديث يستمد قوته من امجاده يبعثها من جديد ويضيف اليها امجادا وبطولات جديدة .



اراك ، ولا اراك . هكذا احب أن اراك : مرآة لحبيبتين ، وساقية بنفسج تتسرب الى مخدعي من نافذة حجرتي من بين ملايين الصخور الرمادية ، فأشرب منها ، واغسل قلبي المثلث فيها فيغذ زورقا لي ولحبيبتي نركبه مع عمر حبنا الى حيث اسرة بنات النجوم. ولا احب ان اراك كما يريدون : موطنا للانسان وموطنا لاطماعه العدوانية ، وثكنة من ثكناته الجهنمية

اهكذا تمضي الى الموقعة ، وانت بعد طفل شارد تلهو وتحبو وتتزلق على عتبات الضياء فى كل شهر . طفلا تولد فى كل شهر ، وطفلا تغيب فى كل شهر ، منذ ان كنت نطفة ضوء فى احشاء امك الشمس .

هكذا احب ان اراك : طفلا فى السماء ، وطفلا على صفة الغدير عندما القي بطرفي الى الارض . ولا احب ان اراك : طفلا فى السماء ، وطفلا على صفحة الغدير عندما القي بطرفي الى الارض. ولا احب ان اراك محطة للقنابل الذرية ، ومرتعا للشهوات النارية .

ما لك تبكي، فتنهمر دموعك قطرات فحم فى قلبي الزجاجي ؛ وفى قلب من اترعتهم برحيقك المستدير : من عشاق ، وشعراء ، وفنانين ، وملهمين ، ومعذبين ؟

آه ! ان كل دمعة تنحدر على جفنك ، تنحدر معها نجمة . فيالوجه السماء الذي سيظل ارقش بعد ما تنتزع منه جميع النجوم ! ويا لظلمة هذا الجمال المريض ، المسجى على اسرة العصافير ، والجداول ، والسواقي ! يا للجمال المسلول فى صدر قلمي الذي ينفث كتلا من دم الخيال والافكار لكثرة صراخه وسعاله ! ويا لتلك القبلة المريضة على ثغر حبيبتي ، وكأنها قرحة !

امسح دموعك وادر وجهك الي لاراك ؛ فقد بللت خيالي بدموعك . كفاك نوحا . الق الي سلمك الفضي واحملني اليك ، فانا انتظرك على حصان هذا الليل . .

لا يطيب لي أن ابقى على الارض فاراك تذوب فى دموعك منتظرا ويلات الانسان الذي مزق بمعاول اظفاره كل ما كان على الارض جميلا ، ولطيفا ، وحلوا ، ورائقا ، حتى بات الربيع يخاف منه ، فيزور البذور ، والاعشاب ، والاعشاش ، والنسيم ، والشلالات ، مرتديا كفن الخريف الزعفراني خيفة منه . وها هو اليوم بعد ما ترك الارض جثة نحبب يطير اليك مدججا بالنار ، وممنطقا بالذرة ، ليهشمك ويدمرك ويفتك بنورك حتى تصبح منجم فحم ضرير ، كلما خطا الا واصطدم بجبال الفراغ ... وكنت النور فى كل عين ، والحب فى كل قلب ، وعقد الجمال فى كل جيد . كنت منارة للنسيم الشادر الضرير الذي يضل طريقه فى الليل فتهديه الى حيث رفيف زهرته. وكنت لحبيبتي آه على حبيبتي ! كنت لها مرآة تقف امامها فى الليل فتمشط ضفيرتها الطويلة ، تاركة على الارض خصلات النجوم ، وطيبا فى الجو لم تعهده. وكنت لي، يا لضياع اشعاري (❋) وانتحاب مناجاتي ، ولوعة خيالي الدامي ، ونزيف عمر أحلامي الفوالي !

أما زلت تبكي ؟ ها هي قطرة من قطرات دموعك تجري على قرطاسي وتنتحب حتى احمرت لها عيون حروفي فبكت .

كفاك . لن اتكلم بعد . سيغفو قلمي على حلم اسمك ايها القمر الحبيب .

الق الي سلمك الفضي واحملني اليك . فها انا انتظرك على حصان هذا الليل ...

❋) للمؤلف ديوان مطبوع بعنوان « انا والقمر » 1955



في طريق الاستقلال

القضية الجزائرية في رأي خمسة من رجال العلم والسياسة بفرنسا .

للأستاذ صالح الاحفاد

هــل للجزائريين الحق في متابعة كفاحهم الوطني؟ وهل مجرى التاريخ يبرر موقفهم اليوم ؟

ان هذين السؤالين وامثالهما يبادران اذهان كل من يتتبع اطوار الكفاح التحريري الذي يواصله منذ خمس سنوات بدون فتور اخواننا الجزائريون .

ولكم حاول الكتاب والصحافيون من كل جنس ومن كل بلد ان يجيبوا عن هذه الاسئلة ولكم نشرت مقالات قصيرة وطويلة في هذا الشأن ! ولكم وضعت كتب وافية ومختصرة حول هذا الموضوع ! وما زالت الاقلام تكتب حوله الى يومنا هذا .

ومن جميع هذه المقالات والكتب نريد ان نقدم لقرائنا في هذا العدد كتابا صغير الحجم ظهر منذ سنة تحت هذا العنوان « القضية الجزائرية » (1) ولقد شارك في تاليفه خمسة من اشهر رجال العلم والسياسة في فرنسا وهم « جان دريسن » « وشارل اندري جوليان » « وهانري مارو » و « الفريد سوفي » و « بيير ستيب » .

ومن كان يعرف هؤلاء الخمسة فانه يعلم ان لكل منهم اختصاصا في فن من فنون العلم ولقد تعرض كل منهم للقضية الجزائرية في هذا الكتاب من الناحية التي يتقنها .

فها نحن نرى مارو الاستاذ في التاريخ بجامعة باريس يتعرض للقضية الجزائرية من الناحية التاريخية ويتساءل عن حاضرها ومستقبلها ويحاول في هذا الكاتب ان يقنع مواطنيه بهذه الحقيقة التي اصبحت ظاهرة القرن العشرين وهي : ان الجزائر دخلت هي الاخرى في مجرى التاريخ وان فرنسا ـ مهما فعلت ـ فسوف يدركها هي الاخرى التيار الجديد الذي عم جميع الدول الكبرى الاوروبية التي اخذت ـ او بالاحرى ارغمت ـ على ان تتجرد من الروح الاستعمارية القديمة.

ويأبى الاستاذ مارو الا ان يلاحظ ان التجديد من هذه الروح ليس معناه « الاستسلام والتقهقر » كما يفهمه الرجعيون الفرنسيون بتقاليدهم البالية ، وينبغي ان لانفهم ان تحرير الشعوب المستعمرة معناه التخلي والانحطاط لاروبا . فبالعكس ينبغي ان نرى في هذا التحرير نجاح المهمة التي كلفنا بها انفسنا امام هذه الشعوب .

ان اروبا سوف لاتربح شيئا اذا استمرت في موقف الوصي الذي يأبى ان يعترف لمن هو تحت وصايته بالبلوغ أو كالاب الذي مازال يعامل ولده البالغ كما كان يعامله في صغره ..

وهذا ليس معناه ان الاستعمار نجح تماما في مهمته بل هناك مقارنة بين الماضي والحاضر تبين لنا خيبة الاستعمار الاوربي . فيقول الاستاذ مارو :

« لقد وقعت في التاريخ فتوحات كتب لها النجاح التام وانتهت بادماج البلاد المحتلة كما هو الشان في الفتوحات الرومانية ...

---

1) من سلسلة وثائق « نشرات نصف الليل » .

اما الاستعمار الاروبي فانه نجح فى بعض الاحيان وادرك الهدف الذي كان يرمي اليه – فى امريكا مثلا – واما لدى الاقطار الافريقية والاسوية فان الاستعمار قد خاب فى مهمته واصبحت الأمم المستعمرة ترفض – الواحدة بعد الاخرى – سيطرته » .

ويرى الاستاذ مارو لهذه الظاهرة سببا واحدا هو انه توجد فوارق عديدة ثقافية ودينية واخلاقية تجعل من الافريقي او الاسيوي شخصا يختلف عن الاروبي . ولقد تجاهل الاروبي هذه الفوارق فعادت عنه بالخسران . ولهذا اصبح الاستعمار فى وقتنا هذا – حيث اخذت جميع الامم تعتز بثقافتها وتحييها – من الحوادث التي اطبق عليها التاريخ سجله . ولم يبق حينئذ للدول التي ما زالت تتمسك بالروح الاستعمارية الا ان تتخلى عنها وتسير مع مجرى التاريخ

واذا ما رجعنا الى الماضي – ماضي الجزائر – نجد الاستاذ شارل اندري جوليان – الاختصاصي فى تاريخ شمال افريقيا – يتعرض للروح الوطنية القوية الموجودة عند الجزائريين وللحروب الاستعمارية المديدة التي اشعلتها قرنا لتقضي على تلك الروح . غير ان هذه الروح اصيلة فى نفوس الجزائريين الذين اصبحوا يتشبثون بها تشبثهم بالحياة. وهل هذا عيب يمكننا ان ننسبه للجزائريين ؟ فيجيب الاستاذ جوليان:

« يعتقد اغلبية السياسيين الفرنسيين – ولو كانوا من النزعة الديمقراطية – ان الجزائريين فى ضلال من امرهم اذ هم يخطئون حينما يحاولون ان يخلقوا امة جديدة ودولة جديدة فى حين ان الدول المتمدنة تحاول ان تزيل الحدود الضيقة التي الزمتها لنفسها لتكون مجموعة كبرى تراقبها هيئة دولية عالمية ....

... غير أن الروح الوطنية – مهما فاتها الاوان – ما تزال قوية وخاصة لدى الدول الكبرى واولئك الذين يعيبون على الجزائريين تمسكهم بمبادئهم الوطنية ، تقشعر جلودهم لفكرة تدخل هيئة الامم المتحدة فى شؤونهم »

ويرى الاستاذ جوليان ان الجزائريين بذلوا جهودا فى محاولتهم لانشاء دولة مستقلة ، واذا كانت جهودهم فى الماضي قد باءت بالفشل فهذا لا يعني ان جهودهم فى الوقت الحاضر ستبوء ايضا بالفشل ، واذا كان لابد من هذا الاستنباط فلما لا نقول ان مساعي فرنسا وجهودها ستبوء بدورها بالفشل كما فشل قبلها الرومانيون والفنداليون والبيزنطيون وغيرهم ؟ !

ثم يتعرض الكتاب الى الثورات التي قام بها الجزائريون عبر التاريخ ضد الاستعماريين كيفما كانت جنسيتهم ، ويرى ان هذه الثورات تكتسي دائما صبغتين : الاولى هي شعبية هذه الثورات وانتشارها فى الطبقة الفقيرة العاملة . والثانية هي : طموح هذه الثورات الى العدالة الاجتماعية وارادتها القوية فى تحقيقها .

فهاتان الميزتان جلعتا من الجزائريين رجالا شديدي البطش فى ثوراتهم ، متمسكين بمبادئهم التى تكاد تكون مقدسة فى أعينهم .

وهذا ما جعل عدوهم يحاربهم بقساوته ويستعمل جميع وسائل القمع والبطش والتعدي على ابسط القوانين الانسانية ، وهنا يقدم الاستاذ جوليان صفحات وافية عن المجازر البشرية التي قامت بها فرنسا فى الجزائر منذ ان احتلت هذا البلد ، واذا كانت ظروف الحرب فى القرن العشرين ليست هي ظروف وقت الاحتلال فان وسائلها لم تتغير فى كلتا الحالتين ... والجيش الفرنسي اليوم يستعمل كيفية متقنة فى القمع والتعذيب اصبح العمل بها جاريا كالامور العادية » .

ثم يختتم الاستاذ اندري جوليان فيقول : « اذا كان للحكومة الفرنسية الذكاء الكافي والشجاعة اللازمة للاعتراف بالوضع الوطني الجزائري فانه يسهل حينذاك الاتفاق على المراحل التي توصل الى الاستقلال الذي لا مناص منه » .

هذا وفى « القضية الجزائرية » فصول اخرى عن جغرافية الجزائر الاقتصادية وعن المشاريع السياسية التي تقدمت بها فرنسا لاعطاء الجزائريين شيئا يشبه حقهم وعن مستقبل الجزائر الاقتصادي وامكانياتها وشروط ازدهارها .

وكل هذه الابواب والتي قبلها ، طرقت فى « القضية الجزائرية » بصفة علمية ولقدحاول مؤلفوها قبل كل شيء ان يقدموا لقرائهم المعلومات الضرورية النزيهة لتمكنهم من متابعة المشكل الجزائري ومن تكوين راي شخصي عادل حول قضية هي من اهم القضايا التي شغلت العالم فى اوائل النصف الثاني من القرن العشرين .

أبو زهير





لغز تناهت دون فحـواه الهمم ... فرمته في ارجاء (جمعية الامم)
واللغز ليس يحلـه الا رصـا ... ص الثائرين ، اذا تهاطل كالديم
المجمع الدولـي في (اوراس) لا ... في عالم يرعى عواصف من ظلم
حرية الاوطـان يا عشاقهـا ... في النار ، في الرشاش ، في تلك القمم
لا تطلبوا حكما لهـا في مجلـس ... النار في قمم الجبال هي الحكم
المجمع الدولي في تلـك المغـا ... ور ، حيث تنطلق الرصاصة كالنغم
صفحاته جثث العـدا ، ويراعـه ... رشاشاتنا ، والحبر من دمـع ودم

شعب شعب الجزائر ، ثرت لا متسولا ... ترجو فرنسا ، ان تمدك باللقم
اورمت امنية ، وانت مكتف الايدي ، ... بقـول فـارغ يمليـه فـم
بل ثرت مقتدرا يعـززك السـلا ... ح وروح شعب ثار يزخر كالخضم
لا ترج خيرا ، بالتفاهم مع ذئـا ... ب ، ما لها يوما عهـود او ذمم
عهد التفاهم قد مضى ، ايـام قلـ ... ـنا قولنا ، والآذان في صمم
ايام ينعم سـادة الدنيـا علـى ... هضبات (متيجا) ونحن لهم خـدم
ايام يلفحنا سـموم الفقـر ، والا ... سياد تحت ظلالها بين النعم
ايام يأوى للمـدارس نشوءهم ... ولنشئنا الطرقات يستجدي اللقم
مساح احذية الفرنسـي الـذي ... خلقت انامله لطـرس او قلـم
ايام يأوى للقصـور شبابهـم ... وقصورنا الاكواخ توحشها الظلم
ان غادرت بنت الاكابـر دارهـا ... تنفي بنسمة شاطىء شبح السـأم
فلها فتاة الشعب خادمة ، فـوا ... ذلاه ، ابن اباؤنا ، ايـن الشمم ؟ ؟
تأوى فتاة (السين) للسينما ، وعند ... قفولها ، تجد الخوان المنتظم

من صاغه ؟ صاغته بنت العـرب اعداء الهوان ولو يجرع بالنقم
وجزاؤها منهم فتـات خوانهـم يا للذئـاب ، اذا تملكها النهـم
هذا الاخاء ، وذي المساواة التـي رفعت قرنـا بندهـا بين الامم
لا تبتئس يا شعب من بلـواك ان طالت ، ولا تيأس اذا الليل ادلهم
لا مجد فى الدنيا بلا عيـن مؤوقـة ، ولا كـف مضرجة بـدم
سل (مصر والاسماعلية) عن رجال الانجليز عن القناة ، سل الهرم
سل (ليبيا) تخبرك عن (باروتهـا الغازي امير السيف فيها والقلم
تخبرك عن (مختارها) البطل الشهيـد ، بموته بعث البلاد من العدم
و (المغرب الاقصى) ، وهل تنسى مواقفه ، اذا رهج الملمات اضطرم
واسأل بلادك عن مواقف (عبد القادر) الابي ، وكيف ذاد عن الحرم
سل سوريا تخبرك عن (بردى) غداة الثورة الشعواء كيف جرى بدم
سل كل شبر فى تراب العرب يـ شعب الجزائر فهو يزخر بالحكم
يخبرك ان المجد لم يفتكه حتى جرت فيه الدما مثل الديم
سل كل جيران ايا شعب الجزائر انـا جسم اذا خطب الم
(الاطلس) الجبار ، فى ارض الجزائر ، لو شكا الما ، لحس الهرم
اودوت الطلقات فى (اوراس) كان لها صداها فى العراق وفى الشام
سل كل شبر ، ان فى تاريخه بعض العزا عما تقاسي من الم
ولم التألم يا بني شعبي ، وان النصر يرقبكم وشيكا من امم
لا تيأسوا من غمرة ، فستنجلي ببلائكم وستنقضي تلك الغمم
فغدا نحيي فى السهول جيوشنا والنصر خفاق عليها والعلم
والشعب فى فرح ، بنوه بكل شبر فى الجزائر يصرخون بملء فم :
تحيا الجزائر حرة عربية شامخة بالانف ، ما بين الامم



شكسبير

للشاعر الكبير الأستاذ: بولس سلامة

شكسبير ! وطالما التفت الدهـ … ـر الى صرح مجده غير سال
رائعات البيان من اي قطر … في البرايا ، لشكسبير أهالي
فهو والشاعر المخلد « غوتي » … توأما حلبة ، وصنوا مجال
لو خلا الشعر منهما لتعرى … او تلظى من فقره لمثال
شاعر الانكليز كل جمال … جنب ما صفته خوادع آل
تلعات بجانب « الحملايا » … او كلاء ازاء روض جمال
امهر الغائصين في لجج النفس ، … وغمر الطباع والاحوال
ليس اشخاصك الحرار بأصنام … تتيح الازميل للمثال
ليس في طبعك التعسف والنحت … فصقل الصخور المثقال
انت خلق وجدة وحياة … ورحيق من طيب سلسال
طبعك الفيض مثلما يهدر النهر ، … وسمو البخور نحو الاعالي
لتناجيك ربة الشعر جيري … هي ام انت ملزم بابتهال
بطل الشعر منذ لاح روى … عبقري في خاطر الآزال
قد فتحت الدنيا مسارح تروى … عظمات الشقاق والابطال
« روميو » كل عاشق صرعته … عين « جليات » او قلى العذال
ما دفنت الابطال الا لتحييهم ، … فدفن الجمال بعث جمال
خابىء الكنز بعد ان يعرض الدر ، … يمد الاذهان في بلبال
فتراها وقد سباها رواء … ابد الدهر في هوى واشتغال

سيد الشعر سدت في فلك الحسن ،   وامعنت في جواء الخيال
فرددت العيون رمداء حسرى   لازدحام الرؤى ؛ وبعد المنال
خاطرات مثل المحيطات عمقا   مثل آفاقها قصي اشتمال
مثل اصدائها انتشار دوى   مثل مرجانها سخاء نوال
حار فيك التاريخ هل شكسبير   واحد أم توابغ من رجال ؟
هكذا تصبح الكواكب في الجو ،   مدارا لمرصد وسؤال
ومتى افرغ المجال عظيم   لاتقل راح ضوء ؛ للزوال
موته بدء مجده ؛ ومحاق البدر ،   ايذان عتمة بهلال
حين يمضي حصاده ؛ وبروق الجو   من ثقل غيمة وظلال
تستضيء الدنيا به وتواليه ،   ويغدو منارة الانسال
ربما عاش تاعسا من ابناء   دائبا في توجع والتكال
حين يحظى بالطيبات خسيس   ويدين النعيم للارذال
واعتلال الدنيا ؛ على عالم ثان   دليل ، او مطلع استدلال
عالم ينصف النفوس فلا يبقى   كمقدار شعرة في اختلال
شكسبير اعتل الخلود وظل   بجناحيه مسرح الاجيال

امثـــال

لا تحلم بحية وراء الافق . . . والريحان يتفتح تحت نافذتك

مثل انجليزي

لا تتبرم بالجليد المتراكم على عتبة جارك قبل ان تزيل ما تراكم على بابك أولا

مثل صيني

ذلك الذي يذهب الى القانون شاكيا ضياع شاته . . . انه سوف يفقد بقرته ايضا .

مثل اسباني

خيالك في قلبي عقيم حقيقة

لشاعر الحمراء المرحوم
محمد بن ابراهيم

تصلنا من حين لآخر قصائد رائعة للشاعر الاستاذ محمد بن ابراهيم، ونحن اذ نشكر اصدقاء الفقيد على ما يوافوننا به من هذه الاشعار ، نرجو منهم ـ ومن كل من لديه انتاج لشاعرنا المبدع ـ مواصلة القيام بهذا العمل الجليل تحية لذكرى فقيدنا محمد بن ابراهيم وخدمة للادب المغربي .

دعوة الحق

خضوعا ومثلي بالخضوع اخو فخر — لمن امره قد اوجد البحر في البحر
لقد نلت عزا اذ وقفت بضفتي — فلله من بحر يطل على بحر
بل هي ليست وقفة بي وانما — تعالك قد قبلتها بفم النحر
واعجب ما ابصرت منك ابتسامة — كانك مني قد وقفت على سر
كانك تدري انني جئت حاكيا — لبعض صفات منك جلت عن الحصر
تلاطمت الامواج في كانها — تمثل كفا منك في الجود والبر
ترقرق ماءي مثلما انت ناظر — ترقرق ماء البشر في وجهك الدري
اذا انطبعت زهر النجوم بداخلي — فمنك بها في الحسن ابسم عن ثغر
شعاع جبين منك لا استطيعه — سوى ان يكن قرص الغزالة في صدري
اذا جعد الريح العليل اسرتي — فمولاي في امر يدبر عن فكر
وما شفق بعد الغروب بلونه — يظلل افقي غير راياتك الحمر
وان سدل الليل البهيم رداءه — علي وصار الرعب من منظري يسري
فاني احكي غضبة مضرية — ترى منك احيانا فانظر عن شزر
قد اتسعت مني وحقك ساحة — تحاول ان تحكيك في سعة الصدر
وفي حياة للانام وضدها — كمثلك يا مولاي في النهي والامر
وكل الاولى حولي تراهم تجمعوا — فانهم خدام امرك عن يسر (1)
وان كبير القوم اصغر خادم — لديك وهاذي عنده غاية الفخر (2)
وبين يدي مولاي ما هو واقف — رضاك مناه مخلص السر والجهر(3)

---

1) يشير الى قبائل كندافة
2 ـ 3) يشير الى قائد كندافة ـ محمد بن ابراهيم الجندافي

واخلاصه يبــدو اليـك مجسمــــا   كساه سرورا حلة الحمد والشكــر
خيالــك في قلبــي مقيــم حقيقــــة   وان رمت تصديقي اطل على قمــري
فما حيلتي ان اقفرت عنه مهجتـــي   وخلفني اصلي سعيرا من الهجــــر
ساسكب دمعي فوق صدري لاجلـه   وليـس بكاف سكب دمعي على صدري
ويا ليت شعري والمنى قلما وفـــت   ايطفؤ مائي ما بقلبي من الحــــــر

ولا تعتقد يا سامعـــي بـانتـــــي   ساحكيه في شتى محاسنــه الغــــر
فكم بين فيضي في انتفاع وفيضــــه   اجزر بلا مد كمد بـــلا جـــزر ؟
لكم بين بحر موقف الفيض في الثرى   وبحر على وجه الثرى نفعه يجــري
وكم بين بحر من مياه تلاطمــــت   وبحر التقى والجود والعلم والبــــر
وكم بين ثاو في الفـــلاة بمهمـــــه   ومن جرذيل العز في الحلل الخضــر
لذلك حسبي من صفاتـه بعضهــــا   وليـس اخو قل يوازي اخـا كثــــر

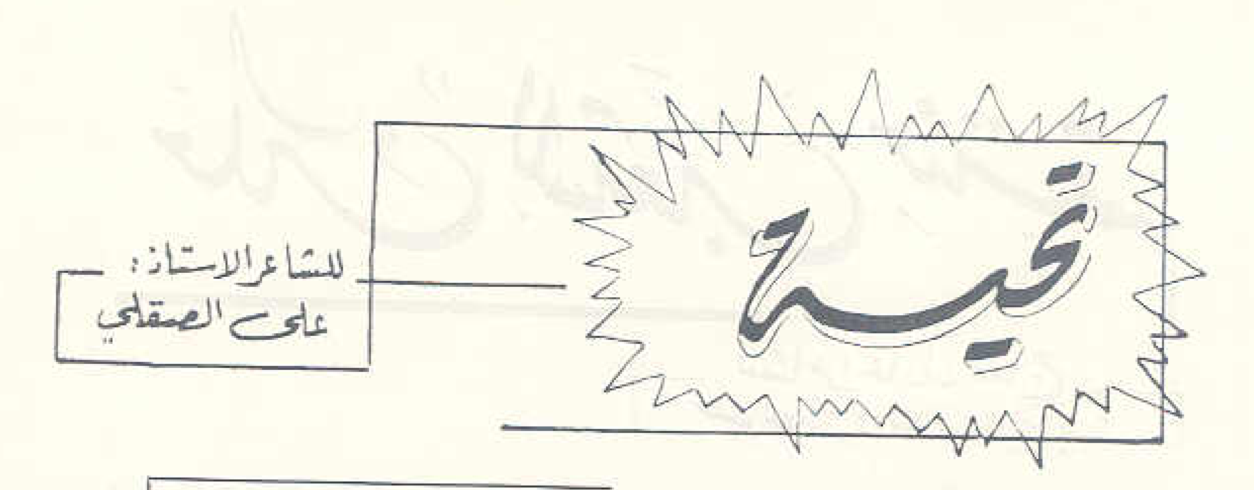
رايت ملوك الارض شرقا ومغربـــا   واصبحت منهم في العيان على خبــر
هم مثل شهر الصــوم عزا وانمــــا   محمد فيما بينهـــم ليلة القـــــدر
ولـم ار محبوبـا مهابـا كمثلـــــه   تالق وجهـا بالمهـابـة والبشــــر
فينعش من يلقاه طلـــق جبينـــــه   كما تنعش الازهار من طيب القطــر
تزود بالتقـــوى وطاعـــة ربــــه   وتقوى الاعلى افضل الزاد في العمــر
ولله من روح يفـــاوح لطفهــــــا   نسيما على ورد الرياض لما يســري
حصيف النهي ان يدج ليل ملمـــة   ترى منه وجه الراي يسفر عن بـدر
سماحمة تزهى بلطـــف شمائـــل   كما الهضبة الشماء تفتر عن زهـــر
سليل ملوك من ملـــوك اشـــاوس   فهم قر طرف المجد والقدر والذكــر
وهيهات يمضي الشعر منه محاسنا   ولو انني افنيت في مدحه شعـــري
ودونكها من شاعر لـــك مخلـــص   اخ اليسر في شهر وان كان ذا عسر
نعم ليـس ذا عسر وان كان معســرا   وليس بذي يسر اذا كـان ذا يســـر
اذا هزت الاقلام في الطرس عطفهـا   براحته تغني عن البيض والسمــــر
وليس بشعر ما انا بــه زاخـــــر   ولكنه ذوب العواطـف في الشعــــر
وعن عجل جاءتك من فرط شوقهـا   ولكن بخد من حيائـه محمــــــر
فان صادفت منك القبول تفضـــلا   فــذاك والا فالكريـــم اخو عـذر

ملك للشعب منتقم

للشاعر: عادل غداج
عضو البعثة الثقافية اللبنانية

قصيدة رفعت لمقام صاحب الجلالة سيدي محمد الخامس ايده الله بمناسبة عيد العرش المجيد .

العيد اقبل فالزينات تنتظم ... والشعب ماج فصدر الارض يضطرم
من فرط ما ازدحموا لم يهو واحدهم ... للارض قط ولو زلت به القدم
تلقى الهتاف يصم السمع من صخب ... « عاش المليك » فكاد الجو ينثلم
والجيش اروع ما يبدو لناظرنا ... فالنطق يعجز عن وصف كما القلم
يختال تحت بنود زمزمت طربا ... قد زانها بعلاها نجمة ودم
جيش الهلال ولي العهد قائد ، ... اذ ما تراه جيوش الغدر تنهزم
يحمي البلاد ويفدي العرش والحنا ... ان ما تجهم ثغر الموت يبتسم
تلك المباهج عمت كل سكرة ... لم تخل اودية منها ولا اكم
حتى تخال بان المغرب انصهرا ... أوتار معزقة افراحه النغم
الكل يضمر حبا للمليك فلا ... من لا يموت فدى عرش هو الحرم
لا غرو أن يهبوا للعرش انفسهم ... اذ ان صاحبه للشعب منتقم
ذاك الذي شمم الاوطان غايته ... لا صعب يقعده عنها ولا سقم
تلك الحياة تراها لا لذيذ بها ... ان لم تكن ابدا بالصعب تصطدم
ليس الملوك سواء فى مراتبهم ... هيهات ان يتساوى الخلق ان حكموا
لا الغرب يملك أشباها له ابدا ... فى الحاكمين ولا عرب ولا عجم
جل الملوك بيوت النحل فى ضمة ... اذ يذكرون ويبدو بينها علم
يا صاح فهو ملاذ الشعب عن ثقة ... وهو الضياء اذا حامت به الظلم
حرب يقض على الطغيان مضجعه ... بات العدو له بالحقد يحتدم
القى عليه دروسا ما تذوقها ... حتى تخاذل يكوى قلبه الندم
هيهات من ملك فى الكون يعد له ... من اين يوجد شخص كله عظم



اقام حضرة صاحب السمو الملكي ولي العهد الامير مولاي الحسن رئيس اركان الحرب العامة للقوات الملكية المسلحة زوال يوم الثلاثاء سابع عشر نونبر الفارط غذاء بفندق منارة حسان تكريما لوفد علماء الآثار ، وقد تفضل سموه فدعا لحضور هذه الحفلة طائفة من رجال الفكر والقلم كان من بينهم الشاعر الرفيق الاستاذ علي الصقلي .

وباقتراح من سمو الامير مولاي الحسن، نظم الشاعر الصقلي — أثناء فترة تناول المدعوين طعام الغذاء — القطعة التالية تحية احتفاء وتكريم لهؤلاء العلماء .

دعوة الحق

معشر الوافدين من وطن العر — ب ، تحايا سنية وسلاما
ان هذي بلادكم يزدهيها — ان تحلوا بها ضيوفا كراما
واقدي الشرق انتم في حماها — كأعز البنين منها مقاما
قد رجعتم بنا الى مجدنا السا — لف نختال في سناه عظاما
وبعثتم من مرقد الدهر آثا — را بها نحن في الورى نتسامى
فجلوتم عظائما سوف تبقى — في سجل الخلود تسبي الاناما
ونضوتم ثوب العفاء عن المجـ — ـد الذي كاد يستحيل ركاما

ايها الوافدون طابت مساعيـ — ـكم ، وطبتم اجلة اعلاما
هذه منة لكم ليست تنسى — سوف نرعى حقوقها والذماما
فاليكم شكرا جزيلا من المغـ — ـرب شعبا ودولة واماما

قصة مغربية

رقصة الحظ...

للأستاذ محمد مهدي السعداني



اعتاد قضاء عطلته الاسبوعية خارج العاصمة، ولم تكد الساعة تشير الى الثانية عشرة، ولم تكد تمر على مغادرته لمكتبه سوى بضع دقائق، حتى كان يشق طريقه نحو احب مدينة الى نفسه.

كانت السيارة تنهب الطريق تحت سماء المغرب الصافية الاديم، وشمس مارس الدافئة المنعشة، وكان تشاؤمه وانفراده يحرضانه على الاستعجال للتخلص من وحشة الالام التي تضنيه، ولربح اكثر ما يمكن من الثواني، كان اللحظة عنده تساوي الملايين!

وفي غمرة هذا السباق مع الزمن عاودته فكرة طالما استبدت بعقله وقلبه، وطالما حاول اعتبارها وهما عابرا، وطالما حاربها بكل سلاح.

فكرة مزمنة قاتمة كانت تعاوده بين حين وآخر وتجعله يعيش تحت عذابها المرير، عذاب انتظار ساعة رهيبة ستعصف بحياته خلالها اقسى وافظع فاجعة ستحل بانسان!

ولم يحارب هذه الفكرة السوداء خوفا من الموت ولا حبا في البقاء، وانما كان يقلقه ان يغادر هذا العالم قبل قيامه باداء رسالته في الحياة:

كان يعشق الحرية منذ صباه ويستميت في الدفاع عنها متحملا في سبيلها اشد انواع الغربة والتعسف والاضطهاد.

وكان ايمانه بحرية العقيدة يبلغ درجة قصوى من المتانة والقوة، وازدراؤه للمساومة فيها يثير في نفسه غضبا من الحدة والعنف بمكان.

ومما زاد هذا الايمان قوة، وذلك الحب رسوخا ماراه في بلاده من جبروت المستعمرين، وما يراه – خلال هذه الفترة الحاسمة – من تطاول على الفضيلة والعدالة والمبادىء السامية، واستعمال معاول الهدم لمحاولة القضاء على اعز ما نملك من مثل عليا، واعظم ماتمتاز به انسانيتنا من حرية وعقائد ومقدسات.

ولم يكن ليستطيع ايقاف ثورة نفسه كلما راى صولات للخداع والنفاق، وجولات للانتهاز والاقطاع، وضربات قاسية تكال تباعا للاحرار، وجرائم شنعاء يذهب ضحيتها ابطال مناضلون وشخصيات مثالية من خير ما انجب وطننا من ابناء.

وكم كان يرى بأن اسعد الايام واخلدهـا لهـي تلك التي يقضيها المواطن خادما لبني قومه ، مدافعـا عن الحرية والديموقراطية والكرامة ، ومقاوما الظلـم والظالمين مهما كان مصدر هذا الظلم ، ومهمـا كـانت قـوة هـؤلاء الظالمين .

ومن اجل اداء هذه الرسالة كان يأكـل ليعيش ويقلق من اية فكرة تجسم له مغادرة هـذا العالـم في موكب حزين عقب مأساة مهولة فاصلة ، وكان يقـاوم بكل سلاح تلك الفكرة المزمنة الـسوداء ويحاول ازاحة كابوسـها عنه ، وطرد شبحها عن مخيلته كلما عاودته ، وكلما حاولت الاستـبـداد بعقلـه وقلبـه وتعريضـه لهـواجس الاوهـــام .

ولم يلبث ان انقطع حبل هذا التفكير وزال عنه هذا التشاؤم عندما شعر باقترابه من مكان آهل بالـسكان ، وخفف من دوران العجلات ، وضاعف هذا التخفيف عند ما لمح الرقم الـستين داخل دائرة عريضة حمراء ، ودقق الانتباه عندما قرأ بوضوح : ((**بوزنيقـة**)) .

ولم يكد يعبر هذه القرية الصغيـرة ، ولم يكـد يلمح علامة انتهاء تحديد السرعة ، حتى عاوده جنون الانطـلاق .

واشتـد دوران المحـرك ، واطلقت السيـارة عجلاتها للريح ، واخذت تعدو وتعدو كأنهـا منهمكة في خوض غمار سباق دولي حاسم للفوز ببطولة العالم !

ولم يكتب لـسرعته هذه ان تطول ، ولا ان يتجاوز عقرب العداد الرقم الاربعين بعد المائة ، فقد شعر فجأة بوجوده وجها لوجه امام منعرج خطير !

وزاغ عن الجادة ، وهاله ما رآه امامه من عمود كهربائي سميك ، ومن صخرة مجوفة مسننة ، ومـن شجـرة قوية مسـنة ، وكادت مقلتـاه تقفزان مــن محجريهما ، وكـاد الدم يجمد في شرايينـه ، وكـاد صوابه يضيع ، وكادت اعصابه تصاب بانهيـار كبير !

وبدافع احساس غامض ابعد قدمه اليمنى عـن موزع الوقود ، وبانتفاضة رأسه انتفاضة حادة خاطفة عاد اليه وعيه ، فامسك حلقة القيادة بيدين من حديد ، وبذل كل ما في طاقته من جهد للتخفيف من حــدة الاضطراب واختلال التوازن .

وتمتعت الـسيـارة بكامـل حريتها في الاندفاع ، وانطلقت كالصاروخ ، وكان من العبث والجنون القيام باية محاولة لايقافها !

وفي اقل من لمح البصـر ، وبسرعة خارقة بلغت الجسـر ، وحلقت في الفضاء ، مارة باعالي الاشجار ، وهوت من علو شاهـق الى قعر الوادي الـسحيق ، ورددت الروابي الدوي الهائل لانفجار العجلات !

لقد التقى مع الموت في تلك اللحظات المخيفـة ، وانتظر بهلع كبير ضربة القدر القاسمة ورسم ريشته المبدعة الصورة المنتظرة لنهاية حياته .

كان ينتظر ببالغ اليقين ان يدك الاصطدام عظامه ويحيلها الى رميم ، وان تخترق نصال الزجاج صـدره وتفصل رأسه عن جسـده ، وترسلـه توا الى عالــم الفناء .

كان ينتظر ببالغ اليقين انفجار مستودع الوقود ، وتصاعد النيران واحتراقه داخل الحديد الملتحم دون ان يجد سبيلا للخلاص .

كان ينتظر ببالغ اليقين الارتطام العنيف بصخرة صلبة شامخة تجعل منه اشلاء متطايرة في الفضاء او اجزاء متناثرة فوق صفحة الماء !

كل هذه الصور المثيـرة شاهدها اثناء الفتـرة القصيرة المفزعة التي قضاها بين انحرافه عن الطريق وبين القذف به وبسيارته الـى اسفل الوادي ، فترة الرعب القاتل الذي كان وحده كافيا لاخماد انفاسـه قبل ان يعلم ما سيؤول اليه من مصير !

وشاءت عناية السماء ان تتبخر كل هذه الاوهام وتذهب ادراج الرياح ، وشاءت رحمة الله ان تدرك عبدا ضعيفا عندما ساقت السيارة بعيدة عن كــل العوارض المميتة والقت بها بيـن احضـان الحصـى والاوحال ، وعندما جعلت صاحبنا يهتز في مكانــه اهتزازا عنيفا دون ان يصطدم بشيء ، ودون ان يصاب باي اذى ، ودون ان يمس ولو بجرح بسـيط !

ولم يصدق انه لا زال على قيد الحياة عند مـا امتدت يده لفتح الباب ، ولا عندما استطاع التسلـل والاستواء شبه واقف فوق سطح مقدمة السيارة ، ولا عندما قفز الى ضفة النهير ليتجنب كل ابتلال !

ولم يصدق بان الدماء لا زالت تجري دافئة في عروقه ، وبان القدر كان رحيما بشبابه وحريصا على مساعدته لاداء رسالته في الحياة عندما تحركت قدماه واخذ يتسلق تلك المرتفعات للوصول الى ذلك البناء الضخم المنتصب امامه ، الى ذلك الجسر الشاهق الذي حلق من مطاره منذ لحظات !

وبعد عشر دقائق وصل الى هناك فلم ير اي انسان ، بل وجد نفسه عند نهاية منعطف مائل طويل ووجد نفسه على بعد مائتيمتر من نقطة بداية التدهور !

والتفت خلفه ، واطلق بصره نحو عمق يتجاوز العشرين مترا ، فراى سيارته راسخة هناك وكانها صخرة رمادية ملساء من صخور الوادي العتيقة ! وراى المياه المندفعة تنفلت من امامها وخلفها لتواصل جريانها غير عابئة بما يقع في العالم من احداث !

وابتعد عن الجسر ، واستانف سيره بخطوات وئيدة حائرة ، وشعر بالفارق الكبير بين انطلاقه القريب الخاطف ، وبين هاته الحركات البطيئة التي تقوم بها قدماه لطي الطريق !

وانتهى من قطع فرسخين كاملين عندما توقف عند النصب الكيلومتري الثامن بعد الاربعين ، واخذ يلوح بيمينه للسيارات المارة كالبرق ، دون ان يتفضل اي واحد من اربابها بالوقوف ، كانهم جميعهم رجال مطافيء يسارعون لاخماد ما استفحل من لهيب النيران !

ولم تنفتح شفتاه عن كلمة واحدة بعد ما اخذ مكانه بمقعد سيارة نقل عمومية ، وانما كان مستغرقا في تفكير متواصل الحلقات ، التفكير في تلك النهاية التي تنسج الاطماع والاغراض حجابا سميكا بينها وبين الكثيرين فيندفعون في طريق الاستبداد والطغيان ليذيقوا اخوانهم الوانا من الموت ، والوانا من القمع والوانا من العذاب ، التفكير في تلك اللمحة الفاصلة بين عالمين ، في تلك الثواني المعدودة التي تحول الانسان من القوة الطافحة الى جثة هامدة ، فاقدة كل حركة ، وفاقدة كل وعي ، ومحاطة بسكون ابدي مهيب .

وفي صباح الغد غادر الفندق ، وسار في شوارع **الدار البيضاء** ، وبهره كل شيء فيها ، ودعاه الكثير مما شاهد الى التأمل العميق في الماهيتين الحقيقيتين للوجود وما بعد الوجود ، وجعل العشرات من علامات الاستفهام والتعجب ترتسم على صفحةوجهه ، كانه قدم لهذا العالم زوال امس ، وكانه قدم اليه يافعا قادرا على خوض معركة البقاء ، معركة دنيانا الحافلة بمختلف ضروب الصراع !

وطرق باب منزل اخ عزيز ، وكان العناق طويلا ، - كعناق شقيقين ابعدتهما عن بعضهما ظروف قاهرة مدة من الزمن - واعترت الدهشة رفيقه في العقيدة والكفاح عند سماعه لقصة حادثه الغريب !

.. وامتطيا معا سيارة خاصة ، وبعدما اخذ مكان القيادة لم يضغط هذه المرة بعنف على موزع الوقود - رغم براعته في السياقة ورغم وجوده في طريق مستقيمة خاصة بالذهاب - وانما كان منطلقا باعتدال ظاهر !

ولم يلبث هذا الاعتدال ان احدث بعض التضايق في نفس رفيقه ، ولم يلبث صاحبنا ان شعر بهذا التضايق واراد تخفيفه بهذه العبارة : « يقولون : خير لك ان تصل الى هدفك متاخرا من ان تصل الى العالم المجهول قبل الاوان » ، ونظر كل منهما الى الآخر وارتسمت على شفاهيما معا ابتسامة تحمل اكثر من معنى .

ووصلا ورجال الانقاذ الى مكان الواقعة ، وجاءت شرطة الطريق ، وبدات السيارات تتوقف يمينا وشمالا ، وبدا اصحابها يخفون لمعرفة عدد الضحايا وللاستفسار عن سر الحادث ، كانهم يريدون ان يتخذوا منه عظة وعبرة في عالم السياقة والسيارات .

وعلت علامات الدهشة وجوههم حين علموا بعدم وجود اي ضحية ، وبان راكب السيارة الوحيد لم يصب باي سوء .

وكان من بين المتجمهرين مواطنون مغاربة وآخرون اجانب ، واصيبوا جميعهم بالكثير من الاستغراب ، واخذت اعينهم تنتقل في حيرة وشك بين الراكب السليم وبين السيارة القابعة عند قدمي ذلك الجسر العملاق .

وجعل شيخ مغربي حدا لهذه الحيرة ، ولهذا الشك ولذلك الشدوه عندما قال : « حقا انها لكرامة » ، ورد عليه مرافقه الشاب : « بل انها لمعجزة » !

واتجهوا نحوه واحاطوا به ليمطروه باسئلة مختلفة ولم يسعه الا ان يقص عليهم كيف تحول فجاة من سائر فوق بساط الارض الى محلق في الفضاء !

وكان كل المتجمهرين على جانب كبير من اللطف واللباقة ، كانوا يهنئونه بالنجاة ويتمنون له في حياته الجديدة اطيب المتمنيات .

ولقد خاطبه احد الفرنسيين عند مصافحته مهنئا: « يجب ان تجعل من نهار امس عيد لميلادك الثاني ، لقد رقص خلاله حظك رقصته التاريخية التي قلما يجود بها الدهر » .

وردد يوناني موجها حديثه الى كل الحاضرين : « لقد كان محقا في انطلاقه الكبير لانه كان على موعد من الخطورة والاهمية بمكان ، لقد كان موعدا مع الموت وشاءت ارادة السماء ان تجعل منه موعدا مع الحياة! »

وتوالت العبارات ، وتعددت التاويلات ، وكاد الاجماع يعتبر نجاته من موت محقق معجزة بعد ما شاهدوا الطريق التي سلكتها السيارة أثناء التدهور ، واثناء التحليق واثناء الاصطدام .

واستاذن المحيطين به بالانصراف عندما وقع بصره على امريكي منهمك في قياس المسافة الفاصلة بين نقطة اختلال التوازن ونقطة الوقوع ، وفي التقاط صور سينمائية للمنعرج وللجسر وللسلاسل الحديدية عند رفعها للسيارة من اعماق الوادي .

وبعد انتهاء عملية الانتشال ، ترك مكان القيادة لرفيقه ، وبدا المجتمهرون يتوجهون نحو سياراتهم زرافات ووحدانا .

وفي صباح الاثنين الباكر كان في طريقه الى **الرباط** ، واحس بقشعريرة تسري في جميع ذرات جسمه عند عبور الحافلة لذلك الجسر الذي شاهد منذ يومين حادثة تكاد لغرابتها تعد اسطورة من الاساطير !

واطرق قليلا مرددا في خاطره هذه الكلمات :

حقا انها لمعجزة ، ولكن المعجزة لا تقع الا مرة واحدة !

حقا انها **رقصة الحظ** ، ولكن قلما يجود الدهر بامثال هذه الرقصات !

ووصل الى مكتبه في الموعد الاداري المحدد ليستانف اعماله ونشاطه من جديد ، وليواصل اداء رسالته في الحياة ...

الحقائق الخالدة

ان اولئك الذين ياكلون لكي يعيشوا ، ويراعون العفاف ، ولا ينطقون الا للتعبير عن الحقائق الخالدة يتغلبون على كل العوائق .

حكمة هندية



نقد وتعليق
للاستاذ احمد بن المليح

في عنقي لهذه المجلة دين طالما تمنيت ان اقضيه، فلقد كانت تصلني على البعد، وفي طياتها نفحات من أدب الوطن الحبيب، وقبسات من فكره، وكنت دائما اشفق من أن تعصف بها الايام فتودي بها كما أودت بمثيلات لها من قبل، وما كان اشفاقي بسبب خشية العوز المادي عليها؛ ففي خيرات الاوقاف ضمان لها؛ وانما كان بسبب ان يتكاسل عنها حملة الاقلام فيغيض معينها.

وماأخذت أعدادها تتوارد حافلة بنور الدين وعصارة الفكر ولباب العاطفة حتى احتلت مكانها المرموق بين مثيلاتها الصادرة بلغة الضاد، واذا بالاشفاق الذي عليها في نفسي اتاه كذلك في نفوس الكثيرين من رجال الدين والفكر والادب في مشرق العروبة ومغربها.

واعتقد ان هذا الاشفاق هو الذي دعاني الى ان البي دعوة احد الافاضل المشرفين عليها حينما تقدم مني على استحياء لانقد العدد الماضي منها، وقد بدا على ملامحه اشفاق من اجيبه بعذر من هذه الاعذار التي يختلقها في مثل هذه المناسبات من يريد التملص من اداء «ضريبة الفكر».

واعتقادي ان السنة التي درجت عليها «**دعوة الحق**» في اقامة ميزان النقد لكل عدد من اعدادها، من شأنها ان تشحذ القرائح، وتصقل المواهب، وتكشف عن القيم. وجدوى ذلك على ازدهار النتاج الفكري والادبي – في مثل بيئتنا الادبية المتكاسلة – شيء لا ريب فيه.

واستهدافا لهذا الغرض، نتابع بعض موضوعات العدد الماضي:

كانت «**كلمة العدد**» **حول الادب والمناسبة**، وقد كتبت بمناسبة عيد العرش، وحاول كاتبها ان يقرر حقيقة لا نجادله فيها، وهي ان الادب اذا كان تعبيرا صادقا عن الحياة لا يضيره اذا كان قد قيل بمناسبة من المناسبات.

وقد كان «ادب المناسبة» في تاريخ النقد العربي الحديث هدف نقد عنيف في مطلع هذا القرن، عندما كانت حركة النقد في عنفوانها، ولا شك أن هذه الحركة التي وجهت ضد «ادب المناسبات» قد اتت ثمرتها في تقويم الادب، وتحديد مفهومه الحي، وفي فتح آفاق جديدة امام الادباء.

ومع ذلك فما يزال بعض أدبائنا لا ينتج الا اذا كانت هناك «مناسبة»، فاذا لم تكن اصابه العقم، او استكان الى نوم عميق في انتظار مناسبة قادمة.

واغلب آداب المناسبة لا يحتوي على اي مضمون حي، ويكفي المرء أن يستعرض النتاج الادبي لمناسبة من المناسبات ليجد ان التكرار الممل، والقوالب الموروثة، والصور المعادة، هي الظاهرة الملحوظة في هذا النوع من الادب.

وفي مقال «**نظرة الاسلام العامة الى الوجود وأثرها في الحضارة**» يستعرض الاستاذ محمد المبارك وصف القرآن للطبيعة والوجود، ويحاول أن يستخلص من الآيات التي جمعها بعناية وحذق نظرة الاسلام الى الوجود، والكون، والحياة، والتعريف بعالمي الشهادة والغيب.

والجهد المبذول في هذا البحث القيم ينم عن مدى تشبث الكاتب بعقيدته الاسلامية، واجتهاده في تلمس آثارها في سير الحضارة الانسانية منذ انبعاث الاسلام

الى الآن ، وعن يقينه الصادق فى استمرار هذا الاثر على تعاقب الآماد .

وجماع نظرة الاسلام الى الطبيعة ــ كما يستخلصها الاستاذ الجليل كاتب المقال ــ هو انها اثر من آثار الله جل علاه ، سخرها للانسان ، لينتفع بها ويستخرج كنوزها ، دون ان يتعبدها او يرهبها، وبذلك تحرر الانسان ــ عند ما آمن بوحدانية الله ــ من الخوف من الطبيعة ، فانفتح امامه مجال السيطرة عليها كما انفتح امامه مجال الاختراع ، واستنباط القوانين التي تحكم الكون وتمهد للانسان أن يكون خليفة الله فى الارض .

ثم يربط عالمه هذا الذي سخره له الله ، بعالم الغيب الذي سيؤول اليه «حيث تتجلى التبعة الانسانية فى اجلى صورها وادق آثارها » .

ولقد غيرت نظرة الاسلام هذه وجه التاريخ حيث تميزت بواقعيتها وفعاليتها فى نفس الوقت ، فهي ليست نظرة مادية صرفا ولا روحية صرفا ، ولكنها تتميز عن نظرة الماديين والروحيين فى آن واحد .

انها نظرة متحررة من خرافة العصور السالفة وخيالات المذاهب العقلية والفلسفية ، وآثارها فى سلوك الانسان وسير الحضارة لا تنكر .

وكم كنت اود لو اضاف الاستاذ المبارك الى الجهد الذي بذله فى تنسيق نظرة الاسلام الى الوجود فى عالم الشهادة جهدا آخر فى توضيح عالم الغيب وعلاقة الانسان به ، والاثر الذي يعكسه الايمان بهذا العالم فى سلوك الانسان وعمله ، لتستكمل بذلك نظرة الاسلام الى الكون بصفة شاملة .

وفى مقال « التربية الدينية أساس فلاح الامة » استعراض لاثر العقيدة الدينية فى نهضة الامة العربية وازدهارها . وأثر العقائد سواء كانت شرعية أو وضعية فى قيام الدول وبناء الامم شيء لا ينكر ، وقد اوجز فيه القول كاتب المقال الفاضل ، واكتفى بان تخلص منه الى الدعوة لاقامة الصلاة بوصفها عماد الدين ، فى معاهد التعليم المغربية ، وهي دعوة يشكر عليها ، لما فيها من تقوية الوازع الديني ، وتعويد ناشئتنا على المبادىء الاسلامية ، وان كنت لا احبذ طريقة استعمال القوة فى هذا الشان ، وافضل الاستعاضة عنها بالاقناع وضرب المثل الصالح .

وفى مقال الاستاذ محمد بن تاويت « تأثر الادب العربي بالفارسية » يخالف الكاتب استاذنا الدكتور طه حسين فى رايه الذي يقول : « ان الادب العربي لم يتأثر بالفارسية بمقدار ما تأثر باليونانية » .

ويبني مخالفته على ملاحظتين : الاولى يحاول أن يثبت فيها أن الادب العربي كان فى تأثره بالفارسية **أسبق وامتن** ، والثانية الى اثبات أن الادب الفارسي عندما تجدد بعد الاسلام لم يقتصر على الشعر ، وانما تجاوزه الى النثر الفني كما أنه لم يقتصر على أوزان الشعر العربية بل استنبط اوزانا أخرى .

وتعقيب الاستاذ ابن تاويت مركز جدا ، فى حين ان الموضوع يستدعي استفاضة فى البحث ، والمسالة فى نظري ليست مسالة الالفاظ الفارسية التي دخلت الى العربية ، فليست هذه وحدها المقياس الذي نعرف به مدى تأثر الادب العربي بالفارسية ، بالنسبة لتأثره باليونانية ، ولو استعملنا هذا المقياس لجردنا الفارسية من نصف معجمها على الاقل ، اذ يرجع فى أصله الى العربية ، ولكن المسألة أوسع من ذلك بكثير ، وتتجلى فى تأثير التفكير والاسلوب والاخيلة والصياغة وسائر مناحي العقل والعاطفة والتعبير عنهما .

وقد تضمنت الملاحظة الاولى للاستاذ ابن تاويت شقين : **أن تأثير الفارسية فى الادب العربي كان أسبق،** وقد حاول ان يقيم الدليل على ذلك بما ورد من الفاظ فارسية لدى بعض شعراء الجاهلية، وذلك غير كاف لان الادب الجاهلي قد ضاع اكثره ، بل المسألة تتوقف على اثبات ان الاتصال بين الادبين العربي والفارسي كان اسبق من الاتصال بين الادبيين العربي واليوناني ، وهي مسالة لا يسهل الوصول اليها ، علاوة على ان التأثر ــ كما اوضحنا ــ لا يتمثل فى استعارة الالفاظ فحسب، وانما يتمثل فى الفكرة والاسلوب والخيال ، وهذا ما يسهل اثباته بالنسبة لتأثر الادب العربي باليونانية ، ويستطيع الباحث ان يجد له امثلة كثيرة فى شعر ابن الرومي وأبي تمام ونثر عبد الحميد الكاتب وأبي حيان التوحيدي وغيرهم .

اما الشق الثاني من الملاحظة الاولى ــ وهو **ان تأثر الادب العربي بالفارسية كان أمتن** ــ فقد مر عليه الكاتب مر الكرام ، ولم يوضح مظاهر هذه المتانة .

اما الملاحظة الثانية فلم يات عليها الكاتب بحجج مقنعة ، وهو لا يستطيع ان يكابر فى ان نهضة الفرس فى

الشعر الذي قلدوا فيه الشعر العربي بأوزانه وموضوعاته وقوافيه لا يمكن ان تقارن بنهضتهم في النثر . وما أدخلوه من تجديد بسيط في الاوزان لا يمكن ان يخرج شعراءهم عن عمود الشعر العربي .

كما أن نثرهم لا يقاس الى شعرهم ، ولا نستطيع من اجل ذلك ان نصفهم بالتبريز فيه .

والخلاصة ان الادب الفارسي نشأ في أحضان الادب العربي وتأثر به ، وبرز في ميدان الشعر ولم يبرز في ميدان النثر .

وان الادب العربي قد تأثر بالادب الفارسي ، ولكن حتى الآن لا نستطيع أن نقول ان هذا التأثر قد فاق تأثر الادب العربي بالادب اليوناني ، بالمعنى الواسع للادب الذي يشمل جميع مناحي الفكر والعاطفة .

وفي مقال الاستاذ محمد محيي الدين المشرفي « أثر الحرية في تربية الطفل » مقارنة بين ما دعاه « التربية التقليدية » و « التربية الحديثة » واثر كل منهما في تربية الطفل ؛ فبينما كانت الاولى تقسو على الطفل وتعامله بشدة تبلغ مبلغ القمع والكبت ، الامر الذي يطفىء فيه شعلة الحرية ويجعله ضعيف الارادة ضحل الشخصية ، اذا بالثانية تترك الحرية للطفل للتعبير عن ذاتيته وارادته ، وتكوين شخصيته المستقلة المتميزة .

وقد فسر الباحث كلا من الاتجاهين ، وأوضح اثر البيئة والظروف في كل منهما ، حيث ارجع التربية التقليدية الى عوامل الاقطاعية والاستقراطية التي كانت سائدة في العصور القديمة والوسطى ، كما ارجع التربية الحديثة الى سيادة النظم الديمقراطية وانتشارها وايمان الناس بها ، الامر الذي انعكس اثره على معاملة الطفل فحرره من الشدة والقسوة ، وفسح لحريته المجال ، وجعل المربين يركزون اهتمامهم الاول على تهيئة الظروف له للخلق والابتكار وتفتح الشخصية

ثم يختم البحث بنظرة نقدية حول تطبيق مبدأ حرية الطفل في المدرسة وضرورة الملائمة بين بيئة الطفل داخل المدرسة وبيئته في المجتمع ، والتزام سياسة (الوسط) دون افراط ولا تفريط .

والملاحظة التي لي على هذا البحث المركز هي ملاحظة عامة توجه لمعظم باحثينا الذين يتناولون المقارنات بين العصور الوسطى والعصر الحديث بصفة عامة فيعممون احكامهم ، متناسين ان ازدهار الاسلام وترعرع حضارته انما كان في العصور الوسطى بالذات ، ولا ينكر ما اتى به الاسلام من انواع الابتكار العلمي والفكري والادبي والتربوي في هذه العصور ، وما كان له من أثر في تقدم البشرية وتحريرها .

وقد كنت اود قبل ان يرجع الباحث الفضل في الدعوة الى التربية الحديثة بالنسبة لحرية الطفل الى مونتاني وروسو ومونتسوري وغيرهم ان يلقي نظرة على تاريخ التربية في الاسلام ، اذن لوجد أن المفكرين المسلمين قد سبقوا الى ابتكار هذا المبدأ والمناداة به قبل قرون .

ويكفي ان يستعرض التربية عند محمد بن ابي زيد وعند القابسي ، وامثالهما من قدامى المسلمين الذين الفوا منذ قرون في آداب المعلمين والمتعلمين ليجد انهم قد سبقوا الى تقرير هذا المبدأ ، مبدأ حرية الطفل ومراعاة شخصيته الانسانية .

واني لانقل هنا هذا التحليل الرائع الذي يحلل به ابن خلدون في « المقدمة » أثر الشدة في تعليم الطفل ، ليدرك الباحث الفاضل مصداق ما نقول :

« وان ارهاف الحد في التعليم مضر بالمتعلم في اصاغر الولد ، لانه من سوء الملكة ، ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك او الخدم سطا به القهر ، وضيق على النفس في انبساطها ، وذهب بنشاطها، ودعاه الى الكسل، وحمله على الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الايدي بالقهر عليه ، وعلمه المكر والخديعة لذلك ، وصارت له هذه عادة وخلقا ، وفسدت معاني الانسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدن ، وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله ، وصار عيالا على غيره في ذلك ، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل ، فانقبضت عن غايتها ومدى انسانيتها ،فارتكس وعاد في أسفل السافلين . . . الخ » .

هذا مذهب من مذاهب مفكرينا في التربية بالنسبة لحرية الطفل ، افلا يكفي هذا وحده لان يجعل لصاحبه مكانا في تاريخ التربية ؟ فكيف اذا قلنا انه هو نفسه مسبوق بهذه الافكار « الحديثة » من غيره التربويين العرب والمسلمين ؟ .

صحيح أن التفكير والابتكار حق مشاع بين سائر البشر ، وقد اسهمت فيه سائر امم الدنيا بسهم وافر او ضئيل ، ولكن معرفتنا ـ وخصوصا معرفة المربين منا ـ بابتكارات امتنا ، يقوي فينا روح الابتكار ، ويبعث ناشئتنا على الاعتزاز بماضينا الحافل ، ولا يجعلها غريبة في هذا المجال .

وفي مقال « **المسجد خلية اجتماعية** » يعرض الاخ الاستاذ عبد الكريم غلاب تجربة ناجحة تمت في بيروت، جعلت من المسجد ، علاوة على مهمته الدينية ، خلية اجتماعية ، تسهم بنصيب موفور ، في خدمة المجتمع الاسلامي ، ويتمنى ان يحذو المغرب حذو هذه التجربة التي برهنت على نجاحها في بيروت .

والاقتراح جدير بالعناية ؛ فقد كان المسجد وما يزال هو الخلية الاولى التي التأم فيها شمل المجتمع الاسلامي ، وقد كان المسلمون عندما يمصرون الامصار ، ويخططون المدن ، يجعلون المسجد هو مركز الدائرة ، تحيط به الاحياء الاسلامية ، وترتبط به ، وعنه تتفرع المدينة وتتوزع البيوت ، وكان المسجد في نشأة الاسلام وبعدها بكثير ، مركزا للحكومة الاسلامية ، فيه أو في قريب منه تقام الاحكام ، وترعى مصالح الخلافة ، كما كان في كثير من الاحيان مقرا لخزينة الدولة ذاتها .

وبقي بعد هذا على وزارة الاوقاف ان تبرز هذه التجربة الحية الى حيز الوجود .

وفي مقال « **الى الشبيبة المغربية** » نصيحة حارة صادقة قد جاءتنا من مفكر عميق غريب عنا ، لقد اهتزت لها نفسي ، واحب ان الفت اليها نظر بعضكم «التائهين» عن انفسهم وحقيقتهم ، الذين دفعهم التيه الى ان يلتمسوها في عقائد ومذاهب لا تكشف لهم في نهاية الامر الا عن فراغ واي فراغ !

انني اصرخ مع الاستاذ بيير بوتي : « **ان السعيد من آمن بعقيدة رائعة ، وكان على دين كالدين الاسلامي الانساني الذي يحقق للشبيبة المغربية اعمق مطامحها وأسماها ، عقيدة يستمدون منها السر الذي يهييء لهم العمر الروحي المديد ، انها ينبوع الحياة المادية الصافية** » .

وفي البحث القيم الذي كتبه الاستاذ **فؤاد نجم عن « الحياة والخلق عند برجسون »** دراسة ستانية لمذهب التطور الخالق الذي ابتكره برجسون ، وهو عرض امين وواضح لاصول هذا المذهب ، الذي نلمح في تعبيراته واتجاهاته نوعا من فكرة «الحلول والاتحاد» التي نحاها بعض متصوفة الاسلام مثل محيي الدين بن عربي والحلاج .

وقيمة برجسون ليست في الغاية التي وصل اليها، بقدر ما هي في الاسلوب الذي سلكه لادراكها ؛ ذلك ان معرفة الغاية من الوجود ، بله معرفة الله لا سبيل اليها الا بالنبوة وارسال الرسل ، وستبقى تجربة «الغزالي» في هذا المجال فريدة في نوعها .

لقد حطم برجسون التفكير الميكانيكي وانقذ القيم التي اطاح بها المذهب المادي ، وبذلك فسح المجال امام «الروح» لتدرك سر الله ، بواسطة التجربة الشخصية ، و «الطرق الى الله ـ كما يقول ابن خلدون ـ عدد انفاس الخلائق » .

وفي مقال الاستاذ **الحسين وجاج «اين التعريب»** ومقال الاستاذ **احمد العدوي «التعليم الاسلامي ومشروع السنوات الخمس»** دعوة حارة طالما رددها المشفقون على استقلالنا ، دون ان تجد لها صدى . لقد طردنا الاستعمار من ارضنا ، ولكن بقي علينا ان نطرده من قلوبنا وافكارنا ؛ تلك هي الحقيقة التي يجب ان نؤمن بها .

ان الحماس لا ينقصنا لتعريب ادارتنا وتعليمنا وتوحيد مناهجنا الدراسية ، وستبقى نلوك الكلام في هذا الموضوع في انتظار تهييء الوسائل ؛ وستمضي السنوات تلو السنوات ثم نجد انفسنا ما زلنا في اول الطريق ، في حين ان الامر لا يتطلب الا البدء في العمل ولكن من سيقدم عليه ؟ ان الاحجام الذي تلقاه الاستجابة لهذه الدعوة يحملنا على القول بأننا امام مؤامرة !

وفي مقال **«البلاغة العربية بين الفن والفلسفة»** للاديب الحاج الحريزي خلاصة لتاريخ البلاغة العربية تعطي صورة مهزوزة عن نشأتها وتطورها ، وفي الاحكام التي أصدرها الباحث على اتجاهات كثير من مؤلفي علم البلاغة كثير من الابتسار . والموضوع ما يزال في حاجة الى الدراسة المتأنية لمدارس « فن القول » في الادب العربي ، وتتبع مراحل تطورها منذ ان « قننت العلوم » الى الآن ، ولا يغني في ذلك ارسال القول على عواهنه ، ووضع الحدود الفاصلة القاطعة بين المذاهب المختلفة في تعقيد « فن القول » وتعيين الدخيل منها والاصيل

بمجرد الاستناد الى بعض الظواهر الجزئية، وبخاصة اذا علمنا ان تاريخ فن القول يرتبط ارتباط وثيقا بتاريخ تدوين العلوم عند العرب، يتصل بمدى الاتصال الفكري الذي كان منذ القدم بين العرب وبين غيرهم من الامم مثل الفرس واليونان ، وبالاخص ، بعد اتساع الرقعة الاسلامية واحتضان الاسلام لكثير من الثقافات التي امتزجت به وامتزج بها ، وتاثرت به كما تاثر بها .

وفي ديوان « **دعوة الحق** » تضمن العدد يضع قصائد تدخل في « ادب المناسبة » الذي عرضنا له في مطلع هذا الاستعراض ، وهي تتميز بما تميز به هذا النوع من النتاج ، فلنمسك عن تكرار القول فيها ، ونكتفي بالتنويه بنبل العاطفة التي أملتها .

اما قصيدة العدد بحق فهي « **صهيون والمشردون العرب** » **لبولس سلامة** ، ففيها تعبير شعري غني بصوره واخيلته ، عن مأساة فلسطين التي تهز ضمير الانسانية الصادقة .

وتاتي بعدها في التعبير الشعري الجميل **قصيدة الشاعر الديبلوماسي عمر الاميري** عن « الكعبة » التي يجردها من ماديتها حتى تصبح عمودا من نور يتجه اليها المسلم بقلبه وبصيرته قبل ان يتجه اليها بعقله وبصره ، فتشف عن نور اليقين مأتلقا لماعا .

وتنم « **صرخة الجزائر** » **لابي عبد الله صالح الجزائري** عن انطلاقة شعرية ما تزال تبحث عن قالبها الرصين ، ولكنها من غير شك تنطوي على معنى الشعر، وعلى طاقة ستتفجر في لحن جميل عندما يتخلص الشاعر من قيود النثر التي ما تزال تسيطر على تعابيره مثل « يقتضي العصر ان اكون طليقا » و « انها تجربات قرن ونصف » .

اما قصة العدد « أمام الموت » للاديب الالماني هورست غرنوالد فهي تصوير رائع دقيق لتجربة انسان في لحظة من اللحظات النادرة ، لحظة مواجهة الاعدام ثم النجاة منه ، وبالاخص اذا كان المرء الذي عانى هذه التجربة هو الاديب الروسي الاشهر « دستوفسكي »

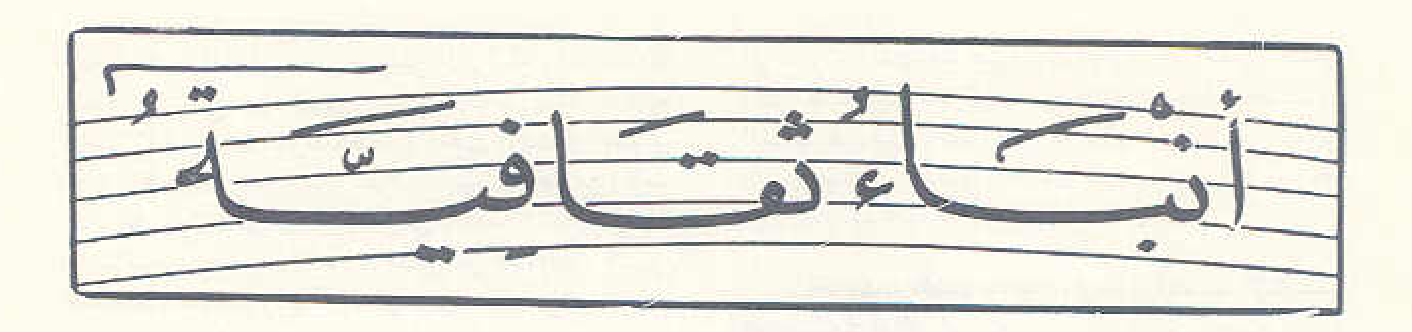
لقد وفق القاص الالماني في تصوير هذه اللحظة تصويرا دقيقا ، لدرجة اني كنت اتابعها ، وفي ذهني « دستوفسكي » مجسما بعمق احساسه وانسانيته وروحه الشفافة ، حتى اذا اتيت على نهاية القصة تحقق حدسي بهذه النهاية :

« ولما كان المحكوم عليهم قد اخذوا يسيرون ببطء عندما اقتربوا من منعرج الطريق شاهدوا أولهم الذي كان أقربهم ميعادا مع الموت ، وهو يسير امامه ، فلم تعد ركبتاه ترتعشان ، عند ذلك تذكر الكلمات التي سمعها : « ان صاحب الجلالة القيصر قد أصدر عفوه عن فيود ورميكا يلوفيتش دوستويفسكي ، واستبدل بالحكم عليه بالاعدام ، النفي الى سيبريا لقضاء اربع سنوات سجينا بها » . . .

الشهوات والمسرات

يذم الناس الشهوات وينسون اليها كل ما يكابده الانسان ويقاسيه ، وينسون انها هي ايضا مصدر كل مسراته .

ديدرو



*** ينهمك الاستاذ الجليل السيد أبي الاعلى المودودي امين الجماعة الاسلامية بباكستان بكتابة تفسير للقرآن الكريم باللغة الاردية ، وقد أصدر منه لحد الآن جزئين يحتويان على نصف القرآن ، اما الجزء الثاني من هذا التفسير فسيصدر عقب عودة الاستاذ المودودي من الرحلة التي يقوم بها سيادته في بعض الاقطار العربية .**

* كلفت اليونيسكو الاستاذ بيير جون بمهمة تستغرق ستة شهور في الرباط للعمل لدى حكومة المغرب بمثابة مستشار في شؤون تنظيم الادارة الجامعية . والاستاذ جون عميد سابق لاكاديمية مونبليه ، وعميد من عام 1954 الى عام 1955 لأكاديمية الجزائر ، ومدير عام للتعليم في الجزائر . كما أختير أخيرا مستشارا اجنبيا في لجنة التعليم القومية في تركيا ، وهي لجنة تأسست برعاية مؤسسة فورد . وللاستاذ جون عدة مؤلفات في التربية وعلوم اللغة والآثار .

* كان للمعرض التأريخي الدبلوماسي المشتمل على الوثائق والهدايا التي تبودلت بين سفراء المغرب وملوك الدول الأجنبية في القرون الماضية والذي نظمته وزارة الشؤون الخارجية صدى بعيد في الهيئات العلمية في المغرب وخارج المغرب .

*** زار المغرب أخيرا الدكتور محمود الحفني عميد الموسيقى بجامعة الدول العربية موفدا من قبل الجامعة ليعمل على تحضير مؤتمر للموسيقى الاندلسية الذي سيعقد بالمغرب تحت اشراف الجامعة العربية وذلك في شهر مارس المقبل .**

*** يترجم الى اللغة الصينية كتاب « النقد الذاتي » للزعيم الجليل الاستاذ علال الفاسي .**

*** سيحتفل بذكرى مرور أحد عشر قرنا على تاسيس جامعة القرويين بعد عيد الفطر .**

* صدر عن معهد مولاي الحسن بتطوان الجزء الاول من تاريخ تطوان المطول للاستاذ محمد داود .

* القى الشاعر الدبلوماسي الدكتور سليم حيدر صاحب ديوان « آفاق » وملحمة « الخليقة (محاضرة بعنوان « الشعر بين ابن خلدون وبول فاليري » وذلك بكلية العلوم بالرباط .

* « مساهمة المدنية الاسلامية في تكوين حضارة الغرب والحضارة الانسانية » هو عنوان المحاضرة التي القاها الاستاذ عبد الله عنان بقاعات المحاضرات من المعهد الثانوي المصري بتطوان بتاريخ 22 دجمبر الماضي .

* عادت الى الصدور « العلم » و « الايام » و « الاستقلال » بعد انقطاع دام شهرين .

* صدر في الجريدة الرسمية بتاريخ 27 نوفمبر ظهير يقضي بانشاء لجنة وطنية للجغرافيا يراسها وزير التربية الوطنية . وتتكلف هذه اللجنة بتحرير ونشر المعلومات حول الاطلس المغربي . وسيقام الاتصال مع المنظمات الاجنبية والدولية وخصوصا مع الاتحاد الجغرافي الدولي .

* من 7 الى 13 من الشهر الماضي عقد بالدار البيضاء مؤتمر دولي للفيزياء الصناعية .

* قام الدكتور حسين مؤنس مدير معهد الدراسات الاسلامية بمدريس بالقاء سلسلة من المحاضرات في كلية الاداب بالرباط .

* افتتح فى المكتبة العامة والمحفوظات بالرباط فى الأيام الاخيرة معرض النقود الاسلامية القديمة منذ الهجرة النبوية الى الآن

*** ستساهم الحكومة المغربية فى نفقات تعمير المسجد الأقصى .**

* رصدت وزارة التربية والتعليم للجمهورية ع.م. 120 الف جنيه لانشاء مبنى مدرسة الرباط الثانوية بالمغرب .

* بدعوة من السفارة المغربية ببيروت سافر الدكتور محمد عزيز الحبابي الاستاذ فى كلية الآداب المغربية لالقاء عدة محاضرات فى النوادي الثقافية اللبنانية .

*** بدأ المجاهد الكبير السيد عبد الكريم الخطابي بنشر مذكراته السياسية والوطنية فى الصحف المصرية .**

* صدر عن وزارة التربية الوطنية العددان الاول والثاني من مجلة « التربية الوطنية » وتهدف هذه المجلة الى تزويد القراء بالمعلومات الكافية عن التربية والتعليم وعن التكوين المهني لتكون رابطة بين الوزارة وبين هيأة التعليم ، ولتنور الراي العام عن شؤون التربية وتكون أيضا صلة الوصل بين المعلم والآباء .

* تكونت فى اكرا مؤسسة اسلامية اطلق عليها اسم « بعثة غانا الاسلامية » وتقوم ببناء مدرسة ومسجد هناك .

* عقدت مؤخرا بتونس الندوة الاقليمية للتربية الوطنية ، وقد حضر فى هذه الندوة كثير من الدول ومن المغرب شارك فيها السيد عبد القادر العمراني .

* بمناسبة الذكرى الخمسينية لميلاد شاعر تونس المجدد أبى القاسم الشابي نظمت اللجنة الثقافية مهرجانات ادبية وفنية اقيمت بدار الجمعيات الثقافية بتونس شارك بكلماتهم فيها السادة : مصطفى خريف ، محمد صالح المهيدي ، زين العابدين السنوسي ، محمد فريد غازي ، أبو القاسم كرو ، محمد الحليوي ، كما شاركت فى هذه الحفلات فرقة الاذاعة التونسية بقطع موسيقية مستوحاة من شعر الفقيد .

* نظم مركز العلاقات الايطالية العربية وهيئة تونس لجمعية « دانتي » معرضا للكتب التي نشرتها نخبة من المستشرقين الايطاليين ، وذلك بالمكتبة الوطنية التونسية .

* شكلت لجنة دولية لتنمية النشاط التربوي والثقافي فى افريقيا تنفيذ الاقتراح الذي تمت موافقة البلدان الافريقية عليه فى مؤتمر « باري » المنعقد فى السنة الماضية . واعرب المؤتمر العالمي للكتاب والفنانين الزنوج المنعقد فى مارس الماضي بروما عن الشروع فى هذه البادرة . وهذه اللجنة المؤلفة من خبراء وبحاثين افريقيين تذهب فى أغراضها الى تشجيع وتأييد كل وجه من وجوه النشاط الثقافي والتهذيبي فى افريقيا بالاتصال بسائر المؤسسات والمعاهد الثقافية والدولية واشاعة التعريف بالعالم الافريقي فى الخارج تيسيرا للتفاهم المتبادل .

* صدر فى تونس كتاب « مدنية المغرب العربي » لمؤلفه احمد صفر ، وهو عبارة عن عرض تاريخي لعصور المدنية التي مرت بها تونس ابتداء من العصر اللوبي حتى العصر الاسلامي .

* صدرت بتونس ثلاث مجلات جديدة هي : « اقرأ » و « فائزة » و (المسرح) .

* أصدرت مجلة « الفكر » التونسية عددا خاصا بالثورة الجزائرية وعددا آخر خاصا كذلك بذكرى الشاعر ابا القاسم الشابي .

* ينعقد فى عاصمة الحبشة مؤتمر وزراء التربية الافارقة بالتعاون مع اليونيسكو .

* أوفدت اليونيسكو الى السودان الدكتور وليام آدامز خبير الآثار الامريكي بعد ان انتهى من مهمة اخرى استغرقت عامين فى أريزونا . وسيعمل الدكتور آدامز فى ادارة الآثار بالخرطوم لدراسة الصور الفوتوغرافية الجوية للمنطقة السودانية المهددة بالغرق نتيجة لبناء خزان أسوان فى الاقليم المصري . وقد صرح هذا الاثري الاميركي بأن مهمته ستتناول تتبع

آثار الحضارات القديمة مما يمكن أن يتضح على الصور الفوتوغرافية الجوية التي التقطت لمناطق لم يقربها علماء الآثار من قبل ، كما تكشف هذه الصور عن القرى المدفونة ونظم الري التي استخدمت منذ آلاف السنين . وقد عمل الدكتور آدامز فى العامين السابقين فى متحف اريزونا الشمالية فى فلاجستاف ، لدراسة الاعمال الاثرية المتعلقة ببناء خزان « جلن كانيون » على نهر كولورادو » . وقد اتم هذا الاثري الاميركي دراساته فى جامعتي كاليفورنيا واريزونا ؛ ونال فى الجامعة الاخيرة درجة الدكتوره فى الانتروبولوجيا .

* بدأ الدكتور طه حسين فى كتابة « ايام مابعد الايام » وهي عبارة عن مذكراته وذكرياته التي توقف عن الكتابة فيها بصدور الجزء الثاني من كتاب « الايام » الذي ترجم الى اكثر من 12 لغة اجنبية .

* اصدرت حكومة ج.ع.م. طابعا بريديا خاصا بيوم 18 نوفمبر بمناسبة مرور مائة سنة على انشاء المتحف المصري فى القاهرة .

* احتفلت ج.ع.م. بعيد العلم وبهذه المناسبة وزعت تسع وعشرون جائزة على رجال العلوم والفنون والآداب ، وقد القى الرئيس جمال عبد الناصر كلمة بهذه المناسبة .

* عزمت وزارة الارشاد القومي بالقاهرة على اخراج طبعة من « لسان العرب » تجمع كل ما كتبه الباحثون وعلماء اللغة من تعليقات وتحقيقات .

* عقد فى القاهرة مؤتمر الفنون الشعبية فى نهاية الشهر الماضي .

* تقرر فى القاهرة اقامة تمثال لجميلة بوريد رمز الجهاد الجزائري وذلك فى مبنى الجامعة العربية الجديدة .

* سينشر الشاعر القروي ديوانا جديدا فى القاهرة ، بعدما اصدر فى سنة 1950 ديوانه الضخم الذي ضم جميع دواوينه التي تعد بثمانية .

* تسلل لص ودخل الى قصر المرحوم احمد شوقي وسرق منه كثيرا من مخلفات الفقيد التي لها قيمتها التاريخية .

* سيصدر عبد الحي دياب دراسة عن العقاد .

* فى شهر فبراير المقبل سيصدر الاستاذ عباس محمود العقاد كتابا دراسيا عن الشاعر الاسباني خوان رامون خيمينث الفائز بجائزة نوبل للآداب .

* يقوم المجلس الأعلى للفنون والآداب بالقاهرة بكتابة تراجم لكبار الادباء المعاصرين تمهيدا لطبعها فى كتاب .

* صدر لعباس محمود العقاد كتاب بعنوان « رسالة عن الثقافات القومية » برهن فيه على أن الثقافة العربية اقدم من الثقافتين اليونانية والعبرية.

* صدر فى الاقليم الجنوبي ثلاث كتب عن الامام الغزالي .

* « دراسات فى المكتبة العربية » عنوان كتاب اصدره مركز التربية الاساسية فى العالم العربي لمؤلفه الدكتور محمد احمد خلف الله .

* شرع فى ترشيح الاعضاء الخمسة لشغل الكراسي الشاغرة فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة والتي بقيت فارغة بوفاة : الدكتور عبد الوهاب عزام ؛ والدكتور منصور فهمي ؛ وحسن القاياتي ؛ والشيخ محمد الخضر حسين ، والمستشرق ليتمان .

* « علم طبقات الارض » هو الاسم الذي اطلقه المجمع اللغوي على علم الجيولوجيا .

* آخر الاحصائيات الجامعية تؤكد ان عدد طلاب جامعة القاهرة زاد فى الخمس والعشرين سنة الاخيرة بنسبة 5000 فى المائة .

* افتتحت الدراسة فى معهد السينما الذي هو احد منشآت مدينة الفنون بالهرم .

* رصدت وزارة الارشاد القومي بالاقليم المصري 40 الف من الجنيهات لاقامة مهرجان سينمائي للفيلم الافريقي الآسيوي الذي سيقام فى شهر فبراير القادم .

* ترجمت الى العربية مؤسسة دعم السينما بالقاهرة كتابين أولهما بعنوان « رجال السينما » كتبه 16 سينمائيا عالميا وثانيهما « صناعة الافلام من السيناريو الى الشاشة » .

* يشتغل الاستاذ ايهاب الأزهري فى ترجمة كتاب الناقد الامريكي ارثر نايت الذي يدور عن السينما فى العالم .

* بدأ فى القاهرة فى تنفيذ مشروع الموسوعة العربية ذات المجلد الواحد . سيجري العمل فيها على نظام دائرة المعارف الاميركية « كولومبيا » . ويشترك فى هذا المشروع : الدكتورة سهيل القلماوي، ومحمد شفيق غربال ، والدكتور زكي نجيب محمود ، وهيئة تحرير مكونة من اسماعيل مظهر ، وعبد الرحمن زكي ، وجلال العشري .

* شرع فى الاقليم المصري فى تنفيذ مشروع مختصر تاريخ دمشق للمؤرخ ابن عساكر ، ويشرف على هذا المشروع الدكتور طه حسين .

* تبدأ دار سعد مصر فى اعداد وتحقيق كتاب « رسائل الجاحظ » وستظهر الاجزاء الاولى منه فى هذه الايام ، وقام بتقديمها واعدادها الاستاذ عبد السلام هارون ، الذي يعد فى نفس الوقت للطبع كتاب « احياء علوم الدين » .

* اكتشف نقولا يوسف وثائق جديدة عن عبد الرحمن شكري .

* الدكتورة سهير القلماوي هي اول سيدة ترشح لعضوية المجمع اللغوي . بلغ عدد المرشحين الى كتابة هذا النبأ 13 عضوا بينهم ، امين الخولي ، والدكاترة مهدي علام ، وابراهيم انيس ، وعلي عبد الواحد وفي ، ومحمد عوض محمد .

* كانت الدكتورة بنت الشاطيء أول سيدة تحاضر فى الازهر : فى ندوة عامة حضرها 10 آلاف مواطن فى موضوع « حيرة الشباب » وقد وجهت كلامها الى من انتقد حضورها فذكرت انها تسير على الطريق الاسلامي الصحيح يوم تحضر للازهر وتحاضر فيه ... دعت الشباب الى التمسك بالدين والاخلاق القويمة لاعادة مجد الامة العربية .

* اشترك فى تحرير مجلة « المصباح » التي يصدرها فى القاهرة بطريقة بريل الدكتور طه حسين والدكتور عبد الرحمن يونس .

* اقامت رابطة شعراء المنصورة حفلا فخما تكريما لاحياء ذكرى الشاعر علي محمد طه .

* « كتابات ادبية » هو كتاب شارك فى تحريره الاساتذة : محمود تيمور ، نعمان عاشور ، احمد عباس ، صالح ، سعد الدين وهبه ، وصدر فى الايام الاخيرة .

* انتهى المشروع الضخم الذي اشرف عليه الدكتور طه حسين لترجمة مسرحيات شكسبير الى اللغة العربية . ويوجه الدكتور طه عنايته الآن الى ترجمة آثار الشاعر غيته الى اللغة العربية . سوف تكون الحلقة الثالثة فى سلسلة هذه الترجمات العالمية ، تعريب مسرحيات الشاعر الفرنسي راسين .

* عقد مؤتمر الطلاب الفلسطينيين بدمشق فى الشهر الماضي .

* توفي فى حلب الدكتور اسعد طلس عضو المجمع العربي بدمشق . درس الفقيد فى الجامعة المصرية ، ونال منها الدكتوراه فى الآداب ، وتابع الدراسة فى جامعة بوردو ، ثم بدأ عمله أستاذا فى وزارة المعارف السورية ، كما درس فى كلية الآداب ببغداد ، ووضع فهرسا ضخما لآلاف المخطوطات العربية الموجودة فى خزائن الاوقاف فيها . وكان الفقيد عالما واسع الاطلاع الف الكثير من الكتب منها « تاريخ الامة العربية » فى خمسة اجزاء و « تاريخ التربية فى الاسلام » ونشر بعض المخطوطات القديمة كان آخرها « المصايد والمطارد » .

* « وحدي ... بلا حب » ديوان شعر لمحمود محمد كلزي صدر مقدما بقلم الشاعرة النابلسية فدوي طوقان صاحبة ديوان « وحدي مع الايام » .

* الف الاستاذ عبد الله العلايلي معجما لغويا جديدا . ويقول الأدباء المطلعون عليه أن هذا المعجم سيحدث ثورة فى اللغة اذ يخالف ماسبقه من معجمات ويبنى على ناحية فنية هائلة . وقد صرح الاستاذ العلايلي أنه لم يأت فى كتابه بألفاظ مهجورة ولا بما ليس بمستعمل .

* في الكتاب الذي اصدرته دار الآداب ببيروت للدكتور عبد الله عبد الدائم مدير الثقافة بوزارة الارشاد والثقافة بالاقليم الشمالي بعنوان « دروب القومية العربية » مناقشة لبعض قضايا الفكر العربي المعاصر ويقول المؤلف : من الانخداع أن تنسب الى امة بوادر نهضة قومية اذا لم تجد صدى هذه البوادر في انتاجها الأدبي خاصة ، واذا لم تجد هذا الفكر فيها يحمل على عاتقه مهمة التعبير عن الموقع الحقيقي الذي يحياه ابناء الامة ومهمة التبشير بالواقع الذي ينتظرهم » .

* احتفل بسوريا بذكرى الكواكبي .

* اصدر الشاعر السوري عمر ابو ريشة ديوانا جديدا بعنوان « مختارات » وقد ضم الديوان 62 قصيدة انشاها الشاعر فيما بين عامي 1935 — 1959

* تقرر انشاء جامعتين شعبيتين في كل من حلب ودمشق .

* نفذت منظمة اليونسكو بالتعاون مع حكومة لبنان تنظيم حلقة دراسية اقليمية في بيروت خلال الفترة الواقعة ما بين 8 و 19 دجنبر الماضي . وقد استدعى للمشاركة فيها جميع الدول العربية . وقد نظمت هذه الحلقة وفقا لقرارات اليونسكو التي تهدف الى التوسع في نشاط المكتبات العامة وانماء خدماتها لمختلف جماهير القراء ، كما تهدف توفير فرصة لاجتماع امناء المكتبات لتبادل الآراء حول المشاكل المشتركة بينهم ، ودراسة الوسائل التي تكفل انماء المكتبات في جميع الدول العربية . وقد شارك المغرب في هذه الندوة ببعثة من رجال المكتبة العامة والمحفوظات بالرباط فقط يراسها السيد محمد ابراهيم الكتاني رئيس قسم المخطوطات بها .

* « في سبيل الحرية » هو عنوان قصة الفها الرئيس جمال عبد الناصر وهو طالب ، وقد صدرت اخيرا في لبنان .

* احتفل بلبنان بذكرى الشاعر خليل مطران بعدما احتفل بذكراه في الاسكندرية .

* انتهى الشيخ عبد الله العلايلي من وضع معجم صغير للتداول ، هو زبدة المعجم الكبير الذي وضعه هذا العالم اللغوي .

* وضع مفكر لبنان الكبير الاستاذ ميخائيل نعيمه قصة للسينما روى فيها حياة رفيقه جبران خليل جبران الذي عاشره مدة طويلة في المهجر الاميركي وخبره خبرة واسعة . ستخرج القصة في فيلم يقوم بدور جبران الخالد ، المذيع السوري عبد الهادي البكار . ومن المعلوم ان ميخائيل نعيمه كتب مؤلفا قيما عن سيرة «جبران» طبعت مرتين في لبنان ومرة ثالثة في القاهرة في سلسلة كتاب الهلال ، وكان لها صدى بعيد في الاوساط الادبية حيث كشف المؤلف فيها عن واقع حياة جبران بما فيها وما عليها .

* صدر عن دار بيروت وصادر كتاب «ولاة مصر» لابي عمر محمد بن يوسف الكندي المصري المتوفي سنة 350 هجرية وهو أول مصدر مصري للتاريخ المصري الاسلامي ، واغنى كتب التاريخ بمادة الاخبار عن تاريخ مصر وولاتها . وقد سبق ان نشر هذا الكتاب منذ خمسين عاما المستشرق كست ولكنه كان في حاجة الى تحقيق .

* صدر في بيروت كتاب بعنوان « اندريه جيد ، الانسان والفنان والناقد » .

* قررت الحكومة اللبنانية اقامة حفلة في سنة 1960 بمناسبة الذكرى المئوية لصدور أول مجلة في لبنان التي كان صدورها في سنة 1860 .

* نعت لبنان اديبها الشهير كرم ملحم كرم الذي ولد في دير القمر من اعمال لبنان بتاريخ 5 مارس 1903 ودرس في مدرسة الاخوة المريميين ، واحرز على شهادتها ثم انتقل منها الى معهدهم في جونيه حيث تابع فيه دروسه . يعد الفقيد اديبا وكاتبا وناقدا وصحفيا وروائيا وقاصا . عمل في الصحافة أول ماعمل في جريدة دير القمر الذي كان يشرف على اصدارها استاذه نعوم البستاني وفي سنة 1923 نزل الى العاصمة البيروتية وشرع يشتغل في صحفها كـ « البرق » و « البرق الاسبوعي » وأخيرا تولى رئاسة تحرير عدة صحف منها : « الاحوال » . « المبد » « الاحرار » . وفي سنة 1928 انشأ مجلة « الف ليلة وليلة » كما انشا في سنة 1931 مجلة « العاصفة »

الاسبوعية وكذلك انشأ مجلة ثالثة باسم « الاسرار ».
اما مؤلفاته فى جميع ميادين الادب ماخلا الشعر فتربو عن العشرين منها ما اعيد طبعه مرات عديدة . ومن مؤلفاته الشهيرة ما يلي : « جعفر المنصور (« اشباح القرية » « اطياف من لبنان » (« أم البنين) (انتقام الخيزران) « جفاف الزيزفون (« دمعة يزيد » « صرخة الالم » « صقر قريش » (الضفاف الحمر) (عفراء) « قطاف العناقيد » « قهقهة الجزار » (اللحن الشرود) « المصدور » « وامعتصماه » .

* توفى فى لبنان الصحافي والمؤرخ المعروف جورجي نقولا باز الذي يعد رائدا من رواد حركة تحرير المرأة العربية فى البلاد العربية .

* على اثر ذبحة صدرية توفي الشيخ كاظم الميقاتي مفتي الفيحاء ـ طرابلس الشرق .

* تنعى نخبة فى بغداد احد رجالها الامعين وهو المرحوم محي الدين يوسف الذي كان يعمل استاذا فى جامعة بغداد .

* صدرت فى بغداد للقاص العراقي عبد الرزاق الشيخ علي مجموعة قصص بعنوان «عباس افندي وقصص اخرى » .

* اصدر الشاعر العراقي صبري هادي ملحمة شعرية بعنوان « صاحب الزمان » .

*** صدر الجزء الرابع من كتاب « انبعاث امة » وهو الجزء المحتوي على الخطب التي القاها صاحب الجلالة مولانا الملك نصره الله ما بين 17 نونبر سنة 1958 و 18 نونبر سنة 1959 .**

* قدم الى العراق عدد من الاساتذة من تشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا للعمل فى معاهدها .

* طبعت شركة ارامكو خريطة لجزيرة العرب يقال فيها بانها احسن واوسع واتقن خريطة ظهرت الى الآن لبلدان الشرق العربي .

* « الرائد » اسم مجلة جديدة تصدر فى جدة .

* تبرع جلالة الملك سعود بمبلغ 20 الف جنيه لبناء مسجد ومستشفى وناد لابناء الجالية السعودية بالقاهرة .

* رصد الشيخ عبد الله سالم الصباح امير الكويت مبلغا قدره 50 الف جنيه تبرعا منه على المؤتمر الاسلامي .

* شخصية الشاعر والمغامر العربي عنتر بن شداد التي عالجها الادباء فى قصصهم وشعرهم ؛ تصدر عنه دراسة قصصية جديدة مطولة باسم « عنتر بطل العرب وفارس الصحراء » للاستاذ عمر ابو النصر الذي اعد سيرته ونسق اخبارها ونشر قصة البطل العربي متجاوبا مع مؤتمر ادباء العرب الذي انعقد فى الكويت فى تعزيز البطولة وحفز شباب العرب على التضحية والبذل فى سبيل الحرية والخلود .

* سيصدر الاغا خان كريم جريدة اسبوعية باللغة الانجليزية لتوزع على افراد الطائفة الاسماعلية .

* صدر فى الصين الشعبية كتاب باللغة الصينية يضم تراجم العرب المعاصرين .

* صرح نائب رئيس الوزراء المكلف بالشؤون الثقافية ببكين فى كلمة القاها امام مؤتمر « ابطال الشغل » قال ان اكثر من 40 مليون صيني تعلموا الكتابة والقراءة اثناء الحملة الكبرى لمحاربة الامية سنة 1958 .

* وضع الدكتور راجندر برباد رئيس الجمهورية الهندية فى دلهي الجديدة الحجر الاساسي لمبنى سيسمى « دار طاغور » وسيكون بعد الانتهاء من بنائه مركزا للاكاديميات الوطنية الثلاث اي اكاديمية الفنون والآداب والرقص والموسيقى .

* افتتحت فى كلكتا رسميا الجمعية الالمانية الهندية ، واقيم فى مبناها معرض للمطبوعات الالمانية فى المواضيع الهندية .

* تولى البروفسور همايون رئيس مجلس الهند للروابط الثقافية وضع الحجر الاساسي لمتحف

سيبني على قمة « تاجرجونا كوندا » في ولاية « الدرديش » والغاية من بنائه الاحتفاظ بالتحف الاثرية القيمة التي اكتشفت اخيرا في منطقة الوادي .

* كشفت التنقيبات الاخيرة في الهند عن معبد بوذي كان يقع على نحو 40 ميلا من « كتك » وهو معبد هائل يرجع تاريخه الى القرنين الثامن والتاسع.

* سيؤسس في ولاية «اندرامبردمش» من اعمال الهند معهد للابحاث الشرقية تخليدا للفقيد ابو الكلام آزاد .

* في جزيرة « ترينداد » ـ وهي احدى جزر الهند الغربية ـ اكتشف مخطوط عربي كتبه الملاح موسى بن ساطع احد البحارة العرب الاندلسيين الذين رافقوا كولمبس في رحلته الاكتشافية الى امريكا ، ويحتوي هذا المخطوط على استسلام «مالقة» و «غرناطة» والمأساة التي انتهى اليها عرب الاندلس .

* « سيفارد » الكاتب الهندي الشاب الفائز بجائزة مسابقة القصة بالهند ، ظهرت له اخيرا قصة باسم «اشعة الامل» .

* نشرت مكتبة طوكيو المخصصة للمكفوفين مجلة ناطقة شهرية وهي عبارة عن شريط مسجل يضم عدة مقالات وابحاث علمية يمكن الاستماع اليها بواسطة تسجيل .

* صدرت للكاتبة اليابانية « كدوآيا » قصة عن فتيات الجيشا بعنوان « الانسيات » .

* **اصدر صاحب الجلالة الملك المعظم امره الى وزارة البريد باصدار سلسلة من الطوابع البريدية تخليدا لذكرى مرور احد عشر قرنا على تاسيس جامعة القرويين .**

* نشر نادي القلم الياباني ملخصات من نماذج الادب الياباني الحديث التي نشرت باللغتين الفرنسية والانجليزية والكتب التي صدرت في أوربا عن والأدب الياباني .

* ظهر في موسكو كتاب بعنوان «الصور الاولى لوجه القمر المحتجب » يتناول دراسة الصور المحصل عليها بواسطة الصاروخ الكوني الروسي . وقد طبعت من هذا الكتاب 150 000 نسخة ويفتتح بمقدمة محررة من طرف الم اليكساند تيميانوف رئيس اكاديمية العلوم السوفياتية ، ويشير المؤلف الى وصف اجهزة الصاروخ الاوتوماتيكية ومدى تحليقه من مراحل التقاط صور الوجه القمري المحتجب وارسالها الى الارض .

* قامت بعثة من اكاديمية العلوم الروسية بدراسات علمية فوق اعلى قمم الجبال في العالم ، وقام اعضاؤها طيلة سنتين ونصف بابحاث فوق قمة «بامير» وتدخل هذه الرحلة في نطاق السنة الجغرافية الدولية .

* عقد مؤتمر اسلامي في جورجيا وارمينيا والقوقاز . وقد دعا المؤتمر الى ازالة التوتر العالمي .

* يقوم المؤلف الروسي باشتراك في الوقت الحاضر بكتابة مسرحية تدور حوادثها في الاتحاد السوفياتي ويستعد المسرح الملكي بستكولهم لاخراج هذه التمثيلية .

* انتظمت مؤخرا في جامعة موسكو حلقة دولية جمعت 77 مندوبا من منظمات الطلبة في 42 بلدا . وقد تناول برنامج الحلقة محاضرات عن تنظيم التعليم العالي ، ودراسة العلوم الانسانية والتعليم في الاتحاد السوفياتي ، والبحوث العلمية التي يجريها الطلبة والنشاط الرياضي الذي تنظمه جمعيات الطلبة ، كما نظم اعضاء الحلقة مناظرة اشترك فيها طلبة من بلاد مختلفة ، كان موضوعها « الجامعة والمجتمع »

* دعا اتحاد الكتاب في روسيا الكاتب الامريكي ارنست هينجواي ليكون في صحبة الرئيس الامريكي ايزنهاور اثناء زيارته المقبلة في الربيع القادم للاتحاد السوفياتي . ورد هيمنجواي على هذه الدعوة بقوله انه لايستطيع لاسباب تتعلق بعمله مغادرة اسبانيا لفترة طويلة مقبلة ، ومع ذلك فلا مانع لديه من زيارة الاتحاد السوفياتي على شرط ان توجه دعوة مماثلة لصديقه « اوردونيس » مصارع الثيران الاسباني .

* اكتشف رجال الآثار في اليونان في الاسابيع الاخيرة اطلال مسرح كبير .

* تم ابرام اتفاقية بين الاردن وايران لتقوية الصلات الثقافية بين البلدين وذلك باقامة معارض وتبادل الكتب والافلام وفتح اقسام عربية في المدارس الايرانية والاعتراف بالشهادات بين البلدين وارسال الطلبة الى القطرين .

* اقامت يوغوسلافيا مهرجانا كبيرا للاسبرنتو لمرور جيل على انشائها .

* اودع سفير جمهورية تشيكوسلوفاكيا في فرنسا مدير اليونيسكو العام انضمام حكومته الى الاتفاقية العالمية لحقوق المؤلف . كما اودع السيد الدفونسدا سيلفا ممثل البرازيل في لجنة حقوق المؤلف الحكومية مدير اليونيسكو العام وثائق تصديق حكومته على الاتفاقية العالمية لحقوق المؤلف . وبانضمام تشيكوسلوفاكيا والبرازيل تكون 34 دولة قد انضمت حتى الآن الى هذه الاتفاقية العالمية التي تكفل حماية حقوق التأليف بالنسبة للمؤلفات الاجنبية نفس الحماية التي تتمتع بها المؤلفات المحلية في كل دولة من الدول المشتركة في الاتفاقية .

* عقد اخيرا في سلزبورج (مدينة موزات) مؤتمر دولي برعاية اليونيسكو واذاعة السينما بحث فيه المختصون مسألة عرض المسرحيات الغنائية والباليه والتلفيزيون .

*** ستكون اللغة العربية من الان فصاعدا احدى اللغات الرسمية في المؤتمرات الدولية التي يعقدها اطباء الاسنان في انحاء العالم .**

* عرضت للبيع بالمزاد العلني في عاصمة سويسرا تحف ملكية نفيسة كان يملكها القيصر اسكندر الاول والامبراطورة ماري لويس وعدة رسوم لجوزفين نابلون

* اصدرت اليونيسكو بالتعاون مع مكتب العمل الدولي مطبوعا يتضمن تحقيق دولي اجري في 64 دولة حول البرامج الدراسية في دول مختلفة . وقد تبين من هذا التحقيق ان التعليم الفني وتعليم اللغات يحتلان المكان الاول في البرامج الجديدة . ويتناول هذا المجلد موقف التعليم في 64 دولة فيما يتعلق بالدراسات الابتدائية والثانوية والمهنية والعليا . وقد قدمت كل دولة تقريرا ضافيا عن تطور التعليم فيها ؛ وزودته بالامضاءات فضلا عن تكوين وزارات التربية المختلفة . ويتبين على الاخص من تطوير برامج المدرسين في تلك الدول اهتمام وزارات التعليم فيها بالعلوم التطبيقية في الدراسات الثانوية ــ ففي بلجيكا مثلا وبيلوروسيا وبورما وايران وتشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفياتي ، اضيفت مواد جديدة في التعليم الثانوي خاصة بمبادىء الصناعة والزراعة والفنون الصناعية والتعليم الهندسي . كما يلاحظ عناية واسعة بدراسة الرياضيات في فرنسا والسويد والولايات المتحدة بينما توجد العناية بدراسة العلوم بوجه عام قد تضاعفت في الجمهورية العربية المتحدة . وفي هذه الجمهورية يلاحظ اهتماما متزايدا بتدريس اللغات الاجنبية ، والملاحظة نفسها تنطبق على هنغاريا بل والولايات المتحدة ايضا . وجدير بالملاحظة ان فرنسا قد اختصرت ساعات تدريس اللغة اللاتينية بينما ضاعفت ساعات تدريس الرياضيات والاعمال التجريبية الخاصة بالعلوم الطبيعية . ومن الظواهر البينة ايضا الاضطرار في ميزانيات التعليم من ناحية ؛ والافتقار الى الابنية المدرسية ومدرسي التعليم الثانوي من ناحية اخرى .

*** ستظهر في شهر ابريل القادم الآلة الطابعة الجديدة المشكولة التي اخترعها الاستاذ احمد الاخضر من وزارة التهذيب الوطني .**

* اكتشفت مؤخرا في كهف باراباهو الفرنسي الواقع في منطقة الدردون مجموعة من الرسوم الملونة ومنها مايمثل راس حصان وقطيع من الغزلان والخيول؛ وكذلك عددا من الاسماك والحيوانات المائية . وقد اكد السيد لوربير مدير مؤسسة اوليان التاريخية صحة هذا الاكتشاف واضاف ان الكهف المذكور سبق ان اكتشفت في داخله رسوم اخرى قبل اليوم ؛ ولكن المجموعة الجديدة التي شوهدت تتخذ طابعا خاصا من الاهمية لانها تمثل نوعا جديدا من الغزلان ذات القرون الاربعة والحيوانات المائية النادرة في آثار ما قبل التاريخ .

* احرز الشاعر الفرنسي سان جون برس على جائزة الآداب الوطنية الفرنسية لعام 1959 . واسم هذا الشاعر الحقيقي هو الكسي ليجيه الذي يعد في طليعة الشعراء الفرنسيين . فقد ترجمت مؤلفاته الى

مايقرب من عشر لغات ، وقد نقل الشاعر الانجليزي اليوت احد دواوينه الى الانجليزية . ولد برس في الفوادالوب سنة 1887 . نشر القسم الاكبر من مؤلفاته عام 1924 ثم انقطع عن النظم 15 سنة عمل خلالها كموظف في وزارة الخارجية ؛ وسافر اثناء الحرب الاخيرة الى اميركا . احرقت جميع مؤلفاته الشعرية اثناء الحرب في فرنسا . وهو من المرشحين لجائزة نوبل .

* عقد اخيرا مؤتمر دعا اليه الاستاذ جان كابل مدير معهد العلوم التطبيقية في جامعة ليون بفرنسا في موضوع « هل يمكن للغة اللاتينية ان تصبح من جديد لغة حية ؟ » وقد اشترك فيه عدد كبير من العلماء والادباء من مختلف اقطار العالم .

* عقد اخيرا مؤتمران هامان حول موضوع « بين الثقافة العامة والتخصص » الاول عقد في مدينة كنرشبيل برعاية الاستاذ بيير ديلور والثاني في مدينة آن هربور في اميركا . وقد لاحظ المؤتمرون في المدينتين ان الفلسفة هي الاداة الحقيقية للثقافة العامة .

* احتفلت الابراكوميك في باريس بعرض اوبرا روميو وجوليت للمرة الالف .

* بدا الموسم المسرحي في هذا الشتاء بعرض مسرحيتين هامتين الاولى لجان بول سارتر « حبساء التونا » ؛ التي تعرض الآن على مسرح النهضة ؛ والثانية هي مسرحية « تريستان وايزيت » في قصة جديدة استمدها المؤلف جان دى بيير من الاساطير القديمة .

* «الربيع العربي» عنوان كتاب ظهر حديثا للكاتب الفرنسي بنوا ميشان ، ويتناول في هذا الكتاب شؤونا عربية .

* ينوي الكاتب جان فايار طبع قاموس يحوي الكلمات الاوربية التي لها اصل عربي او جذور عربية .

*** صدر الجزء الاول من كتاب تاريخ تطوان المطول للاستاذ العلامة السيد محمد داود .**

* نعت باريس شاعرها بنجامان بيريه عن 60 سنة .

* اصدرت هيئة اليونسكو اخيرا كتابا بعنوان « الاذاعة في العالم » من تاليف جورج كودينج .

* تالفت في باريس جمعية لبنانية باسم «الاتحاد اللبناني الدولي» مهمتها تامين الاتصال بين اللبنانيين المواطنين والمغتربين الذين يقيمون في باريس او يمرون بها .

* تقوم اليونسكو بابحاث في المكتبات العربية لصالح هذه المكتبات ومعرفة ما فيها من كنوز وذخائر . وسيعقد مؤتمر بين الدول العربية من اجل هذه الغاية

* « مشاكل الدول الآسيوية والافريقية » كتاب جديد يشمل محاضرات للسيد بانيكار سفير الهند بباريس .

* نشرت دار فلاماريون في باريس كتابا لجنفييف سريفيل بعنوان « ساشا جيتري زوجي » وقد جمعت في كتابها مجموعة من اللوحات التي تصور بعض مظاهر ساشا جيتري ورسائل واشعار لم تنشر له من قبل .

* دعا المعهد الاسلامي بمدريد المسرح القومي لزيارة اسبانيا .

* احرز على جائزة الشعر بمدينة اشبيلية الشاعر المجمعي الكبير خيرادو ديكو لسنة 1959 .

* كان قد عثر في عام 1936 بقرب مدينة باري على مقبرة جنود هنيبال الذين كانوا قد اسقطوا اثناء تلك المعركة التاريخية الشهيرة ، وتقع المقبرة قرب مرتفع فونتانيلى ؛ وهي المقبرة العسكرية الوحيدة التي بقيت من العصور الغابرة . واثناء الحفريات الجارية بجنوبي ايطاليا عثر اخيرا على بقايا قرية صغيرة تغطي الراس المرتفع وسفحه . وتقول مديرية الحفريات الدكتورة فردينادا بيرتوكي أنه من الصعب في الوقت الحاضر تحديد تاريخ هذه القرية الا أن الثابت هي أنها مسكونة من اهالي محليين . وجدرانها غارقة تحت التراب ولا يظهر منها سوى مقدار 60 سم وعثر بين الجدران على بقايا آنية مطلية بدهان اسود تعود الى العصر الروماني ؛ وعلى قبر صغير فيه بعض الاواني تعود الى القرن الرابع ق . م . وتقول الدكتورة بيرتوكي ان مخطط القرية هندسي الشكل . الامر الذي بعث على الاعتقاد بان تلك المنازل لم تكن

فيلات . والجدير بالاهتمام ان هذه القرية لم يرد لها ذكر من جانب المؤرخين القدامى رغم انها تقوم في نفس المكان الذي جرت فيه المعركة الشهيرة بين هانيبال القرطجي والرومان . واثناء اعمال التنقيب الاخيرة ظهرت الى النور ايضا قبور عديدة لجنود القائد القرطجي ، ولا يستبعد ان يكون هذا الاخير قد هدم القسم العالي من الجدران ليتمكن من بناء قبور لجنوده .

* احيت في « سان باولو » جمعية متخرجي جامعة بيروت الاميركية المقيمين في البرازيل حفلة ادبية كبرى تخليدا لذكرى بعض مشاهير ادباء لبنان وهم ابراهيم المنذر وجرجس همام وسعيد الشرتوني ، وعيسى اسكندر المعلوف ، وناصيف اليازجي

* جائزة السلام السنوية لسنة 1959 قد احرز عليها هنري سباك لسياسته التي اتبعها نحو السلام .

* باعت فرانسواز ساغان حقوق اخراج روايتها « بعد شهر .. بعد عام » على المسرح لشركة ايطالية . وقد مثلت هذه الرواية في 14 دجمبر الماضي .

* توفي في فلورانسا الرسام البرتو زاردو .

* حول موضوع « المجتمع وعلم الاجتماع » عقد اخيرا مؤتمر في ميلانو .

* هاجم الشاعر الايطالي سلفاتوري توازيمورد الذي احرز على جائزة نوبل للآداب في السنة المنصرمة بوريس باسترناك الذي قال فيه انه بورجوازي صغير يعيش في روسيا كملك غير متوج . وقد أبدت الكنيسة الكاثوليكية اسفها لاختيار سلفاتوري لنيل هذه الجائزة لانه ملحد .

* قصة «لوليتا» التي اثار ظهورها اكبر ضجة في الادب الحديث طار مؤلفها الى لندن اخيرا ليدافع عنها .

* اقيم في الايام الاخيرة بلندن معرض لاحسن الكتب المصورة .

* جائزة نوبل للفيزياء لهذه السنة منحت مناصفة بين الدكتورين ايميليو سيكري من اصل ايطالي ووين شامبرلن وكلاهما يدرس في جامعة كاليفورنيا .

* توفي النحات العالمي الانجليزي بلندن السير كوب ابشتاين .

* اصدر الشاعر المهجري الياس قنصل ديوانا جديدا بعنوان «رباعيات قنصل» .

* احرز العالم غلان سيابورغ الذي يشتغل منصبا كبيرا في جامعة كاليفورنيا على جائزة « انريكو فرمي » .

* تقرر ترشيح الاستاذ عبد الرحمن صدقي ليكون عضوا مراسلا لجماعة اسبوع الشعر العالمي بواشنطون في ج. ع. م.

فهرس العدد الرابع ـ السنة الثالثة

الصفحة